الحدود الإسلامية البيزنطية
بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري

الكتاب الأول

في الظروف التاريخية والجغرافية لقيامها

تأليف

فتحي عثمان



الناشر

الدار القومية للطباعة والنشر

الفصل الثانى
تعريف جغرافى طبوغرافى

اولا : المنطقة المحيطة باقليم الثغور والعواصم Hinterland (الجزيرة ، الشام ، ارمينية ، بلاد الروم، بحر الروم وجزره «البحر المتوسط»

ثانيا : حلب والثغور والعواصم

أ ـ حلب ب ـ العواصم ج ـ الثغور الجزرية د ـ الثغور الشامية

ثالثا : الوضع الاستراتيجى للحدود الاسلامية البيزنطية (جبال طوروس، أرمينية ، الفرات ، البحار)

رابعا : التوجيه الجغرافى Orientation للثغور والعواصم الاسلامية موقعها من الطرق التجارية ودورها فى العلاقات الحضارية

يقول ياقوت :

« **الثغر** : كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من الثغرة ـ **وهي** الفرجة في الحائط ، ومنه **ثغر الشام** ، وجمعه ثغور . وهو يشمل بلادا كثيرة ، ولا قصبة لها لان أكثر بلادها متساوية وكل بلد منها كان أهله يرون انه أحق باسم القصبة ، فمن مدنها بياس ، والمصيصة ، وعين زربة ، وأذنة ، وطرسوس ، والجوزات ، وأولاس ، والكنيسة السوداء ، والهارونية . ومرعش من **ثغور الجزيرة** . ومن مشهور مدن هذا الثغر انطاكية وبغراس وغير ذلك الا ان هذا الذي ذكرنا أشهر مدنها . قال أحمد بن يحيى بن جابر : « وكانت فيما بين الاسكندرية (أى الاسكندرونة) وطرسوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التي يمر بها المسلمون اليوم .. » « **والعواصم** جمع عاصم وهو المانع ، والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية ، وقصبتها أنطاكية . كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء ، وأكثرها في الجبال ـ فسميت بذلك . **وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي . وزعم بعضهم ان حلب ليست منها** ، وبعضهم يزعم أنها منها ، ودليل من قال انها ليست منها : انهم اتفقوا على انها من أعمال قنسرين ، وهم يقولون قنسرين والعواصم ـ والشيء لا يعطف على نفسه ، وهو دليل حسن والله أعلم(١) » .

تلك مقتطفات من تعريف ياقوت بالثغور والعواصم . وهذا الاقليم خطوة جديدة في التنظيم الاداري للدولة الاسلامية فقد ارتأى الرشيد فصله عن جند قنسرين لتأمين الحدود الاسلامية على غرار منطقة الاطراف البيزنطية Kleisurai التي كانت تحت اشراف حكام الثغور Kleisuriarchs وقد أشار ياقوت الى الثغور البيزنطية فقال في معرض حديثه عن بلاد

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦ ، جـ ٦ ص ٢٣٧

الروم وأقسامها « ... والرابع دروب طرسوس - من ناحية قلمية واللامس ، واسم صاحب هذا العمل (كيليرج) ومرتبته دون مرتبة الاصطرطغوس - وتفسيره صاحب الدروب(٢) » .

وقد كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم فى أيام بنى أمية والعباسيين الأوائل تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus وكانت الثغور خطا طويلا من القلاع يحمى هذه الحدود فيميل من ملطية على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط .

وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون يحتلونها تارة أخرى ، فكان الفريقان فيها بين كر وفر .

وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احداهما تحمى الجزيرة وتسمى الثغور الجزرية - وهى الشمالية الشرقية ، والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية . وكان من **ثغور الجزيرة** ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة . ومن **الثغور التى تحمى الشام** وكانت بالقرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصيصة واذنة وطرسوس . أما لفظ **العواصم** فيقصد به سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية لانها تعصم الحدود وتعينها على صد غارات البيزنطيين . وبذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود البيزنطية المسماة بالثغور . ولم تكن الحدود الاسلامية البيزنطية خطا مفردا كحدود الدول الحديثة ، وانما كانت تخومانهاياتها غير محدودة ولا ثابتة، تمتد على عمق كبير أو يسير مسايرة في معظمها **منحنى جبال طوروس** ما بين البحر المتوسط حتى سلسلة طوروس الارمينية . ثم ان **أرمينية** بأسرها تعد اقليم حدود بين الامبراطوريتين حيث كان يتعاقب أو يتعاصر النفوذ الاسلامى والنفوذ البيزنطى . ففى بداية القرن العاشر الميلادى كان الجزء الغربى من أرمينية بين الفرات وارسناس قد غدا بيزنطيا ، وفى المؤخرة كان لدى المسلمين ممر حر يخترقونه فى أرمينية حتى منطقة قاليقلا Theodosiopolis (أرضروم) التى احتلوها ، وقد ارتبط مع أهل تلك البقعة التى يخترقها الممر بعهد يضمن لهم حرية المرور .

---

(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٢٩

ويتتبع منحنى جبال طوروس قسم كانار Canard في كتابه عن الحمدانيين منطقة الحدود الى **ثلاثة اقسام : من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي** · **فهناك القسم الغربي** ويقع في مؤخرة سلسلة طوروس « من Cilicie Trachée حتى سلسلة بنطس من ناحية ومنطقة أرضروم من ناحية أخرى ، وهذا القسم يجتاز ليكاونيا Lycaonie وكابادوكيا وأعالى نهر هليس (جزل ارمق) وليكوس (كلكيد ارمق) وشمالي الفرات (قرة صو) » ، **والقسم الاوسط** « من سهل قيليقية الى أرمينية ، ويجتاز هذا القسم طوروس القيليقية والداخلية وطوروس كوماجين Commagene وطوروس الارمينية » ، **والقسم الشرقي** من خليج الاسكندرونة الى أرمينية « ويجتاز هذا القسم مجرى الفرات ومنطقة روافد أعلى دجلة » (٣) · وقد عدد قدامة الثغور المختلفة التي تتضمنها منـاطق الحـدود بين المسلمين والروم ، كما فرق بين الثغور والعواصم فقال : « ان **الثغور** المقابلة لبلاد الروم منها **برية** تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها **بحرية** تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها **مايجتمع فيه الامران** وتقع المغازى من أهله نحو البر والبحر ··· **وعواصم** هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، وانما سمى كل واحد منها عاصما لانه **يعصم الثغر ويمده في اوقات النفير** ، ثم ينفر اليه من أهل انطاكية والجومة والقورس » (٤) ·

وقد سمى جوردن ايست Gordon East المدن التي تنشأ في مناطق الحافات على الممرات الطبيعية الممتدة من الفتحات أو الثغرات التي تتخلل منـاطق الهضاب أو على كثب من تلك الفتحات بمدن المنـافذ والثغرات Gap-Towns ، وقد يكون تقاطع الطرق القديمة السابقة على ظهور بعض المدن عونا على تحديد مواقع قيامها · ومن هنـا يكون التعريف الجغرافي بالثغور والعواصم شيء أساسي لتفهم تاريخها ونظامها · فالدولة ليست الا اتحادا وثيقا بين السكان والوطن الذي يقطنونه ، وهي كائن اقليمي حي Spatiat organism على حد تعبير راتزل Ratzel في الجغرافية السياسية (١٨٤٤ : ١٩٠٤م) ، فنمو الدولة عملية لاحقة للمظـاهر المختلفة لنمو سكانها ، والعلم يتبع التوسع التجـارى والنشاط التبشيرى · وليست **الحدود** طبقـا لنظريته الا مناطق تلتقى عندها حدود الكائنات الاقليمية الحية التوسعية · **فحدود أية دولة هي العضو الحي المغلف لها ، والحدود**

---

(٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ص ١٦٠ ـ ١ ·

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides pp. 241 - 2.

(٤) قدامة : نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بابن خرداذبة) ص ٢٥٣

لا تعين مدى ضمان سلامة الدولة فحسب بل ومدى نموها أيضا • ومن ثم كانت مناطق احتكاك قد تؤدى الى اندلاع نار الحروب وتسعى الدول فى نموها الى امتصاص الاقسام ذات القيمة السياسية • **والموقع الجغرافى** Lage يربط الاقليم برباط طبيعى مع جيرانه وتتغير أهميته من فترة الى أخرى بسبب اختلاف مركز الدولة بين مواقع تركز السكان فى العالم ومراكز الثقل السياسية والثقافية ، وبسبب تطور سبل المواصلات العالمية• ودراسة **مجال الدولة** Gebiet تتضمن دراسة مساحتها وتوسعها ومدى نفوذها الثقافى والاقتصادى والسياسى ، وما يحدث من هجرات سلمية أو غزوات حربية ، كما تتضمن أيضا دراسة العلاقات المكانية للدولة • وقد كان ماكندر Mackinder (١٨٦١ : ١٩٤٧م) يرى فى حركة التاريخ البشرى صراعا مستمرا بين الدول القارية والبحرية ، وقد حدد المراكز الطبيعية للقوة السياسية فى العالم بثلاث : المنطقة القارية Continental pivot area والمنطقة البحرية أو المحيطية Outer Crescent ، والمنطقة الوسطى أو الانتقالية وتجمع بين القارية والمحيطية Inner Crescent • وقد استحوذت على ماكندر نظرية قلب العالم Heartland التى تتوسط آسيا وتشمل نطاق الاستبس من التركستان الروسى حتى جنوبى شرقى أوربا، وهى مساحة هائلة يجوس خلالها البدو والرعاة فى تحرر وانطلاق • وكانت بمثابة الخزان البشرى الكبير الذى ما فتىء يدفع بالموجة تلو الموجة من الهجرات والغزوات البشرية(٥) •

وقد أدى اتساع نطاق الفتوح الاسلامية الى لفت أنظار المؤرخين المسلمين الى أهمية الجغرافية فى دراساتهم • ومن هنا قدم لنا البلاذرى مثلا المتوفى سنة ٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م فى (فتوح البلدان) ـ وهو عمل مبكر نسبيا ـ ايضاحات جغرافية • غير أن المادة الجغرافية أظهر للعيان فى كتب التاريخ المحلى • ومن ذلك كتاب ابن العديم (٥٨٨ : ٦٦٠ هـ) عن تاريخ حلب الذى حوى قسما خاصا عن جغرافية شمالى الشام ، وكذلك كتاب ابن شداد (الاعلاق الخطيرة) وقد توفى المؤلف سنة ٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥م • أما الكاتب الذى مزج بين التاريخ والجغرافية العلمية بحق فهو المسعودى (المتوفى سنة ٣٤٥هـ) ، بينما كان اليعقوبى مثلا (المتوفى سنة ٢٨٢هـ ـ ٨٩٥م) ما يزال يفصل تماما بين دراساته الجغرافية والتاريخية•

---

(٥) جوردون ايست : الجغرافيا توجه التاريخ ـ ترجمة دكتور الدناصورى ص ٩١ ـ ٢ ، فيفلد بوس : الجيوبوليتيكا ـ ترجمة مجلى واسكندر جـ ١ ص ٣٥ : ٣٦ ، دكتورة دولت صادق ، دكتور غلاب ، دكتور الدناصورى : الجغرافية السياسية ص ١٠ : ١٣

فنحن نرى المسعودى يقدم لتاريخه ببيان لشـــكل الأرض ومواقع المدن والظواهر الجغرافية الهامة والمحيطات والأنهار والجزر والبحيرات والمبـانى وما أصاب الأرض من تغيرات طبيعية وهكذا (٦) ·

وهذه دراسة جغرافية لاقليم الثغور والعواصم الاسلامية ـ وبعبارة أخرى منطقة الحدود الاسلامية البيزنطية ـ من النواحى التالية :

أولا ـ الوصف الجغرافي للمنطقة المحيطة باقليم الثغور والعواصم ، ويدخل فيها ما يسمى بالارض الخلفية Hinterland

ثانيا ـ الوصف الجغرافى لاقليم الثغور والعواصم ·

ثالثا ـ الوضع الاستراتيجي للثغور الاسلامية ومدى مناعتها الحربية

رابعا ـ التوجيه الجغرافى Orientation للثغور والعواصم ، والمنافذ البرية والبحرية أمامها ، مع تقدير موقعها على طرق التجارة العالمية ودورها البشرى والحضارى ·

---

(٦) Rosenthal : A History of Muslim Historiography. pp. 94: 6

أولا ـ المنطقة المحيطة بالحدود الاسلامية البيزنطية

الجزيرة ، الشام ، ارمينية ، بلاد الروم ، جزر بحر الروم (البحر المتوسط)

ترتكز الثغور الجزرية والشامية الى أرض **الجزيرة** فى شمالى العراق من جهة وارض **الشام** من جهة أخرى ، كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقى **بارمينية** ، ومن ناحية الشمال **بآسيا الصغرى** ، والى الغرب منها يقع ساحل البحر المتوسط الذى كان يسميه العرب **ببحر الروم** •

وارتباط أعالى الشام والجزيرة واضح من الناحية الجغرافية ، يقول ياقوت مثلا عن (الفراض) « **والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة فى شرقى الفرات (٧)** » ، وقد تتابع الجغرافيون المسلمون على تأكيد هذا الارتباط فذكر المسعودى ان **سورية هى الشام والجزيرة** • « وقد كان الروم يسمون البلاد التى سكانها المسلمون فى عهده من الشام والعراق وسوريا ، كما كان الفرس يسمون العراق والجزيرة والشام سورستان اضافة الى السريانيين الذين هم الكلدانيون وتسميهم العرب النبط » (٨) • ويقول المقدسى « **واهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاما** ، ولهذا أرسل محمد بن الحسن القول فى دواوينه : وليس وراء الفرات من الشام غير كورة قنسرين حسب ، والباقى بادية العرب والشام من ورائها ، وانما أراد محمد التقريب والمتعارف بين الناس » • وهو يقول عن مدينة **الرقة** «وانتشر فى الاقليمين ذكرها ، فالشام على تخمها والفرات الى جنبها » كذلك يتكلم المقدسى عن **اقليم الرحاب** ـ ويدخل فيه أرمينيةـ

(٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٣٥٠

(٨) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٠ ، كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ٤٧

فيعرض للخلط الذى وقع فى شأن مدينة بدليس حتى اعتبرها البعض من اقليم آقور - الجزيرة - فى حين اعتبرها هو من اقليم ارمينية ويفرق بين التقسيم السياسى والتقسيم الجغرافى « فان زعم زاعم أن بدليس من اقليم أقور واستدل بأنها كانت فى ولايات بنى حمدان - أجيب بانه لما ادعاها أهل الاقليمين ، جعلناها من هذا لانا وجدنا لها نظيرا فى الاسم وهى تفليس ، **واما الولايات فليست حجة فى هذا الباب** ، ألا ترى ان سيف الدولة كانت له قنسرين والرقة ولم يقل أحد أن الرقة من الشام » (٩) وارتباط الشام والعراق فى اعاليهما يدعمه **مجرى الفرات من جهة، وامتداد جبال طوروس** التى تحمى الثغور جزرية وشامية على السواء من جهة أخرى • وقد ارتبطت المنطقتان فى الاعمال الحربية المختلفة التى سجلتها معارك الروم والفرس ، أو المسلمين والبيزنطيين •

وقد جرت الجغرافية القديمة على **تقسيم الارض الى سبعة أقاليم** قال ابو الريحان : «واما من زاول صناعة التنجيم وكلف بعلم هيئة العالم فانه أتى هذه القسمة من مأتى آخر •• نحن **اذا تاملنا الاختلافات التى تلحق الليل والنهار من ولوج أحدهما على الآخر على طرفى الصيف والشتاء ، فاللى يحدث فى الهواء من احتدام الحر وكلب البرد وما يتبع ذلك من تاثر الأرض والماء بهما - وجدناها بحسب الامعان فى جهتى الشمال والجنوب فقط ، وانا متى لزمنا نحو المشرق والمغرب مدارا واحدا لم يختلف علينا شيء** مما وجوده بالاضافة الى الآفاق بتة - اللهم الا انتقال من صرود الى جروم أو عكسه مما لا يوجبه ذلك السمت ، انما يتفق من جهة الاتحاد والاغوار وأوضاع أحدهما من الآخر فيه ، وتقدم الطلوع والغروب وتأخرهما •• **فاذا قسمنا المعمورة عرضا بحسب الاختلاف والتغاير على أقسام متوازية فى طول الارض ليتفق كل قسم فى المشارق والمغارب على حال واحدة بالتقريب كان أصوب** •• ثم تأمل النهار الاطول والأقصر فان النظر فيهما لتكافئهما واحد ، فوجده من جهة الشمال حيث الناس متمدنون وعلى قضايا الاعتدال خلقا وخلقا مجتمعون ، دون المتوحشين المختفين فى الغياض والقفار ١٣ ساعة •• فجعل الحد الجنوبى وسط الاقليم الاول ثم الحد الشمالى وسط الاقليم السابع وسائر الاقاليم تتزايد نصف ساعة فى النهار الاطول فى أوساط الاقاليم • واما ما وراء

(٩) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٥٢ ، ١٤١ ، ٣٧٥

الاقليم السابع منها فأرضون يعرض البرد فى قيظهـا ويهلك فى شتائها الذى هو أطول فصول السنة فيها فيقل قاطنوها » (١٠) ٠

وقد أفاض الجغرافيون الاقدمون فى وصف **مزايا الاقليم الرابع** ـ وهو الاقليم الذى تدخل فيه كثير من الثغور ٠ وقد حدده ابن رسـتة بأنه « يبتدىء من المشرق فيمر ببلاد التبت ثم على خراسـان فيكون فيها من المدن : ٠٠ وسر من رأى والموصل وبلد ونصـيبين وآمد وراس العين **وقالى قلاو شمشاط** وحران والرقة وقرقيسيا ، ويمر على شمال الشام ففيه من المدن **بالس ومنبج وسـميساط وملطيـة وزبطرة وحلب وقنسرين وانطاكية وطرابلس والمصيصة والكنيسـة السـوداء وأذنة وطرسوس وعمورية ولاذقية** ، ثم يمر فى بحر الشام على جزيرة **قبرس ورودس** ، ثم يمر فى أرض المغرب على بلاد طنجة وينتهى الى بحر المغرب » ٠ أما الاقليم الثالث فتدخل فيه من مدن الشـام والعراق ما يلى ذلك جنوبا ٠ « ويمر بكور الاهواز والعراق وفيها البصرة وواسـط وبغداد والكوفة والانباط وهيت ، ثم يمر على بلاد الشام وفيها من المدن الحيار وسـلمية وحمص ودمشق وصور وعكا وطبرية وقيسارية وأرسـوف وبيت المقدس ورملة وعسقلان وغزة ومدين وقلزم ، ثم يقطع الى أسفل أرض مصر ٠٠٠ (١١) »٠

ويمضى الجغرافيون المسلمون على هذا النحو فى تحديد موقع الثغور من الاقاليم السبعة على خلاف يسير ، **فالمقدسى مثلا يجعل مدينة ملطية فى الاقليم الخامس (١٢) ويدخل ياقوت ضـمن نطاق الاقليم الخامس برذعة وميافارقين وأرمينية ودروب الروم وبلادهم وكل ماكان فى هذا السمت من البلدان شرقا وغربا ووقع طرفه الذى يلى الجنـوب قرب خلاط ودبيل وسميساط وملطية وعمورية (١٣) ٠ ويقسم ابن خلدون الاقليم الرابع الى تسعة أجزاء فرعية ، والجزء الخامس من هذه الاجزاء يبرز اقليم الثغور والعواصم** فى وضوح كما يبرز الاقاليم المتاخمة والمجاورة له فيعطينا صورة متكاملة « والجـزء الخـامس من هـذا الاقليم غمر البحر منـه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ، وينتهى الضلع الغربى منها الى آخر الجزء فى الشمال ، وينتهى الضلع الجنوبى منها الى نحو الثلثين من الجزء ، ويبقى فى الجانب الشرقى من الجزء قطعة نحو الثلث ، يمر الشـمالى منها الى

(١٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٦ ـ ٧
(١١) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ٩٧ ـ ٨
(١٢) المقدسى : احسن التقاسيم ص ٦٠ ـ ١
(١٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٠ ـ ١

الغرب منعطفا مع البحر كما قلناه ، وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر في وسطها **جبل اللكام** الى أن ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهبا الى القطر الشرقي الشمالي ، ويسمى بعد انعطافه جبل السلسلة ، ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس • ويحوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق • ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها ببعض الى أن ينتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متأخر الى آخر الجزء من الشمال ؟ **وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب** وهي التي تفضي الى بلاد الارمن • وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة • فاما الجهة الجنوبية التي قدمنا ان فيها اسافل الشام ، وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب الى الشام ، فعلى ساحل البحر منه بلد **انطرطوس** في أول الجزء من الجنوب متاخمة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث • **وفي شمال انطرطوس جبلة ثم اللاذقية ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم** • وأما جبل اللكام المعترض بين البحر وآخر الجزء بحافاته فيصاقبه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيه حصن الحواني وهو للحشيشة الاسماعيلية ـ ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ، ويسمى الحصن **مصبات** وهو قبالة انطرطوس • وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية في الشمال عن حمص • وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلد **انطاكية** ويقابلها في شرق الجبل المعرة ، وفي شرقها المراغة **وفي شمال انطاكية المصيصة ثم أذنة ثم طرسوس آخر الشام • ويحاذيها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة • وقبالة قنسرين في شرق الجبل حلب • ويقابل عين زربة منبج آخر الشام • وأما الدروب فعن يمينها ما بينها وبين البحر الرومي بلاد الروم** التي هي لهذا العهد للتركمان وسلطانها ابن عثمان • وفي ساحل البحر منها بلد انطاكية والعلايا • وأما **بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة ففيها بلد مرعش وملطية** والمعرة الى آخر الجزء الشمالي • ويخرج من الجزء الخامس في بلاد الارمن **نهر جيحان ونهر سيحان** في شرقه فيمر بها جيحان جنوبا حتى يتجاوز الدروب • ثم يمر بطرسوس ثم بالمصيصة ، ثم ينعطف هابطا الى الشمال ومغربا حتى يصب في البحر الرومي جنوب سلوقية • ويمر نهر سيحان موازيا لنهر جيحان فيحاذي المعرة ومرعش ويتجاوز جبال الدروب الى أرض الشام ، ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر جيحان ثم ينعطف الى الشمال مغربا فيختلط بنهر جيحان عند المصيصة ومن غربها • واما **بلاد الجزيرة** التي يحيط بها منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد

الرافقة والرقة ثم حران ثم سروج والرها ثم نصيبين ثم سميساط وآمد تحت جبل السلسلة • وآخر الجزء من شماله وهو أيضا آخر الجزء من شرقيه • ويمر في وسط هذه القطعة **نهر الفرات ونهر دجلة** يخرجان من الاقليم الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوبيا الى أن يتجاوزا جبل السلسلة • فيمر نهر الفرات من غربي سميساط وسروج وينحرف الى الشرق فيمر بقرب الرافقة والرقة ويخرج الى الجزء السادس • ويمر دجلة في شرق آمد وينعطف قريبا الى الشرق فيخرج قريبا الى الجزء السادس » •

ويقسم ابن خلدون الاقليم الخامس الى عشرة اجزاء ، « **وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي** خرجت اليه من الاقليم الرابع مضرسة كلها بقطع من البحر •• ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية •• **وفي الجزء الخامس من غربيه وجنوبه ارض باطوس** وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية ، وفي شرقي عمورية **نهر قباقب** الذي يمد الفرات ــ يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط الفرات قبل وصوله من هذا الجزء الى ممره في الاقليم الرابع • وهنالك في غربيه آخر الجزء في مبدأ نهر سيحان ثم نهر جيحان غربيه الذاهبان على سمته ، وفي شرقه هنالك مبدأ نهر الدجلة ــ وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر دجلة بلد ميافارقين • ونهر قباقب يقسم هذا الجزء لقطعتين : احداهما جنوبية غربية وفيها أرض باطوس وأسافلها الى آخر الجزء شمالا ووراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقب أرض عمورية ، والقطعة الثانية شرقية شمالية في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد البيلقان متصلة بأرض عمورية من وراء جبل قباقب وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفرات بلد خرشنة ، وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من **بحر نيطش** الذي يمده خليج القسطنطينية • **وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية** متصلة الى أن يتجاوز وسط الجزء الى جانب الشرق •• ومن هنالك مخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع » (١٤) •

ويحدد الجغرافيون المسلمون **طول كل اقليم وطول النهار فيه** • ويجعل المسعودي أطول ساعات النهار في الاقليم الرابع ١٤½ ساعة ، وأطول ساعات الاقليم الخامس ١٥ ساعة(١٥) • أما عن طول الظل فيقول

---

(١٤) ابن خلدون : المقدمة طبعة الدكتور وافي جـ ١ ص ٣١٠ ، ٣١٩ ـ ٣٢٠

(١٥) المسعودي : التنبيه والاشراف ص ٢٩

المقدسى « الاقليم الرابع أوله حيث يكون الظل فيه فى نصف النهار أربعة أقدام وثلاثة أخماس وثلث خمس قدم ، وعرضه نحوا من مائتين وستين ميلا ونيفا قاصدا .. والاقليم الخامس أوله حيث يكون الظل خمسة أقدام وثلاثة أخماس وسدس خمس قدم ، والذى بين طرفيه عرضا نحو مائتين وثلاثين ميلا قاصدا » . ويفصل ياقوت القول فى طول النهار والظل ، وطول كل اقليم وعرضه وبروجه (١٦) .

وقد أبرز الجغرافيون المسلمون أوجه أفضلية الاقليم الرابع فهو « وسط الأقاليم السبعة وأعدلها وأفضلها ـ وبلد العراق وسطه فهو شرف الأرض وصفوتها : أعدلها غذاء وأصفاها هواء ، متوسط بين افراط الحر والبرد ، وموضعه الموضع الذى ينقسم فيه الزمان أربعة أقساط فلا يخرج ساكنوه من شتاء الى صيف حتى يمر بهم فصل الربيع ، ولا من صيف الى شتاء حتى يمر بهم فصل الخريف ، ولما ذكرنا من توسطه كانت ملوك سوالف الامم تحله ، اذ كان نسبة الملك الى المملكة التى هو عليها نسبة القلب الى البدن الذى هو فيه(١٧) » . «ولما كان الجنبان من الشمال والجنوب متضادين فى الحر والبرد ، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا . فالاقليم الرابع أعدل العمران ، والذى حافاته من الثالث والخامس أقرب الى الاعتدال ، والذى يليهما من الثانى والسادس بعيدان عن الاعتدال ، والاول والسابع أبعد بكثير . فلهذا كانت العلوم والصنائع والمبانى والملابس والاقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون فى هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال . وسكانها من البشر أعدل أجساما والوانا وأخلاقا وأديانا ، حتى النبوات فانها توجد فى الاكثر فيها .. ولهذا كان العراق والشام أعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات .. وأهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة أهل الاعتدال فى خلقهم وخلقهم وسيرهم ، وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والملك ، **فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمبانى والفراسة والصنائع الفائقة وسائر الاحوال المعتدلة .** وأهل هذه الاقاليم التى وقفنا على أخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل واليونان وأهل السند والهند والصين. ولما رأى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا ذلك لأجل الانساب(١٨) » .

---

(١٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٦٠ ـ ١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٩:٣١

(١٧) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٢ ـ ٣

(١٨) ابن خلدون : المقدمة ـ طبعة الدكتور وافى جـ ١ ص ٣٣٠ : ٥٠

وفيما يلى وصف الجغرافيين المسلمين للمنطقة المحيطة بالثغور والعواصم : الجزيرة والشام ، وأرمينية ، وبلاد الروم ، وجزر بحر الروم.

(أ) الجزيرة :

كان اقليم الجزيرة وشمالى الشام وحدة تتمم بعضها بعضا من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين • والجزيرة هى المنطقة الشمالية الخصبة بين دجلة والفرات وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد الى الجبال الفارسية • وقد سكن هذه المنطقة الآراميون الذين عرفوا غالبا باسم لهجتهم فسموا السريان ، وكثر السكان العرب هناك قبل الاسلام الذين قدموا غزاة أو مهاجرين حتى غدت الجزيرة بالنسبة لهم (ديارا) عرفت بأسماء قبائلهم التى استقرت فيها مثل ديار ربيعة ومضر وبكر ، كما وجدت فيها عناصر من السكان المجاورين من الأرمن والكرد والفرس • وقد نشأت فى هذه البلاد التى كانت فى طريق الغزاة والهجرات منذ أقدم العصور دول عديدة أشهرها آشور • وبعد أن ظهرت فى ايران دول قوية أصبحت الجزيرة موضع نزاع بينها وبين الدول الغالبة فى البحر المتوسط ، ومع ذلك ظهر فيها دويلات مستقلة عن هذه الدول الكبرى تشبه الدويلات الحاجزة فى الشام ، ولعل أشهرها **دويلة الرها أو أدسا** Edessa التى كان يسكنها عناصر آرامية أو عربية بدليل أسماء ملوكها مثل ابجر ووائل ومعين ، وقد يكون الفرس هم الذين قضوا عليها • وقد تناوشت هذه البلاد قبل الاسلام أيدى الروم والفرس ولم يكن لها كيان مستقل وجاء فتح المسلمين للجزيرة مترتبا على السير فى حركة الفتوح الاسلامية من أجل تأمين فتوحاتهم بالشام والعراق وتنحية الجيوش البيزنطية عن مواقعها التى لا تزال تحتفظ بها فى الجزيرة بعد هزيمتها فى الشام • وقد تهيأ للجزيرة بحكم موقعها الجغرافى المتوسط وكونها معبرا بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وارمينية وأذربيجان وبحكم أنهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية وبخاصة الزراعية ومدنها المتعددة الآهلة النشطة ـ أن تكون ذات أهمية خاصة بين أقاليم الخلافة العباسية فقد كانت الجزيرة ـ مع العراق ـ جسرا أرضيا **يوصل بين طرق المواصلات البحرية في جنوبى آسيا وطرق المواصلات البحرية فى جنوبى أوربا** ، وذلك بحكم الموقع المتوسط بين البحر المتوسط والخليج الفارسى • وكانت أهميته فى زمن العباسيين عظيمة جدا بالنسبة لتجارة الشرق والغرب اذ لم تكن قناة السويس قد فتحت بعد • وقد وصف موقع العراق عموما بأنه يكون جزءا من طريق الدائرة الكبيرة Great Circle Route

وهو اقصر الطرق بين غربي أوربا وجنوبي شرقي آسيا • أما **موقع العراق** الاستراتيجي العسكري فقد وصفه العسكريون بأنه غاية في الأهمية لأنه يقع ضمن الجسر الارضي الذي يوصـــل القارات الثلاث : آسيا وافريقية وأوربا بعضها ببعض كما يوصل بين المحيط الهندي والبحر المتوسط • وقد كان للعراق بحكم موقعه أهمية دولية ، ومن هنا شهد حملات كورش والاسكندر وحكم الســلوقيين والبارثيين والساسانيين وحملات العرب المسلمين وغارات المغول والاتراك العثمانيين • وقد اتخذ الفرس فيه بابل عاصمة ثانية لهم ، واتخذ السلوقيون سلوقية قرب بابل على دجلة عاصمة، وعلى الضفة المقابلة اتخذ البارثيون طيسفون عاصمة ، وعرفت المدينتان باســم المدائن ، وفي العراق كانت الكوفة وبغداد عاصمتين بعد الفتح الاسلامي • وفي كل هذه الأدوار حدث تفاعل بين الحضارات ونظم الحكم المختلفة • وكانت تقاليد البارثيين والساسانيين في الادارة امتدادا لنظم الأشوريين والفرس وشريعة حمورابي • كذلك شغل العراق **موقعا بشريا هاما** : فمنطقة المغول توجد شمالي الهملايا في شرقيه ، والى الشمال تقع منطقة القوقاز ، بينما تمتد الجزيرة العربيــة بازاء افريقية • وقد حدثت اتصالات بين هذه المناطق خلال الازمنة الغابرة بدرجات متفاوتة ، ولكنها ذابت في خصائص الشعب الذي استوطن العراق من أقدم الأزمنة ، وهي خصائص جنس البحر المتوســط ذي الرءوس الطويلة ، واليه ينتسب الساميون والاكراد في سهول العراق وجبالها (١٩) •

وقد أطلق المقدسي على اقليم الجـزيرة اســم (اقليم أقور) ، في شمالي ما بين النهرين (٢٠) • وعند ياقوت أن آقور كورة بالجزيرة ، أو هي الجزيرة التي بين الموصل والفرات بأسرها ، وهناك أيضا آثور لا اسم الموصل ، وقيل كان اسمها آتور • وببلد الموصل بقرب السلامية بليدة خراب يقال لها أقور وكان الكورة كانت مسماه بها » (٢١) •

ويفتح **الخليج الفــارسي** لوادي دجلة والفرات طريقا نحو المحيط الهندي حيث حاصلات الشرق النفيسة ، بينما يفتح **الفرات** طريقا لهـا نحو البحر المتوسط حيث كان الاتصال بين الاغريق والروم (٢٢) •

---

(١٩) دكتور ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ١ ص ٢٠٧ : ٢١٠ ، دكتور جاسم الخلف : محاضرات في جغرافية العراق ص ٨ : ١٦ ، ٣٨٨ : ٣٩٠
Canard. Hist. de la Dyn. des Hamdanides p. 143

(٢٠) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٣٦ ، لي سترينج • بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١١٤ •

(٢١) ياقوت : معجم البلدان ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع جـ ١ ص ٢٧ ، ١٠٦

(٢٢) Gaudefroy-Demombynes, Platonov: Le Monde Musulman p. 40

الأنهار (دجلة والفرات) :

يستقبل دجلة والفرات فى بلاد بين النهرين العليا روافدهما كلهـا من يسارهما فقد كانت هذه الروافد تنحدر اليهما من شمالهما الشرقى او من الشمال • وقد شذ عن هذه القاعدة فى القرون الوسطى انصراف ماء نهر هرماس الآتى من نصيبين ، والهرماس زافد الخابور (الكبير) وقد سكرت مياه الهرماس فوق موضع اجتماعه بالخابور بسكير العباس وبينما كان قسم من مائه يجرى فيلتقى هو والخابور الذى يصب فى الفرات عند قرقيسياء ـ كانت ميـاه نهر الهرماس نفسه تنصب فى يمين دجلة عند تكريت بعد أن تجرى فى واد يقال له الثرثار •

وقد كانت حدود بكر ومضر وربيعة التي قامت قبل الفتح العربي ـ في العهد الساساني ـ واستمرت بعد الاسلام قد عينتها الفواصـل المائية • فديار بكر ـ هي أقصى الديار الثلاثة شمالا وهي سقي دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم حيث يغير اتجاهه من اتجاه غربى شرقى الى الاتجاه الجنوبى الشرقى ، وتصل ديار بكر جنوبا الى أسـفل من تل فافان مع ما فى شمالها من أرض كانت تسقيها روافد دجلة الكثيرة التى تصب فى يساره قرب تل فافان وعاصمتها آمد ومن مدنها العامة ميافارقين وأرزن •

وكانت **ديار مضر** الى الجنوب الغربى وهى أكثر جهات الجزيرة تطرفا نحو الغرب • وتشمل الاراضى المحاذية للفرات من سميساط حيث يغادر سلاسل الجبال منحدرا الى عانة ، مع السهول التى يسقيهـا نهر البليج رافد الفرات الآتى من حران • وعاصمتهـا **الرقة** ومن مدنها الهـامة **الرها وحران وبالس •**

اما ديار ربيعـة فقـد كانت فى شرقى ديار مضر ، وتتألف من الأراضى التى فى شرقى الخابور (الكبـير) المنـدر من رأس العين ومن الأراضى التى فى شرقى الهرماس وهـو النهـر المنسـاب فى وادى الثرثار نحو الشرق الى دجلة ، كمـا تتألف من الأراضى على ضفتى دجلة التى تمتـد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أى الأراضى التى فى غربى دجـلة حتى نصـيبين والتى فى شرقه المشـتملة على مضر أكثر أقسام الجزيرة أهمية وفيها العاصمة **الموصل** بجانب مدن هامة كثيرة (مثل رأس العين وماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر(٢٣)) •

---

(٢٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١١٤ ـ ٥ ،
Canard : Hist de la Dyn. des Hamdanides, pp. 77

وقد ذكر **ابن خرداذبة** ان مخرج **الفرات** من تالتفلا ، ويمر بأرض **الروم** ويستمد من عيون كثيرة ويصب فيه ارسناس نهر شمشاط ، ويجيء الى كمخ ويخرج على ميلين من ملطية ، ويجيء الى جبلتـــا حتى يبلغ الى سميساط فيحمل من هناك السفن والاطواف ويجيء حتى يبلغ السواد ، فيتشعب منه أنهـار فى ســواد بغداد ويصب فى دجلة ، وبعضه يمر فى الكوفة فيخترق سوادها ثم يصب فى دجلة أيضا أسفل المدائن • كما تتبع **ابن رستة** مجرى نهر الفرات من مخرجه ببلاد الروم : **فهو يقبل من الشمال** حتى يمر بالجزيرة والرقة ثم ينحدر الى الكوفة ، وفى غربية بلاد الشام وفى شرقيه بلاد الجزيرة ، ثم ينصب فى البطائح بعد أن يتفرع فيصير أنهارا عظـاما ومصبه فى البطـائح موضع كسكر • ويورد ياقوت روافد الفرات فيقول « ويصب اليه أنهار صغار **نحو نهر سنجة ، ونهر كيسوم ، ونهر ديصان ، والبليخ** ـ حتى ينتهى الى قلعة نجم مقابل منبج ، ثم يحادى بالس الى دوسر الى الرقة الى رحبة مالك بن طوق ثم الى عانة ثم الى هيت فيصير **أنهارا تسقى زروع السواد : منها سورا وهو أكبرها ، ونهر الملك وهو نهر صرصر ، ونهر عيسى بن على ، وكوثا ، ونهر سوق أسد والصراة ونهر الكوفة ، والفرات العتيق** •• فاذا سقت الزروع وانتفع بمياهها فمهما فضل من ذلك انصب الى دجلة : منها ما يصب فوق واسط ، ومنها مايصب بين واسط والبصرة فتصير دجلة والفرات نهرا واحدا عظيما » •

ومخرج **الخابور** من رأس العين فى أعلى الجزيرة ويستمد من الهرماس ويجرى وسط بلاد الجزيرة ويصب فى الفرات عند قرقيســـيا • ومخرج **الهرماس** من طور عبدين ويصب فى الخابور « وهو نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص ، وانما يخرج منها الى نصيبين من الماء القليل ، لان الروم بنت هذه الحجارة عليها لئلا تغرق المدينة ، وفاضل مائها يصب فى الخابور ثم الثرثار ثم الى دجلة » ، ومخرج البليخ من عين الذهبانة من أرض حران ويصب فى الفرات أسفل الرقة العوجاء « وقد بنى مسلمة بن عبد الملك حصنا بعد خمسة أمبـــال من مجرى النهر فى أرض حران يكون أسفله قدر جريب وارتفاعه فى الهـــواء أكثر من خمسين ذراعا • وأجرى ماء تلك العيون تحته ، فاذا خرج من تحت الحصن سمى بليخا ، ويتشعب من ذلك الموضع أنهار تسقى بساتين وقرى ثم تصب فى الفرات تحت الرقة بميل» • وكان الخابور يستقبل فى يســاره ميـــاه نهر **ماردين** الآتى من رأس العين ، ويصب فيه أسفل من ذلك نهر الهرماس الآتى من نصيبين ، على ان أكثر مياه هذا النهر كانت تنساب من سكير العبـــاس ـ وكان على شيء يسير

فوق ملتقى الهرماس بالخابور ـ الى وادى الثرثار فتجتمع بذلك في الخابور مياه ثلاثة أنهار كبيرة ، هذا الى ما ينصب فيه من مياه ٣٠٠جدول على ما ذكر المستوفى •

ومخرج مياه دجلة كما يذكر ابن خردادبه من جبال آمد ، وتمر بجبال السلسلة وتستمد من عيون كثيرة من نواحي أرمينية ، ثم تمر ببلد ـ ومن ثم تحمل السفن والاطواف ، وتستمد من الزابين والنهروان والصراتين وتصب في البطائح ثم تصب في البحر الشرقي ، وقد ذكر ابن رستة أن دجلة العوراء كانت قبل الاسلام تستقيم من عند المذار ، وهي في أيامه منقطعة لتكون البطائح في منطقة واسط •

ويورد ياقوت « ان أول مخرج دجلة من موضع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد من موضع يعرف بهلورس من كهف مظلم • وأول نهر ينصب الى دجلة يخرج من فوق شمشاط بأرض الروم يقال له نهر الكلاب ثم أول واد ينصب اليه واد بين ميافارقين وآمد • وقيل يخرج من هلورس ، ثم ينصب اليه وادى ساتيدما وهو خارج من درب الكلاب بعد أن ينصب الى وادى ساتيدما وادى الزور الآخذ من موضع بظاهر أرمينية وينصب أيضا من وادى ساتيدما نهر ميافارقين ، ثم ينصب اليه وادى السربط الآخذ من ظهر أبيات أرزن • ثم توافى دجلة موضعا يعرف بتل فافان ، فينصب اليها وادى الرزم حيث يكثر ماء دجلة وهذا الوادى مخرجه من أرض أرمينية ، وفى وادى الرزم ينصب الوادى المشتق لبدليس وهو خارج من ناحية خلاط ، ثم تنقاد دجلة كهيئتها حتى توافى الجبال المعروفة بجبال الجزيرة فينصب اليها نهر يرني يخرج من دون ارمينية فى تخومها ، ثم ينصب اليها نهر باعينانا ، ثم توافى أكناف جزيرة ابن عمر فينصب اليها واد مخرجه من ظاهر أرمينية يعرف بالبويار ، ثم توافى ما بين باسورين والجزيرة فينصب اليها وادى دوشا ويخرج من الزوزان بين أرمينية وأذربيجان ، ثم ينصب اليها وادى الخابور وهو خارج من الزوزان • (على أن ياقوت يذكر فى موضع آخر وخابور الحسنية من أعمال الموصل فى شرقي دجلة ـ نهر من جبل بأرض الزوزان عليه عمل واسع شمالى الموصل ، وقيل مخرجه من أرمينية ويصب فى دجلة) ، ثم تستقيم على حالها الى بلد والموصل فيعصب اليها ببلد من غربيها نهر ، ثم لا يقع فيها قطرة حتى توافى الزاب الاعظم مستنبطة من جبال أذربيجان ـ يأخذ على زركون وبابغيش فتكون ممازجته اياها فوق الحديثة بفرسخ ، ثم تأتى السن فيعترضها الزاب الاسفل مستنبطة من

أرض شهر زور ، ثم توافى سر من رأى ، وقيل ان أصل مخرجه من جبل قرب آمد عند حصن ذى القرنين من تحته تخرج عين دجلة ثم كلما امتدت انضم اليها مياه جبال ديار بكر حتى تصير بقرب البحر مد البصر ثم يمتد الى ميافارقين ثم الى حصن كيفا ثم الى جزيرة ابن عمر ثم الى بلد والموصل ثم الى تكريت » ٠

ومخرج **الزابين** من جبال أرمينية ويصبان فى دجلة : الكبير بالحديثة والصغير بالسن ٠ يقول ياقوت « الزاب الأعلى بين الموصل واربل ومخرجه من بلاد مشتكهر ــ وهو حد ما بين أذربيجان وبابغيش ، وهو ما بين قطينا والموصل ــ من عين فى رأس جبل ينحدر الى واد وهو شديد الحمرة ، ويجرى فى جبال وأودية وحزونة حتى يصفو قرب الموصل ثم يقلب فى أرض الموصل حتى يخرج فى كورة المرج من كور الموصل ، ثم يمتد حتى يفيض فى دجلة على فرسخ من الحديثة ــ وهذا هو المسمى بالزاب المجنون لشدة جرية ٠ وأما الزاب الأسفل فمخرجه من جبال السلق ما بين شهرزور وأذربيجان ثم يمر الى ما بين دقوقا واربل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ، ثم يمتد حتى يفيض فى دجلة عند السن » ٠

ومخرج **الثرثار** من الهرماس ويمر بالحضر ويصب فى دجلة « وهو واد عظيم بالجزيرة يمد اذا كثرت الأمطار ، فأما فى الصيف فليس فيه الا مناقع ومياه حامية وعيون قليلة ملحة ، وهو فى البرية بين سنجار وتكريت ــ كان فى القديم منازل بكر بن وائل واختص بأكثره بنو تغلب منهم ٠ وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة ولهم فى ذكره أشعار كثيرة وتنصب اليه فضلات من مياه نهر الهرماس ، ويمر بالحضر ثم يصب فى دجلة أسفل تكريت ، ويقال ان السفن كانت تجرى فيه وكانت عليه قرى كثيرة وعمارات » ٠

ومخرج **النهروان** من جبال أرمينية ويمر بباب صلوى ويسمى هناك تامرا ويستمد من القواطيل ، فاذا صار بباجسرى سمى النهروان ويصب فى دجلة أسفل جبل « وقد كان على فوهته مصلحة ذات أبواب تسد عند قلة الماء وتفتح عند زيادته ، ومدنه وقراه باقية ليس فيها أحد لانقطاع الماء بسبب خراب المصلحة (٢٤) » ٠

---

(٢٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٧٤ ــ ٥ ، ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص ٩٣ : ٦ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٥٢ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٦ ص ٣٤٧ ــ ٨ ، جـ ٤ ص ٣٨ ــ ٩ ، ص ٣٦٤ ، جـ ٣ ص ١٠ ، ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع بتحقيق البجاوى جـ ١ ص ٤٤٤ ، ٢٢١ ، جـ ٣ ص ١٤٠٧ ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٥١ : ٧

وقد ذكر المقدسي أهم خصائص اقليم أقور : « به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء .. ثم هو **ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم** ـ لأن آمد اليوم دار جهادهم والموصل من أجل أنضادهم وجزيرة ابن عمر أحد منازلهم ، ومع ذلك هو **واسطة بين العراق والشام ، ومنازل العرب فى الاسلام** ، ومعدن الخيل العتاق ومنه ميرة أكثر العراق ، رخيص الأسعار جيد الثمار ومعدن الأخيار .. أما الهواء والرسوم فمقاربة للشام مشابهة للعراق ، وبه مواضع حارة ، وبه نخيل مثل سنجار ، ومدن الفرات وكورة آمد باردة لقربها من الجبال ، وأصح بلدانه هواء الموصل ، وأكثر بنيانهم الحجارة .. وليس فيه بحيرة ولا يتصل ببحر » (٢٥) .

نظرة اقليمية شاملة :

ويقسم سطح الجزيرة ـ والعراق بوجه عام الى ثلاثة أقسام **سهل رسوبى** فى وسط وجنوبى العراق يحيط بدجلة والفرات ، **وهضبة صحراوية** فى غربى العراق ، **ومنطقة جبلية** فى الشمال الشرقى من العراق . وطبيعة الارض فى المنطقة الجبلية ليست على نمط واحد ، فالقسم المجاور للحدود الايرانية والتركية الحالية أكثر ارتفاعا وتعقيدا فى تركيبه فهو وعر المسالك ولا تتخلله الا وديان ضيقة وسهول صغيرة ويكون حوالى ¼ المنطقة الجبلية ، أما ثلاثة الارباع الباقية منها فهى مكونة من سلاسل جبلية التوائية تمتد من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقي وتتخللها وديان واسعة وسهول كبيرة ويقل ارتفاع جبالهاوتزداد سهولها اتساعا كلما اتجهنا نحو الجنوب والغرب حتى تندمج فيالسهل الرسوبى والهضبة الصحراوية .

وقد ترتب على هذا التباين في سطح العراق تباين فى أحواله الطبيعية والبشرية . فكثرت الأمطار والثلوج على جباله العالية وانحدرت منها أنهار مثل الخابور والزابان الكبير والصغير نحو الضفة الشرقية من دجلة بينما انعدمت على ضفته الغربية لانخفاض الأراضى هناك وقلة الأمطار ، وليس للفرات روافد فى الأراضى العراقية ، ووسط العراق وجنوبه أمطارهما قليلة ، ونظرا لقلة الارتفاع فى هذا الجزء فقد تعرض لفيضانات الأنهار وتكونت به بحيرات ومستنقعات كثيرة .. على أن لانبساط الاراضى بوجه عام وقد يسر المواصلات ، والانهار فى بعض أقسامها صالحة للملاحة ، وأثر امتداد السلاسل الجبلية من الشمال الغربى الى

---

(٢٥) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٣٦ ، ١٤٢ .

الجنوب الشرقي على سبيل الانتقال فاصبحت أيسر في هذا الاتجاه منه في الاتجاهات الأخرى ، واختلفت الثروة المعدنية والأحوال المعيشية والبشرية تبعا لاختلاف السطح أيضا ٠ (٢٦)

المدن :

ينقسم هذا الاقليم الى ديار ثلاث : ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التى نزلت الاقليم قبل الاسلام ٠ وكانت الموصل على دجلة أكبر مدن ديار بكر التى هى أقصى الديار الثلاثة شمالا ٠

ديار ربيعة : وهي بين الموصل الى رأس عين ، وربما جمع بين ديار بكر وربيعة ٠

الموصل : قاعدة ديار ربيعة على ضفة دجلة الغربية حيث تتصل عواقيل النهر فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان الموصل انما جاء اسما من هذا الاتصال ، وكان يقوم فى موضعها أيام الساسانيين مدينة بوذ أردشير ٠ وعلا شأن الموصل أيام بني أمية ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التى فى الجانب الغربى بخرائب نينوى فى الجانب الشرقي وصارت الموصل في عهد مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قاعدة اقليم الجزيرة وبني فيها الجامع الذى عرف بعدئذ بالجامع العتيق ٠ وقد وصف ابن حوقل المدينة ـ وكان فيها سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩م) بأنها بلدة طيبة عامرة الأسولق نواحيها ورساتيقها كثيرة الخيرات ، وكان جل أهلها من الأكراد ٠ وقد عنى ابن حوقل بسرد ما حول الموصل من كور ورساتيق كثيرة تؤلف ديار ربيعة . وقال المقدسى « بلد جليل... حسن الأسواق والفنادق ٠٠٠ منه ميرة بغداد واليها قوافل الرحاب » وقد زارها ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) فوصفها بأنها « من المرافق الحربية . وفى أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا ينتظمها سور عتيق مشيد البروج » ٠ وسرد القزوينى أسماء الديارات المختلفة المجاورة للموصل وأشار بوجه خاص الى خندق الموصل العميق وقلعتها العالية ٠ أما تلول نينوى فكان يقال لها فى أيام المقدسى تل توبة ، وهو الموضع الذى خرج اليه النبى يونس لدعوة نينوى الى التوبة ٠ ويقول ياقوت ان الموصل هى « المدينة المشهورة العظيمة احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة ، فهى محطة رحال الركبان ومنها

---

(٢٦) دكتور جاسم الخلف : محاضرات فى جغرافية العراق ص ٣٤ : ٣٧

يقصد الى جميع البلدان ، فهي باب للعراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد الى اذربيجان ، وكثيرا ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة : نيسابور لأنها باب الشرق ودمشق لأنها باب الغرب والموصل لأن القاصد الى الجهتين قل مالا يمر بها • قالوا وسميت الموصل : لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ••• وكان أول من عظمها وألحقها بالأمصار العظام وجعل لها ديوانا برأسه ونصب عليها جسرا ونصب طرقاتها وبنى عليها سورا مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية وكان لها ولاية ورساتيق وخراج••»•

وعلى بضعة أميال من شرقي الموصل بلدتا برطلي وكرمليس وقد ذكرهما ياقوت والمستوفي ، والى شمالهما بقليل باعشيقا ، وقرب ذلك مر جهينة أو مرج جهينة على ضفة دجلة أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل وتكريت يستقبل دجلة في ضفتيه مياه الزابين ، ويصب أحدهما على نحو مائة ميل فوق الآخر ، وقد أطرى ابن حوقل المراعى والمزارع الخصبة الواسعة بين هذين النهرين • وتعرف البلاد التى يمر فيهاب الزاب الكبير على ما ذكر ياقوت باسم مشتكهر وبابغيش •

الحديثة : وتسمى حديثة الموصل تمييزا لها عن حديثة الفرات وعندها مصب الزاب الأعلى في دجلة ، والمدينة على فرسخ فوق المصب ، أعادها الى العمارة مروان الثاني على جرف يشرف على مناقع • وهي ذات بساتين وأشجار وقد بنيت على شبه دائرة ، ويصعد اليها من دجلة بدرج، وقد كانت قصبة الكورة قبل قيام الموصل وعرفت أيام الساسانيين باسم نوكرد •

السن : على ميل تحت ملتقى الزاب الأسفل بدجلة على ما في المسعودى ، ولكنها على ما في المقدسي فوقه ، والزاب الأصغر في شرقها ، وكان معظم أهلها نصارى ، وكانت تميز بسن بارما اذ كان دجلة يقطع جبال بارما قربها ، وللمدينة سور • والواقع أن أسافل الزابين قد تبدلت كثيرا منذ المائة الرابعة للهجرة (العاشرة الميلادية) فلم يعد أثر اليوم للسن والحديثة •

ومن جنوبي السن كان طريق البريد الى سامراء وبغداد يساير ضفة دجلة اليسرى • وعلى نيف ومائة ميل من شرق السن مدينة دقوقاء أو دقوق ، وقد تكلم المستوفي على نهر دقوق ومخرجه من جبال كردستان ويفنى ماؤه أسفل مدينة دقوق في الأرض الرملية ويصل الى دجلة في موسم الفيضان على قوله • وحين كان النهروان حيا بأجمعه كانت مياه نهر دقوق في فيضان الربيع تنصب في النهروان •

اربل : وهي اربلا القديمة في فضاء من الأرض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير ، وقد وصفها **ياقوت** بأنها مدينة يقصدها التجار وقلعتها على تل من التراب عال عظيم ، ولها خندق عميق وينقطع سورها في نصفها ، وفيها سوق عظيمة •

جزيرة ابن عمر : نسبة الى الحسن بن عمر التغلبي بانيها ، وكانت دجلة على ما ذكر ياقوت تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة شبه الهلال ، ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء • ووصف ابن حوقل الجزيرة فقال : « عليها سور وهي **فرضة لأرمينية** » ، وقال المقدسي ان دجلة بينها وبين الجبل • وكان قبالة جزيرة ابن عمر **بازبدى** وهي قرية تقوم مقام الحصن الروماني Bazabda • ويرى من شرقي جزيرة ابن عمر جبل الجودي وفي قمته مسجد نوح وتحت الجبل قرية الثمانين • وينصب في يسار دجلة قرب جزيرة ابن عمر روافد كثيرة ذكرها ياقوت هي يرني وباعنياثا ـ وعليه قرية بهذا الاسم ، وأسفل هذه المدينة شمال خابور الحسنية ينحدر نهر البويار ودوشا من ارض الزوزان • وفي جانب دجلة الغربي في سمت جزيرة ابن عمر كورة **طور عبدين** الجبلية وأهلها يعاقبة وفيها مخرج نهرى الهرماس وخابور نصيبين •

نصيبين : هي Nisibis عند الرومان تقوم في أعالى نهر الهروماس وقد سماه جغرافيو اليونان Socoras او Mygdonius وكانت مركزاهاما للمواصلات مع الجزيرة وبين النهرين وارمينية • وكان طريقها مع أرمينيه هاما من الوجهتين الحربية والتجارية ، وأهميته التجارية في العصور الوسطى بصفة خاصة تتصل بالحرير والقطن • ونصيبين من أعظم مدن الجزيرة شأنا ، وصفها ابن حوقل فقال : **هي أجل بقاع الجزيرة وأحسنها** ، الى سعة غلات من الحبوب والقمح والشعير ، ومخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا • وقال المقدسي : انها أرحب من الموصل وبها حصن من حجر وكلس • واطرى ابن جبير بساتينها ، **وعلى نهر الهرماس جسر** معقود من الحجارة • وقد اشار ياقوت الى اهمية موقعها « **على جادة القوافل من الموصل الى الشام** ، وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها اربعون الف بستان ، وعليها سور **كانت الروم بنته واتمه انوشروان الملك** عند فتحه اياها » • وكان أكثر نصيبين قرمد خرب عندما زارها ابن بطوطة في المائة الثامنة للهجرة •

راس العين : قرب منابع الخابور وهي Resaina الرومانية على نهر خابوراس Chaboras مشهورة بكثرة عيونها البالغة ٣٦٠ على ما يقال ،

وتجتمع فتسقى بساتينها كأنها بستان واحد ، ثم تصب مياهها في الخابور . ووصف ابن حوقل رأس العين فقال : انها مدينة ذات سور من حجارة وداخل السور بساتين وطواحين . وبالقرب منها عين كبريت يظهر ماؤها أخضر ليس له رائحة ، ورأس العين بين حران ونصيبين ودنيسر .

ماردين : على نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين فى شمالهما وتشرف على دنيسر التى تحتها فى السهل على نحو ٣ فراسخ جنوبها ، وفى المائة الرابعة كان يقال لتلك القلعة **الباز** وهى معقل أمراء بنى حمدان . وهذه القلعة على قمة جبل وفى جانبها الجنوبى نشأ ربض عظيم كان آهلا فى المائة السادسة هـ ، والدور فيها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب منها يشرف على ما تحته « والذى لاشك فيه أنه ليس فى الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم » ـ كما يقول ياقوت .

ودنيسر : على بضعة فراسخ منها وكانت فى المائة السابعة مدينة ذات أسواق عظيمة ويقال لها أيضا (قوج حصار) . وذكر ياقوت أنه حين زارها فى صباه فى نهاية المائة السادسة رآها قرية ولكنها سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٥م) « صارت مصرا لا نظير له كبرا وكثرة أهل وعظم أسواق » .

ودارا : على بضعة أميال شرقا . ذكر المقدسى أنها مدينة صغيرة زارها فى صباه فى نهاية المائة السادسة هـ رآها قرية ولكنها سنة ٦٢٣ (١٢٢٥م) « صارت مصرا لا نظير له كبرا وكثرة أهل وعظم أسواق » . وذكر ياقوت أنها « بلدة فى لحف الجبل بين نصيبين وماردين ذات بساتين ومياه جارية ، وعندها كان معسكر دارا لما لقى الاسكندر المقدونى » ، وكانت فى أيام الرومان قلعة عظيمة . وقد احتفظت **بأهميتها الاستراتيجية طوال أيام الرومان والبيزنطيين** ، بل وحتى القرن العاشر الميلادى كما تشهد بذلك الهجمات البيزنطية المتعددة التى استهدفتها .

وكفرتوثا : فى جنوبى غربى ماردين على نهرها الصغير ، وذكر ابن حوقل أنها صارت فى المائة الرابعة هـ بلدة قليلة الشأن عند ملتقى الطريق المنحدر من آمد وكانت حينذاك أوسع من دارا الا أن ياقوت أشار فى المائة السابعة هـ الى أنها قرية كبيرة .

وعند انحدار الخابور جنوبا يمر بمدينتى **عربان وماكسين** من أعمال ديار ربيعة ، والأولى كانت فى المائة الرابعة محاطة بسور منيع وتعمل فيها ثياب القطن ، أما الثانية فكان هناك جسر سفن يقطع الخابور عندها وكان القطن يكثر فيها أيضا وبقربها بحيرة صغيرة عميقة تسمى المنخرق .

وعلى مائة ميل أو يزيد جنوب نصيبين **سكر العباس** وكان هناك في المائة الرابعة مدينة كبيرة لها جامع وأسواق ·

سنجار : يجرى نهر الثرثار في برية سنجار بين مرتفعات جبل حمرين أو بارما ، ويستقبل من الشمال نهرا صغيرا ينحدر اليه من مدينة سنجار ، وكانت فى المائة الرابعة هـ مسورة بسور من حجر ونواحيها عامرة كثيرة الخيرات ، وهى مدينة مشهورة من نواحى الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام وهى فى لحف جبل عال · ويبدو أن المسيحية قد وصلت اليها قبل نصيبين ويذكر ابن بطوطة أنه وجدها مسكونة بالأكراد ، وكانت كثيرة القنوات والبساتين حتى شبهت بدمشق ·

والحضر هى Hatra عند الرومان · ذكر ابن سرابيون أن الثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاه بدجلة قرب تكريت ، وما زال يرى فى الحضر بقايا قصر بارثى كبير « ويقال كان فيه ستون برجا كبارا وبين البرج والبرج تسعة أبراج صغار بازاء كل برج قصر » ·

بلد : يتفرع عندها الطريق من الموصل الى نصيبين بحذاء دجلة الأيمن ، وتسمى الآن (اسكى موصل) وتقع على أربع فراسخ من الموصل· ويذهب طريق الى اليسار منها الى سنجار مارا بتل أعفر · وقد ذكر ابن حوقل أن بلد مدينة كبيرة ، وفوق تل أعفر على مرحلة واحدة من غربها قلعة حصينة تشرف على ربض كبير فيه نهر جار · أما الطريق الأيمن فانه يبدأ مما يلى بلد ويذهب الى **باعيناثا** وهى غير القرية الكبيرة باعيناثا الواقعة على النهر الذى يلتقى بدجلة شمال جزيرة ابن عمر · ويلى باعيناثا على طريق نصيبين **برقعيد** وهى بلد يضرب المثل بأهلها فى اللصوصية ، وكانت فى المائة الثالثة هـ بلدة كبيرة عليها سور ولها ثلاثة أبواب ، وماحلت المائة السابعة حتى تجنبتها أكثر القوافل فهان أمرها · **وأذرمة** فى نحو نصف المسافة بين برقعيد ونصيبين · وقد وصفها أحمد بن الطيب السرخسى من المائة الثالثة هـ بأنه كان بها قصر حسن ويشقها نهر عليه فى وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وحولها سوران احدهما دون الآخر ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة ·

ديار مضر : تحف بضفاف الفرات وهى ما كان بالسهل بالقرب من شرقى الفرات نحو حران والرقة وشمشاط وسروج وتل موزن ·

الرقة : أجل مون ديار مضر وهى فوق نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات وقامت فى موضع المدينة اليونانية القديمة Callinicus Nicephorium ، « والرقة كل ارض الى جنب واد ينبسط عليها

الماء » . ويقول ياقوت عن الرقة : « مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة فى بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقى، ويقال لها **الرقة البيضاء** . أرسل سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ جيشا عليه عياض بن غنم فقدم الجزيرة فبلغ أهل الرقة خبره فقالوا **أنتم بين العراق والشام** وقد استولى عليهما المسلمون فما بقاؤكم مع هؤلاء ؟ فبعثوا الى عياض فى الصلح فقبله ... وكان بالجانب الغربى مدينة أخرى تعرف برقة **واسط** كان بها قصران لهشام بن عبد الملك على طريق رصافة هشام وأسفل من الرقة بفرسخ . **والرقة السوداء** قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البليخ والجميع متصل » . وحين انتقلت الخلافة الى بنى العباس فى المائة الثانية هـ (الثامنةم) كانت الرقة **من أهم مدن وادى بين النهرين الأعلى وتسيطر على تخوم الشام** ، فشرع المنصور سنة ١٥٥ هـ (٧٢٢ م) فى بناء مدينة **الرافقة** على نحو ثلاثمائة ذراع من الرقة ورتب بها جندا من أهل خراسان ، وجرى ذلك على يد المهدى وهو ولى عهده . ثم بنى الرشيد قصورها وبنى له فيها قصر السلام لأنه كان يقيم فى الرقة أو الرافقة عند اشتداد حر بغداد . وسرعان ما خربت الرقة القديمة ، وشيدت أبنية جديدة فى الأرض الفضاء بين الرقة والرافقة وكانت الأخيرة حينا من الزمن ربضا للأولى ، فبطل اسم الرافقة بمرور الأيام . وان كان ابن حوقل يتكلم فى المائة الرابعة عن مدينتى الرقة والرافقة المتلاصقتين . أما المقدسى فقال عن الرقة :« **الشام على تخمها ، والفرات الى جنبها والطرق اليها صعبة والرقة المحترقة قريبة منها قد خفت وخربت والرافقة هى ربض الرقة** » . وقد وصف الرافقة أحمد بن الطيب فقال : « بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات ، وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل وهى على هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها وقد خرب بعض أسوار الرقة . قلت ــ أى ياقوت ــ هكذا كانت فأما الآن فان الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة » .

صفين : فى جانب الفرات الأيمن بازاء الرقة فما فوقها وفيها كانت معركة على ومعاوية ، ومقابل أرض الموقعة فى ضفة الفرات الشمالية (اليسرى) قلعة **جعبر** نسبة الى مالكها الأول وكان عربيا من بنى نمير ، وعرفت القلعة أولا بدوسر . وقد استولى عليها الصليبيون فى حملتهم الأولى . ويستقبل الفرات من يساره أسفل الرقة نهر البليخ وهو عند اليونان Bilecha ومنبعه من عين الذهبانية شمالى حران ، ويجرى البليخ جنوبا ثم يلتقى بالفرات تحت الرقة .

حران : Carrhae قرب منبع البليخ وكانت مدينة الصابئة ،

وعليها حصن من حجارة . ووصف ابن حوقل سورها الحجرى . وقال ياقوت « بينها وبين الرقة يومان وهى على **طريق الموصل والشام والروم**».

الرها : Edessa عند منابع احد روافد البليخ وكانت قاعدة الاقليم القديم Osrhoene , كما **كانت تكون مع انطاكية الدعامتين الرئيسيتين للاستراتيجية الرومانية** ومن هنا كانت تربطها شبكة من الطريق بسائر انحاء الجزيرة والعراق من جهة وبالشام من جهة أخرى وقد كانت تشغل موقعا فريدا في قلب Osrhoene ، ولم يسهب البلدانيون المسلمون فى أخبارها لأن أغلب سكانها أقاموا على نصرانيتهم وأكثر ما اشتهرت به كنائسها ، فقال المقدسى : ان بها كنيسة عجيبة بأزاج ملبسة بالفسافساء هى احدى عجائب الدنيا وكانت مدينة محصنة وقد استولت عليها الحملة الصليبية الأولى سنة ٤٩٢ هـ وظلت ولاية لاتينية حتى استعادها زنكى سنة ٥٤٠ هـ .

وفى جنوبى حران على مقربة من شرقى نهر البليخ **باجدا** قرية كبيرة بين رأس العين والرقة « قال أحمد بن الطيب : عليها سور ، وكان مسلمة بن عبد الملك اقطع موضعها رجلا من أصحابه يقال له أسيد السلمى فبناها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها ، وهى قرب حصن مسلمة » . **وحصن مسلمة** بالجزيرةبين رأس عين والرقة . وقد بنى على قدر جريب من الأرض وارتفاعه فى الهواء أكثر من خمسين ذراعا . وفى جنوبى حصن مسلمة فى طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها**باجروان** كانت منزلا خصبا نزها واسعا ثم عراها الاختلاف فى المائة الرابعة هـ .

قرقيسياء وهى Circessium القديمة وهى على نحو مائتى ميل أسفل من الرقة على ضفة دجلة اليسرى حيث يصب الخابور فضلة مياهه ، قرب **رحبة مالك بن طوق** على ستة فراسخ وهى مثلث بين الخابور والفرات وذكر ياقوت والمستوفى أن قرقيسياء أصغر من الرحبة المجاورة لها ، وهذه الرحبة سميت باسم مؤسسها مالك بن طوق الذى عاش فى خلافة المأمون ولها حصن منيع وربض كبير وبالقرب منها **الدالية** وهى بلدة صغيرة تعرف باسم مؤسسها مالك أيضا . والرحبة والدالية قرب نهر سعيد الذى يخرج من يمين الفرات فوق قرقيسياء بقليل ويعود فيصب فيه فوق الدالية ، حفره الأمير سعد بن عبد الملك الأموى المعروف بسعيد الخير وقد تولى الموصل حينا .

رصافة هشام : فى البادية بين الرحبة والرقة ، وهى Sergiopolis القديمة **وكانت تعد تارة من جند قنسرين او العواصم والاخرى من ديار مضر،**

وقد يدرجها نفس المؤلف في اقليمين مختلفين مثلما فعل ابن خرداذبة وابن الفقيه ، في حين اعتبرها المقدسي والمسعودي من الشام فحسب ، ويعتبرها الطبري من ديار مضر حين يروي نهب القرامطة لها في أحداث سنة ٢٨٩ هـ ، ولعل هذا الخلط يرجع الى تباين وجهات النظر ما بين الاعتبار الجغرافي الخالص واعتبارات التنظيم الاداري المتغير • وكانت تسمى رصافة الشام أو رصافة هشام اذ بناها هشام بن عبد الملك « على طرف البرية لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها في الصيف ••••• ووجدت – أي ياقوت – في أخبار ملوك غسان : ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم • وذكرها ابن بطلان الطبيب في رسالته التي كتبها سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) الى هلال بن الحسن فقال : وهذا القصر – يعني قصر الرصافة – حصن دون دور الخلافة ببغداد مبني بالحجارة ، وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالفص المذهب انشأها قسطنطين ابن هيلانه ، وتحت البيعة صهريج في الأرض على مثل بناء الكنيسة معقود على أساطين الرخام مبلط بالمرمر مملوء من ماء المطر • وسكان هذا الحصن بادية أكثرهم نصارى معاشهم تخفير القوافل وجلب المتاع ، والصعاليك مع اللصوص • وهذا القصر في وسط برية مستوية السطح لايرد البصر من جوانبها الا الأفق ورحلنا منها الى حلب في أربع رحلات » •

وفي شرقي الفرات بين الرقة وقرقيسياء **الخانوقة** ، قال ياقوت : ان أرض المضيق بالقرب منها •

عـانة : هي Anatha القديمة وليس في اقليم الجزيرة أسفل قرقيسياء مدينة ذات شأن غيرها ، ذكرها ابن سرابيون فقال : ان الفرات يدور بها ، اما ابن حوقل فقال : ان عانة في وسط الفرات ويطوف بها خليج من الفرات ، وزاد ياقوت بها قلعة حصينة مشرفة على الفرات ، واليها التجأ القائم بأمر الله سنة ٤٥٠ هـ حين استولى البساسيري الديلمي على بغداد • وفرضة عانة تعرف بفرضة نعم وكانت محطة مهمة عند انقسام الطريق ، فيقطع أيسر البادية مارا بالرصافة ثم الى الرقة رأسا بينما يصعد الطريق الأيمن مع النهر •

وكان على الفرات فوق الرقة ثلاث مدن وهي : بالس ، وجسرمنبج ، وسميساط • وقد كانت تحسب جميعا من أعمال الشام في الغالب ، لوقوعها في يمين الفرات أي في جانبه الغربي وان عدها أكثر المؤلفين من أعمال الجزيرة • وسيأتي ذكرها عند الكلام على اقليم الثغور والعواصم نفسه •

ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة حدها ما غرب من دجلة الى بلاد الجبل المطل على نصيبين كما تشرف على دجلة ، ومنها حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وقد تتجاوز دجلة الى سعرت وحيزان (وجنبى عند ياقوت وحيني عند ابن عبد الحق) وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل.

آمد : فى غربى دجلة أى يمينه ويطل عليها جبل علوه مائة قامة . قال ابن حوقل :عليها سور أسود من حجارة الأرحية ، وقال المقدسى : «بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل انطاكية ... له أبواب وعليه شرف بينه وبين الحصن فضاء . وهى أصغر من انطاكية بحجارة سود صلبة... وفيها عيون غربى دجلة ، رحبة طيبة ، ثغر للمسلمين وحصن حصين .. لها خمسة أبواب باب الماء وباب الجبل وباب الروم وباب التل وباب انس صغير يحتاج اليه وقت الحرب ، وبعض الحصن على الجبل . ولا أعرف للمسلمين اليوم بلدا أحصن ولا ثغرا أجل منها » . وقد أفاض ناصرى خسرو فى وصف آمد حين زارها سنة ٤٣٨ هـ وذكر أن علو سورها عشرون ذراعا وثخنه عشرة أذرع ، وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص وقد يصل الحجر الى ثلاثة أطنان ، وعلى بعد كل مائة ذراع من السور برج نصف دائرى تنتهى قمته بشرفات من الحجارة السود نفسها . وخارج ذلك سور آخر من الحجر نفسه وفى الفصيل بينهما ربض كالحلقة ، وفوق هذا السور شرفات ومرقاة للدفاع .وهناك أربعة أبواب حديد فى كل من السورين الداخلى والخارجى ، وفى وسط المدينة عين يتفجر ماؤها من الحجر .

وفى شمال آمد على مقربة من أحد الروافد الشرقية مدينة حانى ذكر ياقوت ان فيها معدن الحديد ومنها يجلب الى سائر البلاد . وذكر المقدسى أن أصل دجلة على بعد قليل من غربها وأول مايختلط بها نهر الذئب ، وهو نهر الكلاب عند ياقوت على ما يظهر . وكان يخرج من الجبال قرب شمشاط شمالى حانى . كما أن موضع هلورس الذى قيل بأنه أول مخرج دجلة يقع على مسيرة يومين ونصف من آمد . ويقول لى سترينج « وذكر المقدسى وياقوت أسماء سواق وروافد وأنهار كثيرة ليس من الهين التوفيق بينها حسب الروايتين ، ولعل الأسماء تبدلت كثيرا بين المائة الرابعة والمائة السابعة (هـ) ».وأعظم الأنهار المنصبة فى دجلةقرب آمد النهر المنحدر من شمالى ميافارقين ـ ويتفرع منه نهر يسقيها ـ وهو نهر ساتيدما واحد فروعه وادى الزور الاخذ من الكلك ، وأول ماء ساتيدما من درب الكلاب ، ويسميه المقدسى نهر المسوليات ويعرف اليوم بطمان صو .

ميافارقين : يظهر ان الاسم العربي تحريف لاسم Maypharkath الآرامي أو Moufargin الأرمني ، وسماها اليونان Martyropolis وقد عدها **ابن حوقل تارة من أرمينية اذ هي على مرحلتين من دجلة وتكلم عنها تارة أخرى عندما تناول الجزيرة** . « بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخندق ... والجبال حصينة بها قلعة وربض » . وهي قليلة البساتين وقد ذكر ناصري خسرو حين زارها أن عليها سورا عظيما من الحجر الأبيض الذي يزن الواحد منه نحو طن ونصف ، وفي أعـــلاه شرفات ، وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الأبيض نفسه ، ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب حديد لا خشب فيه . واسهب ياقوت والقزويني في حديثهما عما كان في ميافارقين قديما من مختلف البيع وعن ابراجها الثلاثة وابوابها الثمانية « والذي يعتمد عليه أنها من أبنية الروم لأنها في بلادهم ، وقد ذكر في ابتداء عمارتها انه كان في موضع بعضها اليوم قرية عظيمة وكان بها بيعة من عهد المسيح وبقي منها حائط الى وقتنا .. قالوا وامر الملك قسطنطين وزراءه الثلاثة فبنى كل واحد منهم برجا من أبرجتها . فبنى احدهم برج الرومية والبيعة في العقبة ، وبنى الآخر برج الراوية المعروف الآن ببرج علي بن وهب وبيعة كانت تحت التل وهي الآن خراب ... وبنى الثالث برج باب الربض والبيعة المدورة ، وجعل لها ثمانية أبواب ... وكان بين برجين مرآة عظيمة يشرق نورها اذا طلعت الشمس على ماحولها من الجبال ... وفي برج علي بن وهب في الركن الغربي القبلي صليب منقور يقال انه مقابل بيت المقدس ... ومازالت ميافارقين بأرض الروم الى أيام قبادبن فيروز ملك الفرس فانه غزا ديار بكر وربيعة وافتتحها وسبى أهلها ونقلهم الى بلاده وبنى لهم مدينة بين فارس والأهواز ... وفي عهد ابرويز خرج هرقل ملك الروم فافتتح هذه البلاد واعادها الى مملكته وملكها بأسرها ثمان سنين حتى سنة ١٨ هـ » ـ حين كان الفتح الاسلامي .

أرزن : على شيء يسير من ميافارقين على الضفة الغربية لنهر أرواد يقال له سربط . ولارزن حصن عظيم منيع ، وقد زارها ناصري خسرو سنة ٤٣٨هـ (١٠٤٦م) فوجدها عامرة يانعة ، في حين ذكر ياقوت بعدذلكأنها: « مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحي أرمينية ، وأما الآن فبلغني أن الخراب ظاهر فيها » ، وهذه **غير أرزن الروم**.

حصن كيفا : على ضفة الفرات الجنوبية بين مصبي النهرين الآتيين من شمالي ميافارقين وأرزن ، وقد سمى الروم الحصن Kiphas أو Cephe ووصف المقدسي بلدة حصن كيفا بأنها « كثيرة الخير وبها قلعة حصينة

وكنائس كثيرة » ، وذكر ياقوت أنها « بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر وهي كانت ذات جانبين ، وعلى دجلة قنطرة لم أر في البلاد التي رأيتها أعظم منها » ، وهي طاق واحد يكتنفه طاقان صغيران • وقد ظهر الخراب على حصن كيفا وقت أن زاره المستوفي•

تل فافان : أسفل التل مدينة بهذا الاسم على ضفة دجلة الشمالية أى اليسرى على نحو خمسين ميلا شرقي حصن كيفا حيث ينعطف النهر بشدة نحو الجنوب « وتل فافان من ناحية الجبل بين دجلة ورزم حولها بساتين والأسعار بها رخيصة وأوسواقها مغطاة ، بناؤهم طين » • والنهر الذي يلتقي بدجلة عند تل فافان ينحدر من باديس ومخرجه في جبال أرمينية جنوب غربي بحيرة وان ، ويقترن به رافد عظيم ينبع من جنوب البحيرة سماه المقدسي وياقوت وادى الرزم • ويصير دجلة اسفل اقترانهما في مجرى واحد صالح لسير السفن • وعلى ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه : مدينة سعرت وتعد في الغالب من أعمال أرمينية وقد أشار اليها ياقوت ولكنه لم يصفها ، أما المستوفي فذكر آنيتها النحاس الفاخرة (٢٧) •

---

(٢٧) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١١٤ : ١٤٦ ،
Dussaud, Top. Hist. de la Syrie, pp. 448 : 465, 479, 493, 496, 7, 9.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides pp. 77 : 131
المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٣٧ ، ١٤٢ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٥٢ : ٥٥ ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٣ : ٢٨٩ ابن جبير ص ٢٢١ : ٢٣٥ ، ياقوت : مواد المدن المذكورة على الترتيب في معجم البلدان : جـ ٤ ص ١١٧ (ديار بكر ، ربيعة ، مضر) ، جـ ٨ ص ١٩٥ ـ ٦ (الموصل) جـ ٥ ص ١٥٣ ـ ٤ (السن) ، جـ ٣ ص ١٠٢ (جزيرة ابن عمر) ، جـ ٨ ص ٢٩٢ (نصيبين) ، جـ ٤ ص ٢٠٥ ـ ٦ (رأس العين) ، جـ ٧ ص ٣٦١ (ماردين) ، جـ ٤ ص ٥ ـ ٦ (دارا) ، جـ ٧ ص ٢٦٣ (كفرتوثا) ، جـ ٥ ص ١٤٤ (سنجار) ، جـ ٤ ص ٣٧٢ ـ (الرقة) ، جـ ٥ ص ٣٧٠ (صفين) ، جـ ٧ ص ١٥٠ (قلعة جعفر) ، جـ ٣ ص ٢٤٢ (حران) ، جـ ٤ ص ٣٤٠ (الرها) ، جـ ٢ ص ٢٣ (باجدا) ، جـ ٣ ص ٢٨٦ (حصن مسلمة) ، جـ ٧ ص ٥٩ ـ ٦٠ (قرقيسياء) ، جـ ٤ ص ٢٥٥ ـ ٦ (الرصافة) ، جـ ١ ص ٦١ (آمد) ، جـ ٨ ص ٢١٤ ـ ٨ (ميافارقين) ، جـ ١ ص ١٩٠ (أرزن) ، جـ ٣ ص ٢٨٦ (حصن كيفا) • وفي المراصد جـ ١ ص ٣٨٧ (الحديثة) ص ٥١ (اريسك) ، ص ١٥٢ (بازيدى) ، جـ ٢ ص ٩١٢ (عانه) ، جـ ١ ص ٣٧٣ (حانى) ص ٥٩ (اربل) ، ص ١٥٢ (بازبدى) ، جـ ٢ ص ٩١٢ (عانة) ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ١٨٤ : ٨ (رصافة هشام) ، ص ٣٢٠ (صفين)

(ب) الشام :

تكون بلاد الشام معبرا بين البحر المتوسط والصحراء ، ويدعو البحر للتجارة والملاحة ، في حين تخط دروب جبال طوروس ممرات نحو آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية ، ويفتح وادى الفرات طريقا للشام نحو الخليج الفارسي • وفي الجنوب تتصل الشام بمصر وبلاد العرب • فبلاد الشام من أقاليم البحر المتوسط ، لكن لها صلاتها مع أوربا وآسيا الصغرى من جهة ومع مصر وبلاد العرب من جهة أخرى ، كما كانت لها صلاتها مع امبراطوريات دجلة والفرات عن طريق وادى الفرات والطريق الصحراوى الذى كان يجتاز باليرا ، وقد وقعت الشام فى ايدى الساسانيين فى خلال القرن السابع ، ولكن صـلات الشام الطبيعية كانت أكثر ارتباطا بمن له السيادة على آسيا الصغرى • وقد كان البيزنطيون أصحاب هذه السيادة خلال القرن السابع ، كما كانوا أصحاب السيادة على مصر في جنوبها الغربى أيضا (٢٨) •

وحد الشام « من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، وأما عرضها فمن جبلى طيء ـ من نحو القبلة ـ الى بحر الروم ، وما بشأمة ذلك من البلاد ، وبها من أمهات المدن : منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت القدس والمعرة ، وفى الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك • وهى **خمسة أجناد** : جند قنسرين وجند دمشق وجند الاردن وجند فلسطين وجند حمص • **ويعد فى الشام أيضا الثغور** وهى المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس والبلقاء وفي الحديث : (•••• والله لايزال هذا الإمر فيكم حتى تفتح أرض فارس وأرض الروم وأرض حمير ،وحتى تكونوا اجنادا ثلاثة : جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن ••• قال ابن حوالة فقلت يارسول الله ، من يستطيع الشـام وفيه الروم ذات القرون ؟ فقال النبى : والله ليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة منهم ـ البيض قمصهم ، المحلوق اقفاؤهم ـ قياما على الرجل الأسـود ، ما أمرهم به فعلوا ، وان بها اليوم رجالا لانتم اليوم أحقر فى أعينهم من القردان فى اعجاز الابل • قال ابن حوالة : اخترلى يارسول الله ان أدركنى ذلك ، فقال : اختار لك الشام فانها صفوة الله من بلاده ، واليها يجتبى صفوته من عباده) • »

---

(٢٨) Gaudefroy-Demombynes, Platonov: Le Monde Musulman et Byz. pp. 41 - 2

وفي (تقويم البلدان) : ان حد الشام من الجنوب من أول رفح التى في أول الجفار بين مصر والشام الى حدود تيه بنى اسرائيل الى ما بين الشوبك وايلة من البلقاء ، وحده من الشرق من البلقاء الى مشاريق صرخد ـ آخذا على أطراف الغوطة الى سلمية الى مشاريق حلب الى بالس ، وحده من الشمال من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى سميساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس الى بحر الروم ، وحده من الغرب من طرسوس المذكورة آخذا على ساحل البحر الرومى الى رفح المتقدمة (٢٩) ٠

وتغذى أراضى الشام الخصبة قرب الساحل عدة أنهار أهمها اليرموك والاردن وبردى والارند ـ أو الارنط ـ وقويق ٠ ويلي هذه المنطقة الخصبة بادية واسعة تمتد حتى قرب الحجاز ومصر تعرف بالبلقاء ٠ وقد كان يسكن الشام عناصر أغلبها سامية جاءته باستمرار من داخل الجزيرة العربية فى شكل موجات ضخمة متتابعة مثل : العموريين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين والعبرانيين والفلسطينيين والأنباط ، وأخيرا العرب اليمنيين من قبائل الضجاعم وكلب وغسان وعذرة وجذام ، وهذه كانت قبل الاسلام تكون معظم سكان الشام وتمتد فى جنوبه من دمشق حتى حدود الحجاز ٠ وقد طمعت فى الشام الدول المسيطرة فى حوض البحر المتوسط مثل المصريين القدماء والبطالمة والرومان وأخيرا البيزنطيين ٠ ومن ناحية أخرى اكتسحته جيوش الفرس عدة مرات دون أن تطيل به المقام ٠ وظهرت فى الشام دويلات أعانتها الدولة الرومانية أو البيزنطية على أن تقف حارسة لحدود أملاكها فى الشرق ضد غارات عرب الحجاز أو الفرس مثل مملكة النبط وتدمر وأخيرا الغساسنة ٠ (٣٠)

وقد وصف الجغرافيون العرب المعالم الطبيعية لبلاد الشام : وصفوا بحر الروم كما وصفوا جبل اللكام ، ووصفوا البحيرات والأنهار ٠

بحر الروم :

يقول المسعودى : « هو بحر الروم والشام ومصر والمغرب والاندلس والافرنجة والصقالية ورومية وغيرهم ٠٠٠ طوله ٥٠٠٠ ميل ، وعرضه مختلف : قمنه ٨٠٠ ميل ، ومنه ٧٠٠ ميل ، ومنه ٦٠٠

---

(٢٩) ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٢١٧ : ٢٢١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٢٥ القلقشندى ٠ صبح الأعشى حـ ٤ ص ٧٥ ـ ٧٦ ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ١٨ : ٢٢

(٣٠) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية حـ ١ ص ١٧٢ ـ ٣

وأقل وأكثر - على حسب مضـــايفة البر للبحر والبحر للبر • ومبدؤه، خليج آخذ من بحر اوقيانس المحيط يعرف بالزقاق - معترض بين طنجه وسبتة من سواحل أفريقية ••• »« والتنانين فى بحر الروم كثيرة وكثيرا ماتكون مما يلى طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال انطاكية - وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر •••وغايته الى ساحل انطاكية وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان ، وساحل أذنة وفيه مصب سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان » (٣١)

ويقول ياقوت :«••• فبحر الاندلس وبحر المغرب وبحر الاسكندرية وبحر الشام وبحر القسطنطينية وبحر الافرنج وبحر الروم جميعه واحد ، ليس لهذا اتصال ببحر الهند - الا أن يكون من جهة المحيط • وأقرب موضع بين البحر الهندى وهذا البحر : عند الفرما - وهى على ساحل بحر المغرب، والقلزم - وهو على ساحل بحر اليمن • ولو أراد مريد أن يسير من سلا الى أفريقية ثم سواحل مصر والشام ، ثم الثغور الى طرابزنده ، ويقطع جبل القبق ويدير من أطراف بلاد الترك الى القسطنطينية فيصير البحر على جهته الجنوبية بعد أن كان من جهته الشمالية ، ويمر بسواحل الافرنج حتى يدخل الأندلس ، فيقابل سلا التى بدأ منها من غير أن يقطع بحرا أو يركب مركبا - يمكنه ذلك الا أن المسافة بعيدة والمشقة فى سلوكه صعبة لمروره بين أمم مختلفة فى الأديان والألسنة وجبال وبواد موحشة (٣٢) » •

الجبال :

جبل اللكام : هو بصفة خاصة الأجزاء الشرقية والشمالية مما كان يسمى قديما بجبل أمانوس Amanus • وكل الجبال الواقعة بالشام فى شمالى لبنان تدخل تحت هذه التسمية بصفة عامة • ويذكر ان جبل للكام هو **جبل سكين** الذى ذكره الجغرافيون المتأخرون العرب • ويقول المقدسى عن جبل اللكام « أنه أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثمارا • هو اليوم بيد الأرمن ، **وطرسوس من ورائه وانطاكية دونه** » • ويذكر الاصطخرى وابن حوقل فى أوائل القرن ٤ هـ (١٠م) : أن جبل **اللكام يفصل الثغور الشامية عن الجزرية** ، ثم يوغل شمالا فى بلاد الروم حوالى مائتى فرسخ على مايقال • وتظهر الجبال أولا فى بلاد الاسلام ممتدة بين مرعش والهارونية وعين زربة - وتسمى **جبل اللكام** حتى اللاذقية

(٣١)المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥٠ ، ومروج الذهب حـ ١ ص ٧١ - ٣

(٣٢) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٧٠ - ١

جنوبا ، أما أسفل ذلك فتسمى جبل **بهراء وتنوخ** حتى حمص ، وجنوبها تسمى الجبال **بجبل لبنان** ، ثم تنتشر جنوبا حتى تنتهى فى أحد جانبيها الى شاطىء بحر القلزم وفى الجانب الآخر تصل الى تلال المقطم بالقاهرة • يقول ياقوت : « اللكام هو الجبل المشرف على أنطـــاكية وبلاد ابن ليون (ملك أرمينية) والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور • وجبل لبنان مطل على حمص يجىء من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام : فما كان بفلسطين فهو جبل **الحمل** ، وما كان بالأردن فهو جبل **الجليل** ، وبدمشق **سنير** ، وبحلب وحماه وحمص **لبنان** ، ويتصـــــل بانطاكية والمصيصة فيسمى هناك **اللكام** ، ثم يميل الى ملطية وسميساط وقاليقلا الى بحر الجزر فيسمى **القبق** ، وقيل ان فى هذا الجبل سبعين لسانا لا يعرف كل قوم لسان الآخر الا بترجمان » وذكر ابن العديم عن جبل اللكام « ولا يزال به الثلج فى الشتاء والصيف وهو مسكن العباد والزهاد، وفيه من الفواكه المباحة ما يقتاتون به وهو يفصل بين الثغور الشامية والجزرية »• ويطلق البعض اسل جبل الثلج على الجبل الذى يقع قرب صفد « قال فى (تقويم البلدان) : ثم يمتد الى الشمال ويتجاوز دمشق فاذا صار فى شماليها سمى جبل (سنير) ويسمى جانبه المطل على دمشـــق جبل (قاسيون) ويتجاوز دمشق ويمر غربى بعلبك ، ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل (لبنان) • واذا تجاوز بعلبك وصار شرقى طرابلس سمى جبل (عكار) اضافة الى حصن باعلاه يسمى عكارا ، ثم يمـــر شمالا ويتجاوز طرابلس الى حصن الاكراد من عمل طرابلس ، ويسامت حمص من غربيها على مسيرة يوم ويمتد حتى يجاوز سمت حماة ، ثم سمت شيزر ثم سمت افامية ـ ويسمى قبالة هذه البلاد جبل (اللكام) • قال فى (رسم المعمور) : وجبل اللكام يمتد الى أن يصير بينه وبين جبل شحشبو ، اتساعه نصف يوم حتى يتجاوز صهيون والشغر وبكاس والقصير ، وينتهى الى انطاكية فينقطع هناك ويصير قبالة جبل الأرمن • قال (فى تقويم البلدان) : ويقابل هذا اللكام عند مصـــــاقبته لافامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقيه ويسمى جبل (شحشبو) اضـــافة الى قرية هناك تسمى بذلك ، ويمر من الجنوب الى الشمال على غربى المعرة وسرمين وحلب ثم يأخذ غربا ويتصل بجبـــال الروم » • وتذهب أسطورة أن الاسكندر زار قرية شـــــحشبو ، ويعطى ياقوت اســـم

---

(٣٣) Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 81-2. المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٨٨ـ٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٢٠ ، ٣٣٦ ـ ٧ ، الاصطخرى: المسالك والممالك ص ٤٣ : ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٥٨ : ٦٠

الاسكندرية لقرية بين حماة وحلب (٣٤) • ويشرف **الجبل الأقرع** فى شمالى الشام على ساحل البحر ، ويروى ابن العديم فى سبب تسميته بالاقرع أنه « مستدير عال لا نبات عليه » ، ومن يكون فى بحر الروم يراه « وهو جبل لا يدرك علوه مطل على انطاكية واللاذقية وطرابلس وقبرص وغيرها من بلاد الروم (٣٥) ••• » **والخشبية** « جبل قرب المصيصة بالثغور كان به مسلحة للمسلمين وهى مسلحة الثغور »**والتنور** « جبل قرب المصيصة يجرى سيحان تحته » **وحوار** « جبل فى غربى جيحان ، ويسمى البعض الحد الجبلى بين الشام وبلاد الروم **بجبل سياح** » (٣٦) •

اما جبل سنير الذى اشار ياقوت الى اتصاله بجبل اللكام فهو يقول عنه « جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير ، وهو الجبل الذى فيه المناخ مغربا الى بعلبك ويمتد شرقا الى القريتين وسلمية ، وهو فى شرقى حماه وجبل الجليل مقابله من جهة الساحل • وبينهما الفضاء الواسع الذى فيه حمص وحماه وبلاد كثيرة • وهذا جبل كورة قصبتها حوارين ـ وهى القريتين ـ ويتصل بلبنان متيامنا حتى يلتحق ببلاد الخزر ، ويمتد متياسرا الى المدينة ، وسنير الذى ذكر أنه بين حمص وبعلبك شعبة منه الا أنه انفرد بهذا الاسم (٣٧) » •

ويمتد عرضا من أرض الشام الى الفرات من جهة البادية **جبل البشر** « وفيه أربعة معادن : القار والمغرة والطين الذى يعمل منه البواتق التى يسبك فيها الحديد والرمل الذى فى حلب يعمل منه الزجاج وهو رمل أبيض كالاسفيداج • وهو من منازل تغلب بن وائل » ومن الجبال المطلة على حلب **الجوشن** ويطل على حلب فى غربيها ، **والسماق** جبل عظيم من أعمال حلب الغربية مشتمل على مدن عظيمة وقرى وقلاع **وشبيث** جبل بنواحى حلب مستدير يقطع منه حجارة الرحى ، **وتل قيقان** بظاهر حلب ، **وليلون** جبل مطل على حلب بينه وبين انطاكية وفيه قرى ومزارع (٣٨)•

---

(٣٤) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٦٨ ـ ٩ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٥ ـ ٦
Dussaud : Top Hist. de la Syrie, p. 184

(٣٥) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٥٦ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٦٠

(٣٦) ياقوت : معجم البلدان (الخشبية) ج ٣ ص ٤٤١ ، ابن عبدالخالق : المراصد (التنور) ج ١ ص ٢٧٨ ، (حوار) ص ٤٣٣ ، ياقوت : المعجم (سياح) ج ٥ ص ١٨٩

(٣٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ١٥٥

(٣٨) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٧ ، ابن عبد الحق : المراصد ج ١ (الجوشن) ص ٣٥٩ ، (السماق) ص ٣١١ ، ج ٢ (شبيث) ص ٧٨٢ ، ج ٣ (ليلون) ص ١٢١٤ ياقوت : المعجم ج ٧ ص ١٩٧ (تل قيقان) ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٣٢ : ٥٦

ووضع الجبال فى بلاد الشام ينتظم فى سلسلتين جبليتين تتجهان من الشمال للجنوب ويفصلهما واد تجرى مياهه نحو بحيرة أنطاكية • والسلسلة الغربية تسير من الطرف الشمالى مرج الروج وتمتد حتى حارم وعم وتحمل اسم **الجبل الأعلى** ، **أما** السلسلة الشرقية فتسمى **جبل باريشا** ، وتكون الجبال مع جبل بركات أو سمعان (ليلون) الذى تتصل شعابه بها حاجزا صعب العبور بين منطقتى انطاكية وحلب • ويقطع الجبل الاعلى من الشرق الى الغرب منفذ ضيق يسمى ارمتاز (هرمز بوجازى) ومن هذا المنفذ يمر الطريق المتجه من حلب وذلك عند كفتين أو الاثارب او مرتحوان أو معرة مصرين وهكذا • ويؤدى المنفذ الى ارمتاز ومنها يواصل الطريق مسيره الى انطاكية وهكذا تمتعت انطاكية بحماية طبيعية • وقد أدت الظروف الجغرافية الى وجود عقبات كبيرة لاحصاء الجبال ووصفها خاصة فى شمالى الشام اثناء العصور الوسطى والقديمة مما أدى الى كثير من الخلط • ويقسم الاحصاء الذى قدمه الامبراطور البيزنطى الى بوهمند المناطق الجبلية فى شمالى سوريا الى ٣ مجموعات : كوكاس Kaukas وهى أكبر ارتفاعا ويمكن القول بأنها الواقعة فى شمالى انطاكية وتمتد حتى مضيق بيلان ، وليلون Loulos بين انطاكية وحلب والجبل الذى أسماه La Montagne Admirable بنواحى كاسيوس (الأقرع) وجبل مارسمعان على الشاطىء الأيمن لنهر العاصى فى أدنى انطاكية (٣٩) •

وهناك جبال أخرى فى وسط الشام وجنوبه عرض لها ياقوت فى مواضع مختلفة من معجمه ولا تستدعى دراسة اقليم الثغور تناولها على التفصيل • وقد أورد القلقشندى من جبال الشام المشهورة « **جبل عاملة** ويمتد شرقى ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى قرب مدينة صور ، نزلة بنو عاملة ابن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم ، **وجبل عوف** قرب عجلون نزله قوم من بنى عوف من جرم قضاعة ، **وجبل الصلت** نسبة الى مدينة بهذا الاسم من أعمال دمشق وهو جبل فى شرقى جبل عوف وشماليه (٤٠) » •

الأنهار :

يمر جزء من مجرى **الفرات** الأعلى فى شمالى الشام ، وقد سبق الحديث عن مجرى الفرات عند الكلام عن الجزيرة • ويمكن ايجاز وصف

(٣٩) Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 215: 6, 223, 441.

(٤٠) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ٨٦ •

مجراه الأعلى الذى يمر فى اقليم الثغور بما أورده القلقشندى حين قال : « وأول ابتدائه من شمالى مدينة أرزن الروم وشرقيها ـ وهى آخر بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ الى قرب ملطية ، ثم يأخذ الى سميساط، ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز قلعة الروم من شماليها ومشرقيها ، ثم يسير الى البيرة من جنوبيها ، ثم يمر مشرقا حتى يجـــاوز بالس ثم قلعة جعبر ، ويتجاوزها الى الرقة ، ثم يسير مشرقا ويتجاوز الرحبة من شمالبها ويسير الى عنة ثم يمتد الى هيت ويمتد حتى يجاوز مخرج نهر كوثى (٤١) » •

وكثير من أنهار الشام يصب فى البحر المتوسط • وقـــد ذكــر المسعودى أن أنهار سيحان وجيحان وبردان والأرنط تجرى فى بلاد الشام وتصب فى بحر الروم (٤٢) •

نهر سيحان : Sarus هو نهر **أذنة والمصيصة** ، **مخرجه من بلاد** الروم وينصب في البحر الشامى ، ويذكر المسعودى أن مخرجه من مدينة سيحان من ناحية ملطية من الثغر الجزرى ، يمر بأذنة ثم ينفصل عنهــا نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم • وينقل أبو الفدا عن الاصطخرى وابن حوقل أن نهر سيحان أقل حجما من جيحان وعليه قنطرة حجرية عجيبة طويلة • ويذكر أبو الفدا أن النهر يمر ببلاد الروم الى الجنوب عند مجرى جيحان ، ويسير حتى يمر ببلاد الأرمن ويمر على سور أذنة من شرقيها ، ثم يتجاوزها ويلتقى مع جيحان ويصبان فى بحر الروم بين أياس وطرسوس بعد أن يصيرا نهرا واحدا غير أنهما اليوم يصــبان في مجريين منفصلين •

نهر جيحان : Pyramus مخرجه من بلاد الروم ويجتاز **بين المصيصة وكفر بيا** ومصبه فى بحر الشام • ويذكر المســعودى أن مخرج النهر من عيون وراء مرعش وهى عيون جيحان على ثلاثة أميال من مدينة مرعش ثم يصب فى البحر المتوسط ، ولا تقع عليه من مدن المسلمين سوى المصيصة وكفر بيا • وعلى جيحان بازاء المصيصة قنطرة من حجارة رومية عجيبة قديمة عريضة • وينفذ جيحان من المصيصة فيمتد ٤ أميال ثم يصب فى بحر الشام •

وسهل قليقيه (كيليكيا) هو منطقة المجرى الادنى لنهرى جيحان وسيحان ، وتحوطه الجبال من جوانب ثلاثة : طوروس وطوروس الداخلية

---

(٤١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٥١ القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٧٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٤٠٦ وما بعدها •

(٤٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥١ ـ ٢

وأمانوس ، وهي تنحدر تدريجيا في اتجاهه • وهناك سلسلة منعزلة تنفصل عن طوروس الداخلية بمجرى جيحان ، وتسمى باسم جبل المصيصة أو جبل الثغور ، وهي تمتد على طول الشاطىء الغربي لخليج وقد كانت عين زربه عاصمة كيليكيا الرومانية •

نهر البردان : Cydnus هو نهر **طرسوس** من الثغر الشامي ، ومخرجه من عيون تحت عقبة الأكواخ من جبل ترابي أحمر مما يلي هرقلة من بند القبادق ، فاذا جرى نحوا من ميل انقسم قسمين : قسم يمضي الى هرقلة وقسم يصير الى طرسوس ، فاذا صار على بريدين منها الى موضع القطاليا صب اليه **نهر الفاتر** وهو غزير الماء مخرجه من عقبة تحت عقبة البرادع وانما سمي الفاتر بالضد لشدة برودته ، ثم يشق بردان مدينة طرسوس ويصب الى البحر الرومي على ستة أميال منها • ويقول ياقوت : « والبردان أيضا نهر يسقي بساتين مرعش وضياعها مخرجه من أصل جبل مرعش ويسمى الجبل الاقرع ـ وذكره أحمد بن الطيب السرخسي »•

نهر السن : (والاصح اللامس) هو نهر **سلوقية** ، قريب من البحر ، بينه وبين طرسوس مسيرة يوم ، وعليه كان الفداء بين المسلمين والروم •

النهر الازرق : نهر بالثغر **بين بهسنا وحصن منصور** في طرف بلاد الروم من جهة حلب • وبقربه **النهر الأسود في طرف بلاد المصيصة وطرسوس** ، ويمتد حتى يصب في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي • ويصب **نهر يغرا** في النهر الأسود •

نهر عفرين : نهر في نواحي **المصيصة** يخرج الى أعمال نواحي حلب ، ويأتي من بلاد الروم ويمر على الراوندان الى الجومة الى العمق ، ويختلط بالنهر الأسود • وقد كان نهر عفرين طريقا هاما للمواصلات في المنطقة التي يجتازها ، وكان لابد من عبوره عند جسر مقام عليه للوصول الى الطريق المتجه الى الوادى الاعلى للنهر الاسود (قره صو) ، والطريق المتجه الى قورس والطريـ المتجه الى كلس وعينتاب ، والطريق المتجه الى أعزاز •

نهر حوريث : نهر يأخذ من بحيرة الحدث قرب **مرعش** ، ويصب في نهر جيحان •

نهر الساجور : نهر **بمنبج** ، يقول العمري : « يصب من جبال الروم آخذا شرقا حتى يحاذي منبج ، ثم يصب في الفرات ، ويتشعب منه شعب لولاها لم يذكر الساجور » •

نهر قباقب : نهر بالثغر قرب **ملطية** ، وهو نهر يدفع في الفرات •

نهر قويق : يقول ابن رستة أنه نهر **حلب** ، مخرجه من قرية تدعى سنياب على سبع أميال من دابق ، يمر الى حلب ١٨ ميلا ، ثم الى قنسرين ١٢ ميلا ، ثم الى مرج الأحمر ١٢ ميلا ؛ ثم يفيض في الأجمة • وهذا النهر اسمه القديم Chalus • ويذكر ياقوت أن مخرج النهر من سبتات أو شباذر ، وهو يوافق تقديرات ابن رستة للمسافات التى يقطعها النهر فمن مخرجه الى مفيضه ٤٢ ميلا ، وماؤه أعذب ماء وأصحه الا أنه في الصيف ينشف فلا يبقى الا نزوز قليلة ، وأما في الشـــتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب » • وهناك تسمية أخرى للنهر مقابل جبل جوشن اذ يطلق عليه **العوجان** ويصف الدمشقي النهر بنفس الوصف تقريبا •

نهر الذهب : يقول ياقوت : يزعم أهل حلب أنه **نهر وادى بطنان** الذى يمر ببزاعة ، وهو الذى يقال له عجائب الدنيا الثلاثة : دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب • والعجب فيه أن أوله يباع بالميزان وآخره بالكيل ، وتفسير ذلك أن أوله يزرع على الحصى كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب الى بطيحة عظيمة طولها نحو فرسخين، في عرض مثل ذلك فيجمد فيصير ملحا يمتار منه أكثر نواحى الشام ويباع بالكيل •

نهر العاصى : ويسمى الأرند أو الأرنط ، وهى تسمية مشتقة من كلمة يونانية مأخوذة عن تسمية قديمة • تعنى السريع وهى Atzois وقد حرفها العرب الى العاصى ، ومخرجه من أرض جبال دمشق مما يلى البرية ، من القرية المعروفة باللبوة بين حمص ودمشق ، ويشق بحيرة قدس وبحيرة فامية ، وهو نهر حمص وحماه وشيزر وأنطاكية • ويصب الى الارنط قرب أنطاكية **نهر الرقيا** الخارج من بحيرة جنـــدارس • ويقول ياقوت : « العاصى نهر حماه وحمص ويعرف **بالمياس** مخرجه من بحيرة قدس ومصبه في البحر قرب أنطاكية ، واســـمه قرب انطاكية **الأرند** ، وقيل انما سمى بالعاصى لأن أكثر الأنهر تتوجه ذات الجنوب وهو يأخذ ذات الشمال وليس هذا بمطرد ••• **والميماس وهو نهـــر الرستن** وهو العاصى بعينه » ، ويسمى النهر **بالمقلوب** أيضا لنفس السبب • ويذكر الادريسى أن منبع النهر من اقليم دمشق في موضع يجاور نقطة تفرع الطريق الصحراوى، وهو حين يصل أنطاكية ينعطف حول الجانب الشمالى من المدينة ثم يصير الى مصبه عند جنوب السويدية • ويكرر ابو الفدا نفس السبب الذى ذكره ياقوت لتسمية النهر بالعاصى ، ويذكر سببا آخر أن غالب الأنهر تسقى الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل تركب

الأرض بأنفسها ـ في حين لا يسقى هذا النهر الا بنواعير تنزع الماء منه ، واسمه القديم نهر الأرنط • وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة تسمى الرأس ، ويمتد من الرأس شمالا حتى قائم الهرمل بين قرية جوسية والرأس ، ويمر في واد هناك ـ وينبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع مغارة الراهب ، ويمتد شمالا حتى يتجاوز جوسية ثم يصب في بحيرة قدس غربي حمص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حمص الى الرستن الى حماه الى شيزر الى بحيرة أفامية ، ويخرج من البحيرة فيمر على دركوش ويمتد الى جسر الحديد وذلك جميعه شرقي جبل اللكام ، فاذا وصـــل الى جسر الحديد انقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر ويرجع فيسير جنوبا بغرب ويمر على سو انطاكية ويسير مغربا بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية • **ويصب في العاصي عدة أنهر** : منها نهر منبعه من تحت أفامية يسير مغربا حتى يصل الى بحيرة أفامية ويختلط بالعاصي ، ومنها نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يعرف **بالنهر الكبير** يسير مدى قريبا ويصب في بحيرة أفامية ويخرج منها مع العاصي ، ومنها **النهر الاسود** يجرى من الشمال ويمر تحت دربساك ويمتد حتى يصب في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي ، ومنها **نهر يغرا** الذى يمر على بلدة يغرا ويصب في النهر الاسود ، ومنها **عفرين** الذى يأتي من بلاد الروم ويمر على الراوندان الى الجومة الى العمق ويختلط بالنهر الأسود » (٤٣) •

وهناك أنهار أخرى تجرى في الوسط والجنوب من بلاد الشام مثل : **بردى** نهر دمشق ، **والاردن** الذى يصب في بحيرة طبرية ويجتمع بعدها مع نهر اليرموك فيصيران نهرا واحدا ثم يصب في بحيرة زغر ، **ونهر أبي**

---

(٤٣)
Le-Srrange : Palestine under the Moslems pp. 59 : 64, Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides pp. 200 - 1, 280, Dussand : Top. Hist. de la Syrie pp. 112 - 3, 229, 438, 467

المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥١ ـ ٢ ، ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص ٩١ ، الاصطخرى : المسالك والممالك : ص ٤٦ ـ ٧ العمرى مسالك الابصار ص ٧٩ : ٨١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٤٨ : ٥١

القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ٧٩ : ٨٣ ، ياقوت : معجم البلدان : مواد(سيحان) حـ ٥ ص ١٩١ (جيجان) حـ ٣ ص ١٧٦ ، (البردان) حـ ٢ ص ١١٥ ، (قويق) حـ ٧ ص ١٨٨ ، (العوجان) جـ ٦ ص ٢٣٩ ، (الأزرق ـ الأسود) جـ ٨ ص ٣٣٥ ـ ٦ ، (عفرين) حـ ٦ ص ١٨٩ ، (نهر الذهب) حـ ٨ ص ٣٤٠ ، (نهر حوريث) حـ ٨ ص ٣٣٩ ، (الساجور) جـ ٥ ص ٧ ، (قباقب) جـ ٧ ص ٣٢ ، (آلس) جـ ١ ص ٥٩ ـ ٦٠ ، (العاصي والميماس) حـ ٦ ص ٩٦ ، حـ ٨ ص ٢٢٧ • ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ٤٢٤ : ٤٤٣

فطرس ومخرجه من أعين فى الجبل المتصل بنابلس وينصب فى البحر الملح بين مدينتى أرسوف ويافا •

البحيرات :

بحيرة انطاكية : يذكر ياقوت أنها بحيرة عذبة الماء بينها وبين أنطاكية ٣ أميال وطولها نحو عشرين ميلا فى عرض سبعة أميال فى موضع يعرف بالعمق • ويزيد أبو الفدا أن البحيرة تقع بين أنطاكية وبغراس وحارم فى أرض تعرف بالعمق من معاملة حلب شمالى أنطاكية على مسيرة يومين من حلب فى جهة الغرب عنها • **وفيها مصب نهر عفرين والنهر الاسود ونهر يغرا** ، ودورها نحو مسيرة يوم ، وآجام القصب محيطة بها • وفيها من الطير والسمك نحو ماذكر فى بحيرة أفامية • وتتحد مجارى الأنهار الثلاثة قبل أن تنتهى الى البحيرة فى شاطئها الشمالى ، ومن الطرف الجنوبى للبحيرة يخرج نهر يتصل بالأرنط أسفل جسر الحديد الذى يمتد على نحو ميل فوق أنطاكية وتوجد البحيرة الى الشمال من أنطاكية •

بحيرة اليغرا : بين أنطاكية والثغر ، تجتمع اليها **مياه العاصى ونهر عفرين والنهر الأسود** ومجيئها من ناحية مرعش وتعرف ببحيرة السلور لكثرة هذا النوع من السمك فيها •

بحيرة الحدث : قرب مرعش من أطراف بلاد الروم ، أولها عند قرية تعرف بابن الشميعى على اثنى عشر ميلا من الحدث نحو ملطية ثم تمتد الى الحدث •

بحيرة افامية : وهى عدة بطائح فى الغرب بميلة الى الشمال عن أفامية ـ كما يقول أبو الفدا ، بين غابات من القصب ، يصب فيها نهر العاصى من الجنوب ، وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك : فالجنوبية بحيرة أفامية وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب قامة وأرضها موحلة لا يقدر الانسان على الوقوف فيها وبوسطها جمم قصب وبردى وحولها القصب والصفصاف وبها أنواع الطير مالايحصى وينبت بها اللينوفر الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بورقه وزهره ، والبحيرة الشمالية من عمل حصن برزويه بقدر بحيرة أفامية أربع مرات ووسطها مكشوف وينبت اللينوفر بجانبيها الجنوبى والشمالى • وبينها وبين بحيرة أفامية زقاق تسير فيه المراكب من احداها الى الأخرى ، وتعرف أيضا ببحيرة النصارى لوجود صيادين من النصارى يسكنون الأكواخ هناك •

بحيرة قدس : قرب حمص ، طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال ، تنصب اليها مياه ما حولها من الجبال ثم يخرج منها نهر العاصى وهى بحيرة فى أرض مستوية عن حمص فى جهة الغرب على بعض يوم منها ، وطولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفى طرفها الشمالى سد ممتد فى طولها مبنى بالحجر ينسب الى الاسكندر وسطه برجان من حجر أسود (٤٤) ٠

وهناك بحيرات أخرى فى القسم الأوسط والجنوبى من الشام تخرج عن نطاق البحث : مثل **بحيرة دمشق** شرقى غوطة دمشق ويصب اليهـا فضلة نهر بردى ، **وبحيرة بانيـــاس** فى مقابلة دمشق ويصب فيها عدة أنهار ويخرج منها نهر الشريعة ، **وبحيرة طبرية** فى أول الغور ويدخل اليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانياس ، وبحيرة زغر أو المنتنة أو سدوم أو لوط أو المقلوبة وفيها مصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند نهايته ٠

نظرة اقليمية شاملة :

هذا عرض وصفى للمعالم الجغرافية فى اقليم الشـــام ، وقد نظر المقدسى الى تضاريسه جملة فقال « ووضع هذا الاقليم ظريف ــ **هو أربعة صفوف : فالصف الأول يلى بحر الروم وهو السهل** ــ رمال منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل ، **والصف الثانى الجبل** ــ مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيه من البلدان بيت جبريل وايليا ونابلس واللجون وقدس والبقاع وأنطاكية ، **والصف الثالث الأغوار** ــ ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع يقع فيه من البلدان تبوك وصفد وأريحاء وبيسان وطبرية وبانياس ، والصف الرابع **سيف البادية** ــ وهى جبال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيـــون وأشجار يقع فيه من البلدان مآب وعمان وأذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب ٠ وتقع الجبال الفاصلة مثل جبل زيتا وصديقا ولبنان واللكام فى الصف الثانى ، وسرة الأرض المقدسة فى الجبال المطلة على الساحل (٤٥) » ٠

ونضع الى جانب تقسيم مؤلفنا الجغرافى القديم التقسيم الجغـرافى

---

(٤٤) Le Strange : Palestine Under th Moslems, pp. 70 : 2. أبو الفـدا : تقويم البلدان ص ٣٩ : ٤٣ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٨٤ ــ ٥ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٧٩ وما بعدها ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٢٣١ ٠

(٤٥) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٨٦ ٠

للشام الذى قدمه البحث المعاصر فنجد تقاربا كبيرا بين التقسيمين • يقول حتى Hitti : ان الصفة البارزة للطبوغرافية السورية **هى تناوب الاراضى المنخفضة والاراضى المرتفعة بحيث تحاذى بعضها بعضا وتتجه من الشمال الى الجنوب** • ويمكن تمييز خمس مناطق طولية بين البحر والبادية •

١ ـ **السهل الساحلى** : يمتد على ساحل البحر المتوسط الشرقى من شبه جزيرة سيناء الى خليج الاسكندرونة ، وينحصر بين البحر والبادية : فيتسع في الشمال والجنوب ، ويقتصر على مجرد شريط ضيق فى سفح جبل لبنان ـ وفى بعض الأحيان يكون الارتفاع من السهل الساحلى مفاجئا يستلفت النظر ، فعند مصب نهـــر الكلب **Lycus** تصل المرتفعات الجنوبية الى البحر فتعطى السكان موضعا استراتيجيا لصد القوات المعادية • كذلك يحول الرأس الجبلى فى الكرمل دون وجود أى سهل ، ويترك ممرا يكاد لا يبلغ عرضه ٢٠٠ ياردة على الساحل ـ وهكذا يتحول الى الداخل الطريق الدولى العظيم الذى كان يبدأ فى العصور القديمة من مصر ويتابع الساحل نحو الشمال • والساحل بكامله مستقيم لا يوجد فيه خليج نهرى عميق أو أى خليج مهم من نوع آخر الا فى الشمال حيث خليج الاسكندرونة •

٢ ـ **السلسلة الغربية** : تشرف على الساحل السورى سلسلة من الجبال والهضاب تبدأ **باللكام (امانوس)** فى الشمال وتمتد حتى **جبل سينا** المرتفع فى الجنوب ـ وأهم أجزائها **لبنان الغــربى** • ولبنان هو الهيكل الذى ترتبط به السهول والانخفاضات المجاورة ارتباط اللحم بالعظم ، وهذه السلسلة الجبلية أول حاجز للمواصلات بين البحر ومايليه شرقا ، ويمكن اختراقها شـــمالا عند **خليج الاسكندرونة** حيث يجرى الاتصال بطريق الجسر السورى مع سهول مابين النهرين ، وجنوبا عند **برزخ السويس** الذى يجرى الاتصال بوساطته مع البحر الاحمر أو مـع الصحراء العربية ، وبين هذين الطرفين يمكن اختراق الحاجز الجبلى فقط فى وادى **النهر الكبير** (Elentherus القديم) شمالى طرابلس ، وعند تصدع **مرج ابن عامر** شرقى عكا وحيفا •

(أ) **اللكام أو الامانوس** Ammanus و (اللكام) تسميته العربية مأخوذة من السريانية (أوكاما) Ukkama أى أسود وبالتركية كاورداغ Giaour Dagh أى جبل الكفار اذ كان حصن البيزنطيين ضد المسلمين لزمن طويل ، وهو التواء فرعى يمتد من جبال طوروس التى تفصل سورية عن آسيا الصغرى باتجاه الجنوب ، فيتصل بكتلة الجبـــال السورية •

ويحيط جبل اللكام بخليج الاسكندرونة فيشكل حاجزا بين سوريا وكيليكيا ويرتفع الى نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويشق نهر العاصي طريقه الى البحر في الطرف الجنوبي من اللكام ، وتعبر الجبل طرق تمتد من أنطاكية وحلب وتمر بالممر الرئيسي ـ وهو مضيق بيلان المعروف باسم الأبواب السورية Pylae Syriae •

(ب) وتستمر السلسلة الغربية جنوبي مصب العاصي في **جبل الأقرع** (Cassius القديم) الذي يرتفع الى ١٥٠٠ قدم • ومن هناك تمتد الى جوار اللاذقية حيث تعرف بجبال النصيرية Bargyrus ثم تتابع سيرها الى النهر الكبير الجنوبي • ويشكل هذا النهر الذي ينبع من جبال النصيرية الحد الفاصل بينها وبين جبال لبنان ، كما يشكل الحدود السياسية الحالية بين لبنان وسوريا • وسلسلة النصيرية ذات شكل عام بسيط نسبيا ، لكنها تتضمن أودية عميقة ووعرة ومرتفعات شديدة الانحدار ـ تحصن فيها الحشاشون والنصيريون وتوجت تلالها خرائب القلاع الصليبية •

(ج) وتبلغ السلسلة الغربية ارتفاعا شبيها بالارتفاعات الألبية في **جبال لبنان** التي تمتد من النهر الكبير حتى نهر القاسمية شمالي صور على مسافة ١٠٥ أميال • ويأتي اسم لبنان من أصل سامي (لابن) بمعنى البياض ـ اذ تغطي الثلوج قممها نحو نصف السنة ، في حين يبقى الجليد في الفجوات التي على قمم الجبال طوال السنة • وبما أن طبقات جبال لبنان مائلة على العموم وملتوية وعمودية أكثر منها أفقية ـ فقد نتج عن ذلك خليط من التلال والشواهق والأودية مما يعترض المواصلات بين أجزاء البلاد ، ويزيد هذا التعقيد كثرة التصدعات • وهكذا كانت هذه الأراضي خلال العصور ملاجيء للأفراد والجماعات الذين اختلفت ميولهم وعقائدهم عن أهل بيئاتهم ، كما كثرت الأودية المرتفعة والمساحات الخصبة فقصدها السكان المجاورون المتصفون بالنشاط وتعشق الحرية • وهكذا استقر الموارنة والدروز والشيعة المتاولة في معاقل لبنان ، كما التجأ اليها الارمن والاشوريين الهاربون من مظالم الحكم العثماني ، كذلك آثر كهوف لبنان النساك والزهاد المسيحيون ورامها اللصوص وقطاع الطريق •

(د) **وفلسطين** : تعتبر من وجهة البنية امتداد لبنان جنوبا ، ويستمر سهل لبنان الساحلي في سهل صارونة المتموج (شارون Sharon العربية ومعناها سهل) الذي يمتد من الكرمل الى جنوبي يافا ويتصل بساحل المنطقة الفلسطينية (فلسطينيا) • وتستمر سلسلة سوريا

الغربية جنوبى ثغرة القاسمية فى هضاب ومرتفعات الجليل الاعلى ـ وهو قسم منعزل من جبال لبنان ، فى سلسلة تلال الجبال الادنى المنخفضة ٠ وتبلغ مرتفعات الجليل الاعلى ذروتها فى جبل جرمق شمالى صفد (٣٩٣٥ قدما) ، ويرتفع الجليل الادنى عند جبل طابور قرب الناصرة (١٨٤٣قدما) وتشهد السلسلة الغربية أعظم انقطاع لها فى مرج ابن عامر Esdraleon الذى يجتاز فلسطين بكاملها ـ فيفصل تلال الجليل فى الشمال عن مرتفعات السامرة واليهودية فى الجنوب ٠ وتبلغ هضبة اليهودية ذروتها جنوبى حبرون ، وسميت المنطقة الجنوبية القاحلة باسم عبرى هو النقب ـ أى الأرض المفلوحة ٠

٣ـ **المنطقة الطولية الثالثة : هى حوض طويل ضيق** يتوسط البلاد ويبدأ شمالا عند المنعطف الغربى للعاصى فى **سهل متسع يسمى العمق** ، ويرتفع عند حماه الى نحو ١٠١٥ قدما ، ثم يسمى **سهل البقاع بين سلسلتى** لبنان ، ويستمر جنوبا فى **وادى الأردن** حتى البحر الميت ، ومن هناك يواصل سيره بطريق **وادى العربة** حتى خليج العقبة ٠ وقد تشكل هذا الحوض نتيجة تصدع ، وهذا التصدع الذى يشمل وادى البقاع والأردن والعقبة من أغرب المظاهر التضاريسية وبخاصة فى قسمها الجنوبى ، ويرتفع سطح الحوض المتصدع عند الحولة ٧ أقدام عن سطح البحر ، وعند بحيرة طبرية ينخفض ٦٨٥ قدما عن سطح البحر ، وأما عند البحر الميت فانه يبلغ ١٢٩٢ قدما تحت سطح البحر ، وهذا الانحدار غاية فى السرعة٠ ومن هنا أتت تسمية (الاردن) ـ اذ أن (يردن) العبرية معناها ينزل ٠ ويتراوح عرض البقاع ـ وهو الجزء الذى تحصره سلسلتا لبنان ـ من ٦ الى ١٠ أميال، ويرتفع بجوار بعلبك الى ٣٧٧٠ قدما عن سطح البحر ٠ وبقرب هذه المنطقة تقع **نقطة تقسيم المياه حيث يتجه العاصى ببطء شمالا بينما يتجه الليطانى جنوبا ـ والنهران أطول أنهار الشام اذا راعينا أن الفرات لا يعتبر نهرا شاميا** ٠ ورواسب الطمى هنا تفيد الزراعة ، غير أن مجرى العاصى منخفض لدرجة تجعل استخدام مياهه بسهولة متعذرا ٠ وهكذا جاء استعمال النواعير من قديم ٠ وطول وادى الأردن نحو ٦٥ ميلا وعرضه بين ١٣ ، ١٤ ميلا ٠ ويتلقى هذا الاخدود الفريد عددا كبير من الجداول من المنحدر الغربى فتتصرف مياه فلسطين بكثرة متجهة الى أكثر البحيرات ملوحة فى العالم ٠ وقد نتجت درجة ملوحة مياه البحر الميت غير العادية من عدم وجود مخرج من جهة ومن الاتصال القديم بالأوقيانوس فى عصور ماقبل التاريخ من جهة أخرى ٠ وتدل المنحدرات المتصدعة فى لبنان والأخدود الأردن والبحر الميت على وجود **منطقة زلازل** ، فى حين تخترق

الهضبة شرقى جبل حرمون وجنوبى دمشق خطوط من البراكين الخامدة وتعلوها آثارها ، وتوجد ينابيع مياه حارة موزعة ومن أمثلتها مافى طبرية ومنطقة البحر الميت وتدمر • ويسجل تاريخ الشام الزلازل التى أصابت أنطاكية ١٠ مرات على الأقل فى القرون الستة الميلادية الأولى ، كما أصابت جدران معبد الشمس فى بعلبك والقلاع الصليبية ، وهى فى الغالب التى هدمت أسوار أريحا بصورة مفاجئة فى عصر الغزو الاسرائيلى وسببت خراب سدوم وعمدرة المشهور فى الطرق الجنوبى الغربى للبحر الميت. وقد كانت الامداج التى يسببها المد عند الزلزال تعبث بالساحل الفينيقى، وهى التى نال صور وصيدا الكثير من أذاها • وقد حولت آخر زلزلة عنيفة سنة ١٨٢٢ م فى شمالى الشام (حلب) وغيرها الى خرائب .

٤ ـ **السلسلة الشرقية** : تبدأ فى **نقطة جنوب حمص وتقابل لبنان الغربى بلبنان الشرقى** على طول واحد وارتفاع واحد تقريبا ، **ثم تنحدر بسرعة من حرمون** (جبل سيريون فى المزامير وسفر التثنية وجبل الثلج عند المقدسى وأبى الفدا وجبل الشيخ حديثا) نحو هضبة **حوران** ومنطقة التلال التى تجاورهما فى الغرب وهى الجولان ، ومن هناك تستمر فى شرق الأردن فى **تلال جلعاد وهضبة مؤاب** المرتفعة وتنتهى فى **جبل سعير** جنوبى البحر الميت (ويرادف تقريبا أدوم) •

وتقسم **هضبة بردى وواديه** سلسلة لبنـــان الشرقى الى قسمين : شمالى لا يكاد يوجد فى منحدره الغربى قرية واحدة ، وجنوبى حيث يقوم **جبل حرمون** وهو من أعلى قمم الشام (٩٣٨٣ قدما) وتكثر القرى فى منحدره الغربى ونظرا لقلة المطر والنبات فى لبنان الشرقى فضلا عن أسباب أخرى ، تقل كثافة سكانه عن الغربى ، وقد آتاه سكانه عموما من شرقى ســــدريا • وتمر حدود لبنان الشرقية اليوم بجبل حرمون وتنعطف حول الزبدانى وتتبع ذرى القسم الشمــــالى من لبنان الشرقى وينبع نهر بردى فى مرتفعات وادى الزبدانى ويتجه شرقا فيحيى قسما كبيرا من أراضى الشام ويساهم فى خلق مدينة دمشق مركز الحضـــارة الامامى على أبواب البادية •

وهضبة حوران سطحها بركانى فى معظمه ، وتبدأ الاراضى البركانية فى التلول جنوبى دمشــق وتشمل مســاحة طولها ستون ميلا وعرضها كذلك ، وهى أكبر هضبة من نوعها فى الشام ويحد هذه الاراضى فى الشمال الشرقى منطقة (اللجا) ذات الحجارة السوداء وكانت كما يدل اسمها العربى ملجأ المتمردين فى مختلف العصور . وفى الجنوب الشرقى

جبل **حوران أو جبل الدروز** ، وترتفع هذه الكتلة الجبلية شرقى حوران الى مابين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ قدم ـ وتقوم بين حوران والبادية ، فى حين تمتد المنطقة البركانية غربا حتى تشمل الجولان • وفى حوران قمح ومراع جيدة غير أنه قليـــل الينابيع ، وفيه معـــالم الطرق المنـدثرة والأقنية والصـــهاريج والمبانى والحصـــون الرومانية والبيزنطية التى تدل على ازدهار حوران الســابق وعلى أنها كانت مخزن حبوب الامبراطورية ، ولا تزال تمون فلسطين ولبنان بالقمح كما كانت تفعل فى عهد العبرانين والفينيقيين وتمتد أراضى حوران البركانية باتجاه الجنوب الشرقى فى **صحراء الحماد الى الحقل الحجرية** فى الحجاز التى كان العرب يعرفون الواحدة منها باسم **الحرة** .

٥ ـ **بادية الشام :** تتدرج هضـــاب شـــمالى حوران وشرقى الأردن نحو منطقة السهوب والحرات والرمال ، وتلتقى أخيرا بالأراضى القاحلة التى تشكل بادية الشام • والسهول الصحراوية صخرية وحجرية فى غالبها ، والبادية هى تتمة صحراء العرب الكبرى ، وتفصل الشام عن العراق وتشكل الخليج الصـــحراوى الذى يقع بين لطرفين الشرقى والغربى للهلال الخصيب • وتسمى الصحراء التى تحيط بالطرف الشرقى ـ أى العراق ـ بادية الجزيرة أو بادية مابين النهرين فى قسمها الشمالى، وتدعى بادية العراق أو السماوة فى قسمها الجنوبى • وسطح القسم الجنوبى الغربى من بادية الشام وهو (الحماد) حجرى ورملى ويكسوه العشب فى الربيع • **وتؤلف البادية الشامية العراقية مثلثا كبيرا** ترتكز قاعدته على خليج العقبة فى الغرب وخليج الكويت فى الشرق ، بينما يصل رأسه منطقة حلب فى الشمال • وعرض البادية فى اوسع مناطقها يبلغ ٨٠٠ ميل • وقد تاجر سكانها الرحل مع سكان الحضر على جانبيها وعملوا كوسطاء وأدلاء ورؤساء قوافل ، كما أنهم بنوا فى القديم مدنا مثل تدمر الواقعة على طريق بين الشرق والغرب يجتاز البادية • وكانوا خلال العصور بمثابة احتياطى دائم للسكان فى الحضر يمدونهم بدم جديد اما بطريق الفتح أو بطريق التغلغل السلمى • والنزاع القديم بين الأرض المزروعة والبادية هو حقيقة تاراخية لها أساسها فى الجغرافية الطبيعية لهـذه المنطقة (٤٦) •

---

(٤٦) دكتور فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمه دكتور حداد ورافق حـ ١ ص ٣١ : ٤٧

Canard ; Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 196 : 199.

المدن :

يتصل باقليم الثغور والعواصم على الحدود الاسلامية البيزنطية بصفة خاصة **قطاعان هامان** من مدن الشام : قطاع **مدن الساحل** حيث نشأت الرباطات البحرية ، وقطاع بعض **مدن الشمال** التى تعتبر منطقة خلفية hinterland تظاهر اقليم الثغور والعواصم .

مدن الساحل : هى من الشمال الى الجنوب :

اولاس : حصن على ساحل بحر الشـام من نواحى طرسوس فيه حصن يسمى حصن الزهار ، قال أبو زيد البلخى : هى آخر ما على بحر الروم من العمارة للمسلمين (٤٧) .

الاسكندرونة : فى شرقى أنطاكية على ساحل بحر الشام ، بينها وبين بغراس ٤ فراسخ وبينها وبين أنطاكية ٨ فراسخ . قال ابن شداد : أن زبيدة أم جعفر بنت حصنا هناك وجدده أحمد بن أبى داود فى خلافة الواثق . ويدخل خليج الاسكندرونة فى اليابسة ، وموقعه الجغرافى يدعو الى تأسيس مرفأ بحرى اذ يحمى الخليج السفن من الرياح كما تحمى الجبال المرفأ من الرياح الغربية . وهكذا تكون الاسكندرونة مرفأ حلب وأنطاكية وكلس وعينتاب ومرعش والبيرة وديار بكر ومدن شمالى الجزيرة حتى الموصل ، فى حين أن مرفأ اللاذقية يتعـرض للرياح الجنوبية والغربية وللرمال (٤٨) .

اللاذقية : مدينة على ساحل البحر المتوسط تعد فى أعمال حمص وهى غربى جبلة بينهما ستة فراسخ وكانت أيام ياقوت من أعمال حلب، وهى « مدينة عتيقة رومية فيها أبنية قديمة مكينة ، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف من الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته » . ونقل القلقشندى أنها « أجل مدينة بالساحل متعة وعمارة ولها مينا حسنة » . وقد كانت اللاذقية ميناء لكثير من المدن الهامة المجاورة لها فى الداخل مثل أفامية ويشهد بأهميتها البحرية Ad mare فى العصر الاغريقى الرومـانى عملتها

---

(٤٧) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٣٧٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٧ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٢٧٥ .

(٤٨) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٧ ، كرد علي : خطط الشام ج ٥ ص ١٧٤ ــ ٥ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٢٧٦

وآثارها ووصف اســـترابون لمرفئها ورخائها وكرومهـا ، وفى العصر البيزنطى كان الدفاع عن منافذ البلاد يوجه من اللاذقية Laodicée

وبلاطنس : حصن منيع بالساحل مقابل اللاذقية ، ويرى هارتمان انها قلعة المهلبى الحالية ، وقد كانت تشرف على تفرع الطريق المتجه الى جبلة عند انفصاله عن طريق الأرنط ـ اللاذقية (٤٩) ·

جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية · بينها وبين اللاذقية ١٢ ميلا ، وبينها وبين أنطاكية ٤٨ ميلا · وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص فشحنها معاوية بالرجال، وبنى بجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم· ويذكر وسو ان معاوية استفاد من أنقاض حصن Paltos فى منتصف الطريق بين بانياس وجبلة · وظلت فى أيدى المسلمين حتى أخذها الروم سنة ٣٥٧هـ بعد وفاة سيف الدولة بسنة وظلت بأيديهم حتى سنة ٤٨٣ هـ ·

والكاف : حصن حصين بسواحل الشام قرب جبلة ·

وبلدة : من مدن ساحل بحر الشام قريب من جبلة (٥٠) ·

والجماهرية : حصن قرب جبلة من سواحل الشام. وتدل العمليات الحربية لصلاح الدين سنة ١١٨٨ م أن هذه القلعة كانت تقع بين قلعة عيدو وبلاطنس (٥١) ·

وبكسرائيل : حصن من نواحى ســـواحل حمص مقابل جبلة فى الجبل (٥٢) ·

وصهيون : حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر وهو فى طرف جبـل خنادقة أودية هائلة واسعة عميقة ليس له خندق محفور الا من جهة واحدة ، طوله ستون

---

(٤٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٣١٢ ، جـ ٢ ص ٢٦٠ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٦ ، القلقشندى جـ ٤ ص ١٤٥ ،
Dussaud : Top Hist. de la Syrie, pp. 148: 150, 417

(٥٠) ياقوت · معجم البلدان جـ ٣ ص ٥٣ ، جـ ٧ ص ٢٠٩ ، ابن عبدالحق · المراصد جـ ١ ص ٢١٧ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٤ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٤٥ ·
Dussaud : Top Hist. de la Syrie, pp. 132: 6

(٥١) ابن عبد الحق المراصد جـ ١ ص ٣٤٥ ·
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 150 - 1

(٥٢) ابن عبد الحق المراصد جـ ١ ص ٢١٤

ذراعا أو نحوها وهو تقر في حجر ، وله ثلاثة أسوار : سوران دون الربض وسور دون القلعة (٥٣) ٠

مرقية : قلعة حصينة في ســــواحل حمص خربت فجددها معاوية ورتب فيها الجند واقطعهم القطائع (٥٤) ٠

بلنياس : كورة ومدينة حصــينة وحصـــن بســـواحل حمص على البحر ٠ ويذكر دوسو أن العرب اسموها بلنياس فيما بعد ٠ **وبرج ابن قرط** بين بلنياس ومرقية ، قتل عنده عبد الله بن قرط الشمالي وكان واليا على حمص خرج يعس على شاطيء البحر فقتله الروم (٥٥) ٠

المرقب : بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس ، نقل ياقوت أن المسلمين عمروها سنة ٤٥٤ هـ « وهو حصن يحدث كل من رآه أنه لم ير مثله (٥٦) » ٠

انطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام آخر اعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص ٠ قال أبو القاسم الدمشقي : من أعمال طرابلس تطل على البحر ، شرقي عرقة بينهما ٨ فراسخ ، ولها برجان حصينان كالقلعتين ، بناها معاوية وحصنها واقطع المقاتلة بهـا القطائع كما فعل بمرقية وبلنياس ٠ ويذكر دوسو أن أصـل انطرطوس هو Antaradus المواجهـــة لجزيرة ارواد على البر ، وقد كان لهــا نفس أهمية الجزيرة (٥٧) ٠

طرابلس : جاء في أخبار فتحها أنها كانت ثلاث مدن مجتمعة ، وحين جلا عنها أهلها أسكن معاوية جماعة كبيرة من اليهود أحد الحصون الثلاثة وهو الذي فيه الميناء كما يقول البلاذري ، ثم حصنه عبد الملك ابن مروان كما ذكر اليعقوبي أن معاوية نقل الفرس الى المدينة ولها ميناء عجيب يحتمل الف مركب ٠ ويقول الاصطخري أنها ميناء دمشق على الساحل حيث يرابط أهل دمشق في حاميتها مع غيرهم من رجال الاقليم ،

---

(٥٣) ابن عبد الحق المراصد : جـ ٢ ص ٨٥٩ ٠

(٥٤) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٢٨

(٥٥) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٧٨ ، ١١٢ ٠

(٥٦) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٨ ص ٢٨ عن بلنياس والمرقب ؛
Dussaud : Top Hist. de la Syrie, pp. 127-8.

(٥٧) ياقوت معجم البلدان حـ ١ Dussaud : Top Hist. de la Syrie, p. 142.
ص ٣٥٩ وقد عرض لموانى المنطقة الشمالية من ساحل الشام المواجهة لجند حمص
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 204 : 7.

يومنها ينتقلون في الحملات العسكرية . وأهل طرابلس أكثر هدوءا ووداعة من اهل دمشق . ويقول المقدسي : ان طرابلس مدينة محصنة مثل صيدا وبيروت الا انها أجل . ويعطينا ناصرى خسرو سنة ١٠٤٧ م صورة عن وضع المدينة العسكرى بعد أن تحدث كغيره من الجغرافيين عن حاصلاتها، فيقول ان المدينة في موقع مناسب حتى أن البحر يحيط بها من ثلاث جهات ويحمى الجانب الرابع من جهة البر خندق يمتد الى الشرق من السور ذى الباب الحديد . والاسواق والمعاقل والمراقب مبنية من حجر منحوت ، وتوجد عرادات للدفاع عن المدينة ضد أى هجوم للروم . كما ذكر أن المدينة مركز للمراكب تأتى اليها السفن من سواحل الروم والفرنجة والاندلس والمغرب . **وهناك مباني تشبه الرباطات خالية من الحراس « ويسمونها مشاهد »** .

وقد وصف الجغرافيون والرحالون الأسواق والمنازل. وذكر الادريسي أن في مواجهة طرابلس اربع جزر في صف واحد : أولها وأقربها للبر النرجس وهى صغيرة جدا وغير مسكونة ،ثم العمود ، والراهب، وأخيرا ارضكون . وقد عدد الادريسي اسماء بعض قلاع طرابلس وحصونها ، ومن ذلك: عناف الهجر وحصن القلمون وحصن أبي العداس وارتوسيه . ولا يضيف ياقوت الى ذلك جديدا . وقد تتبع الدمشقي وأبو الفدا وابن بطوطة ما أصاب المدينة من تغيرات بعد أن استعادها السلطان قلاوون من الصليبيين سنة ١٢٨٩م (٥٨) .

ومصياب : حصن حصين للاسماعيلية قرب طرابلس . وقد يقال له **مصياف** (٥٩) .

والمنيطرة : حصن بالشام قرب طرابلس أيضا (٦٠) .

عرقة : شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ وهى آخر عمل دمشق فى سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . قال أبو بكر الهمداني : « عرقة بلد من العداصم بين رقنية وطرابلس » .

وذكر ياقوت أن اللكمة « حصن بالساحل قرب عرقة » .

---

(٥٨) Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 348: 52.
(ملحق بالأعلاق النفيسة) ص ٣٢٧ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٣ ، الاصطخرى المسالك والممالك ص ٤٦ ـ ٤٧ ، المقدسي أحسن التقاسيم ص ١٦٠ ، ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٢ .

(٥٩) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٧٩

(٦٠) ابن عبد الحق : المراصد حـ ٣ ص ١٣٣٦

ورفنية : كورة من عمل حمص يقال لها رفنية تدمر وقيل بلدة عند طرابلس من سواحل الشام (٦١) ٠

جبيل : في سواحل دمشق ، بلد مشـــهور في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ منه. يقول ياقدت : « بقي بأيدي المسلمين الى أن نزل عليه صنجيل الفرنجي سنة ٥٩٦ هـ » ٠

وبثرون : حصن بين جبيل وأنفة على ساحل بحر الشام ٠

وانفة : بليدة على ساحل بحر الشام شرقي جبيل (٦٢) ٠

بيروت : مدينة مشهورة على بحر الشام تعد من أعمال دمشـــق ، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ (٦٣) ٠

صيدا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ست فراسخ ٠

وقلعة ابي الحسن : قلعة عظيمة ساحلية قرب صيدا بالشام(٦٤).

صور : قال المقدسي : « مدينة حصينة على البحر ـ بل فيه ، يدخل اليها من باب واحد على جسر واحد ، قد أحاط البحر بها ، ونصـــفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض تدخل فيه المراكب كل ليلة ثم تجـــر السلسلة ٠ ولهم ماء يدخل في قناة معلقة ، وبين عكا وصور شبه خليج، ولذلك يقال : عكا حذاء صور الا أنك تدور ـ يعني حول الماء » ٠ وقال ياقوت:«مدينة مشهورة سكنها الزهاد والعلماء ، كانت من ثغورالمسلمين، داخلة في البحر مثل الكف ، يحيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذي منه شروع بابها ، وهي حصينة جدا ركينة لا سبيل اليها الا بالخذلان » (٦٥) ٠

عكا : قال المقدسي :«مدينة حصينة ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون وكان قد رأى صور واستدارة الحائط على ميناها فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك » . ويذكر المقدسي ان ابن طولون استعان بجده

---

(٦١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٥٥ ، جـ ٧ ص ٣٣٧ ، جـ ٤ ص ٢٦٦

(٦٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٥٩ ، جـ ٢ ص ٦٠ ، ابن عبدالحق : المراصد جـ ١ ص ١٢٦ ٠

(٦٣) ابن عبد الحق المراصد جـ ١ ص ٢٤٠ ٠

(٦٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤٠٣ ، جـ ٧ ص ١٤٨ ٠

(٦٥) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٦٣ ـ ٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٩٧

في هذا السبيل « والتمس ـ هذا الجد ـ منهم احضار فلق من خشب الجميز غليظة ، فلما حضرت عمد بصفها على وجه الماء بقدر الحصن البرى وضم بعضها الى بعض وجعل لها بابا عظيما من ناحية الغرب، ثم بنى عليها الحجارة والشيد ، وجعل كلما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتد البناء ، وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت ، حتى اذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولا كاملا حتى أخذت قرارها ، ثم عاد فبنى من حيث ترك ، وكلما بلغ البناء على الحائط القديم داخله فيه وخيط به ، ثم جعل على الباب قنطرة . فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور » . وقد كانت في عكا **صناعة بلاد الأردن** فنقلها هشام بن عبد الملك الى صور ، وقد وقعت في ايدى الافرنج وافتتحها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ ، لكن استعادها الفرنج (٦٦).

وتل كيسان : موضع في مرج عكا من سواحل الشام .

والخروبة : حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا .

والعرابة : من اعمال عكا **ومنوات** بقربها (٦٧) .

وطرطوس : قرب المرقب وعكا (٦٨) .

حيفا : حصن على ساحل بحر الشام .

وكرمل حصن على الجبل المشرف على حيفا . (٦٩)

— **قيسارية** : قال المقدسي : « ليس على بحر الروم بلد أجل ولا أكثر خيرات منها، عليها حصن منيع وربض عامر قد أدير عليه الحصن،شربهم من آبار وصهاريج ». وذكر ياقوت : أنها كانت الى قرب عهده من اعيان المدن ، أما أيامه فليست كذلك وهي بالقرى أشبه منها بالمدن .

— **وقاقون** : حصن بفلسطين قرب الرملة ، وقيل هو من عمل قيسارية.

— **وكفرلاب** : بلد بساحل الشام قرب قيسارية بناه هشام بن عبد الملك .

---

(٦٦) المقدسي . أحسن التقاسيم ص ١٦٢ : ٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٠٥ : ٧

(٦٧) ابن عبد الحق المراصد : جـ ١ ص ٣٧٢ ، ٤٦٢ ، جـ ٢ ص ٩٢٦ ، ٣ ص ١٣٢٥

(٦٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٤١

(٦٩) ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ٤٤٢ ، جـ ٣ ص ١١٦١

ويازور : بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام (٧٠) ·

أرسوف : ذكر المقدسي أنها أصغر من يافا حصينة عامرة ، وقال ياقوت : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا كان بها خلق من المرابطين (٧١) ·

يافا : يقول المقدسي : على البحر صغيرة الا أنها خزانة فلسطين وفرضة الرملة ، عليها حصن منيع بأبواب محددة ، وباب البحر كله حديد ومبناها جيد · ويذكر ياقوت أنها تقع بين قيسارية وعكا ، لكن الواقع أن يافا تقع في جنوبي قيسارية في حين أن عكا تقع في شمالها ، وانما تتوسط يافا بين عكا وقيسارية من جهة وبين عسقلان من جهة اخرى · وقد أشار ابن بطلان في رسالته التي كتبها سنة ٤٤٢ م الى قحط يافا (٧٢) ·

عسقلان : قال المقدسي : على البحر جليلة كثيرة المحارس الا أن ميناها ردىء . وقال ياقوت « ويقال لها عروس الشام ، وكذلك يقال لدمشق أيضا » · ونزلها جماعة من الصحابة وحدث بها خلق كثير ورويت في فضائلها أحاديث ·

وبيت جبرين ـ وهي في لغة جبريل ـ Eleutheropolis حصن ببيت المقدس وعسقلان · قال المقدسي : وبيت جبريل مدينة سهلية جبلية ، وقد ذكر انها قد خفت ـ أي قل عمرانها وسكانها (٧٣) ·

غزة : كبيرة على جادة مصر وطرف البادية وقرب البحر ، فيهما أثر عمر بن الخطاب ومولد الشافعي وقبر هاشم ، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل في غربيها ·

وميماس على البحر حصينة صغيرة تنسب الى غزة (٧٤)

---

(٧٠) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٦ ، ١٩٥ ، جـ ٣ ص ٤٩١

(٧١) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤ ، ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ١٩٢

(٧٢) المقدسي ص ١٥٤ ، ياقوت . معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٩٢

(٧٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ص ١٦٤ ـ ٥ ، ابن عبد الحق المراصد جـ ١ ، ص ٣١١ ·

(٧٤) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٧٤ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ٢ ص ٩٩٣

مدن شمالي الشام (غير الساحلية) :

حماة : مدينة قديمة جدا ، وأول مايعرف عنها أن الحيثيين استولوا عليها في القرن ٩ق٠م ، ثم تأسست فيها مملكة آرامية صغيرة تحالفت مع مملكة دمشق الآرامية لايقاف غزوات الاشوريين على سوريا ، بيد أن سرجون الثاني احتلها بعد موقعة قرقر سنة ٧٢٠ ق٠م٠ وأجرى السلوقيون (السليوكيون) فيها عمليات عمرانية واسعة كما يبدو وأطلقوا عليها اسم Epiphania نسبة الى انطيوخس الرابع ابيفانيس (٧٥)٠ وقد ذكر المدينة امرؤ القيس في شعره فقال :

تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية رحنا من حماة وشيزرا

وقد سجل الجغرافيون العرب قدم المدينة ، وكانت واقعة في اقليم حمص ، وهي على شاطىء العاصي.وكتب عنها الرحالة المسلمون مثل ناصري خسرو الذي زارها سنة ١٠٤٧ م وابن جبير الذي زارها سنة ١١٨٥ م ووصفها وصفا مطولا نقتطف منه ما يشير الى أهميتها الحربية: «وبازاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلبية الوضع ، وان كانت دونها في الحصانة والمنع ، سرب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها ٠٠٠ وموضوع هذه المدينة في وهدة من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق ، يرتفع لها جانبان : أحدهما كالجبل المطل ، والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي ، والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة ، وقد تولى نحتها الزمان وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان ٠ والمدينة السفلى تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب الماء عليه،وكلتا المدينتين صغيرتان .وسور المدينةالعليا يمتد على رأس جانبها العلي الجبلي وبطيف بها ، وللمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب، لأن جانبها المتصل بالبحر لا يحتاج الى سور ٠ وعلى النهر سور كبير معقود بصم الحجارة ، يتصل من المدينة السفلى الى ربضها ٠ وربضها كبير ٠٠٠٠٠٠٠ والبساتين متصلة على شطي النهر وهو يسمى العاصي ، لأن ظاهره انحداره من سفل الى علو ، ومجراه من الجنوب الى الشمال ٠ وهو يجتاز على قبلي حمص وبمقربة منها » ٠ وقد أشار ياقوت في القرن ١٣ م الى اتساع المدينة وكثرة خيراتها وأسواقها ورخص أسعارها : « يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضر كبير جدا ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة ٠ ويسمون المسور السوق

---

(٧٥) دكتور سليمان عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات اثرية في سوريا ص ١١٥

الأعلى ، والجزء العلوى من المدينة يسمى المنصورية. وفى طرف المدينة قلعة عجيبة فى حصنها واتقان عمارتها وحفر خندقها للملك المنصور (الأيوبى) ..... وقرون حماة قلتان متقابلتان بجبل يشرف عليها ، **وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم** ، وبينها وبين شيزر نصف يوم ، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل ، **وبينها وبين حلب اربعة ايام** » .

وقد كان لحماه موقع هام فى قلب الشام ، وكانت لها طرق تربطها بالساحل . وقد ظلت مركزا هاما للثقافة المسيحية بعد الفتح العربى مدة طويلة ، ويسجل الدمشقى مظاهر احتفال الأهلين ببعض الأعياد المسيحية وقدوم السكان اليها من الجهات المجاورة : حمص وشيزر وسلمية وكفر طاب ومصياف والمعرة وتيزين والباب والفوعة وحلب فيحلون على شواطىء العاصى حيث يقيم اهل حماة الخيام ويدور الرقص والغناء .

وقد ذكر ياقوت أن حماه كانت فى أيامه بسلطان مفرد ، كما ذكر الدمشقى سنة ١٣٠٠م أنها كانت قاعدة الولاية ومركز الحكومة « وكانت حماة قديما مضافة الى حمص ثم أضيفت الى حلب ، ثم عظم شأنها بالملوك الأيوبية الذين كانوا سلاطينها وان كانوا تحت يد ملوك مصر وصار بها قضاة أربعة وحجاب وأمراء وأرباب وظائف » . وكذلك أشار ابو الفدا الى حصانتها ومناعة قلعتها ، وقد تتابع الجغرافيون على ذكر نواعيرها وفواكهها (٧٦) .

حمص : عرفت باسمها منذ العصر الرومانى وقد فاقت شهرتها المدن المجاورة وكانت تحكمها سلالة عربية قبل أن يستولى عليها الامبراطور دوميتيان Domitian قد سطع نجمها عندما تولى امبراطورية روما سنة ٢١٧م كاهن معبد الشمس الأكبر الذى ولد فيها وهو الاجابالس Elagabalus الذى منحها امتيازات كثيرة مما ساعد على ازدهارها ، بجانب ماهيأه لها موقعها الجغرافى (٧٧) .

---

(٧٦) Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 357 : 60
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 208 - 9
اليعقوبى : البلدان (ملحق بالأعلاق النفيسة) ص ٣٢٤ ، رحلة ابن جبير ص ٢٤٣ - ٥ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٣٥ ــ ٦ ، ابن عبد الحق المراصد جـ ١ ص ٤٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٦٩ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٢١١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٢ ــ ٣
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 234-5, 243 - 4

(٧٧) دكتور سليمان عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات أثرية فى سوريا ص ١١٤

ويلاحظ اليعقوبى أن مدينة حمص من أوسع مدن الشام ، واهلها من بطون اليمن ـ من طىء وكنده وحمير وكلب وهمدان ، كما أن اهالى حماه من بهراء وتنوخ . وقد أشار المسعودى الى جمال كنيسة حمص المقامة على أربع أركان وذكر أنها احدى عجائب الدنيا . ولاحظ البلاذرى وابن الفقيه أن مدينة حمص مفروشة بالصخر . ويبرز الاصطخرى جودة مناخ حمص وارضها . أما المقدسى فيقول : «ليس بالشام بلد أكبر منها وفيه قلعة متعالية عن البلد ترى من خارج » . واذا ماقارنا المدن التى يدخلها ابن خرداذبة فى نطاق اقليم حمص بالقائمة التى يوردها جورج القبرصى وترجع الى بداية القرن السابع الميلادى فاننا نجد تغـيرا فى التنظيم الادارى ، فقد غدت حمص قاعدة لاقليم لا يشمل فحسب المنطقة المحيطة بها (أو فينيقيا اللبنانية) بل يضم ايضا فينيقيا البحرية فضلا عن منطقة افامية وشيزر. ويعدد ابن خرداذبة من اقاليم حمص: حماة وشيزر وفامية ومعرة النعمان وصوران ولطمين وتل منس والغلاس وكفر طاب وجوسـية ولبنان والشـميرة ، واقاليم التمة الخمسـة ، ثم البلعاس والبارة والرستن وزمين والقسطل وسلمية وعقبرتا والجليل والسويدا ورفنية وتدمر ، ومن سواحلها : اللاذقية وجبلة وبلنياس وانطرسوس ومرقية وقاسرة والسقى وجرثية والحولة وعملوا وزندك وقبراتا .ويبدو ان بعض اسماء المدن الساحلة ـ ان كانت لم تحرف فى الـكتابة ـ قد تعرضت للتغيير ، لا نظرا للتطور فحسب بل لتتابع الهجرات بعد الفتح العربى ، وتحقيق هذه الاسماء وما أصابها من تغيرات يواجه صعابا جمة .

وقد احتل الصليبيون حمص سنة ١٠٩٩م ، ووصفهـا بعض الجغرافيين بعد ذلك التاريخ مثل الادريسى الذى كتب سنة ١١٥٤ م . وفى سنة ١١٨٥م كتب ابن جبير : « وأهل هذه البلدة موصوفون بالنجدة والتمرس بالعدو لمجاورتهم اياه ـ وبعدهم فى ذلك أهل حلب ...وبقبلى هذه المدينة قلعة حصينة منيعة عاصية غير مطيعة قد تميزت وانحازت بموضوعها عنها ، وبشرقيها جبانة فيها قبر خالد بن الوليد ومعه قبر ابنه عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر . وأسوار هذه المدينة غاية فى العتاقة والوثاقة مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود ، وأبوابها أبواب حديد ، تكتنفها الابراج المشيدة الحصينة ، وأما داخلها فما شئت من بادية شعثاء خلقة الأرجاء ملفقة البناء لا اشراق لافاقها ولا رونق لأسواقها. وما ظنك ببلد :حصن الاكراد منه على أميال يسيرةـ وهو معقل العدو فهو منه تتراءى ناره ويحرق اذا يطير شراره ويتعهد اذا شاء كل يوم مغاره » ويذكر ياقوت أن حمص « بلد مشهور قديم مسور ، وفى طرفه القبلى قلعة

حصينة على تل عال ـ كبيرة ، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق • وبها دار خالد بن الوليد وقبره فيما يقال ـ وبعضهم يقول انه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح ، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشي الذى فتح الجزيرة • ويقال ان هذا الذى يزار بحمص انما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية » • وقد تتابع الجغرافيون المسلمون الى الاشـــارة الى طلسم في حمص يفي من العقارب ، والى تمثال نحاسي على صورة انسان راكب على فرس يدور مع الريح • وذكر الدمشقى ان اسم حمص القديم هو سورية ، واشاد أبو الفدا بحدائقها ، وقال ابن فضل الله العمرى : « وظاهرها أحسن من باطنها لا سيما في زمن الربيع وما يلبس به ظواهرها من حال الربيع الموسقة بالأزهار ويتوسط بها البحيرة الصافية الماء ذات السمك المنقول من الفرات اليها حتى تولد فيها والطير المبشوث في نواحيها (٧٨) » •

حصن الأكراد : حصن منيع على الجبل الذى يقابل حمص من جهة الغرب ـ وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان ، وهو بين بعلبك وحمص، وكان يسمى قديما حصن السفح ويسمى الآن قلعة الحصن أو الحصن • وكان بعض أمراء الشام قد بنى في موضعه برجا وجعل فيه قوما من الأكراد طليعة بينه وبين الفرنج وأجرى لهم أرزاقا فجعلوا يحصـــنونه الى أن صار قلعة حصينة منعت الفرنج « وهو في أيديهم الى هذه الغاية ـ وبينه وبين حمص يوم ، ولا يستطيع صاحبها انتزاعه من أيديهم » وكما يقول ياقوت (٧٩) .

تدمر : تقع وسط واحة على ملتقى طرق القوافل بين الفرات وسواحل بحر الشام وبين الرقة ودمشق ، وتربط مصر بفارس والهند والشرق الأقصى • وهي هبة الينبوع المائي عندها وهبة الطريق الهام المار بهـا ، وقد ورد أقدم ذكر لها في كتابتين أشوريتين تقولان بأن الملك الأشورى تقلات فلاسر قد بلغها في احدى حملاته ضد الأراميين . ثم زادت أهميتها

---

(٧٨) Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 353 : 7, Canard: Hist. de la Dyn. des Handanides. p. 208, Dussaud: Top Hist. de la Syrie, pp. 101 : 4,

اليعقوبى : البلدان (ملحق بالاعلاق النفيسة ص ٣٢٤ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٠ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٧٥ ـ ٦ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٥٦ ، رحلة ابن جبير ص ٢٤٥ ـ ٦ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٠ ـ ١ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٧٣ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ ـ ١

(٧٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٢٨٤ ، Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, p. 92.

لتوسطها بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية وازدهرت في عهد أذينة وزوجته زنوبيا المشهورة • وبعد ضربة الرومان القاضية لها أيام أورليان بنى فيها دقلديانوس معسكرا كبيرا وأحاطها بسور • وفي العهد البيزنطي أنشأ جستنيان بها بعض الأبنية ومد فيها قناة. ويبدو أن أسوارها قد أعيد بناؤها في العهد الاسلامي ، اذ تكلم أبو الفدا عن قلعتها وأسوارها ويدل فن البناء التدمري على الاقتباس من سوريا الرومانية وعالم البحر المتوسط مع تمثل تقاليد البناء الشرقية حتى كانت له شخصيته الذاتية • وقد بنيت تدمر على غرار المدن الاغريقية الرومانية كانطاكية وافامية ـ من شوارع مستقيمة متقاطعة وطريق رئيسي وساحة عامة ومسرح ومعابد (٨٠) • ووصف المقدسي تدمر بأنها «على مثل كرسي من مدن سليمان بن داود» (٨١) • وجاء عنها في مراصد الاطلاع • «مدينة قديمة مشهورة في برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة مراحل وهي قريبة من حمص، ومن عجائب الابنية كانت موضوعة على العمد الرخام وأهلها يزعمون أنها كانت قبل سليمان بن داود بكثير • وأهلها الآن في حصن منها على سور من حجارة وبابه مصراعان من حجر وبها صوامع باقية ، ولهم نهر يسقي نخلهم وبساتينهم وقيل أن الجن بنتها لسليمان» (٨٢) •

معرة النعمان : مكان مدينة آر القديمة وقد فتحها العرب سنة ٦٣٧م تقع على الطريق من حماة الى قنسرين وحلب، وسميت باسم الصحابي النعمان بن بشير الذي كان واليها زمن معاوية • ووقوعها على الطريق بين حماة وحلب ربط مصيرها بهاتين المدينتين فانها كانت الهدف الأول لكل غارة تأتي من الشمال وتقصد مدينة حماة وعندما كان خط الدفاع الأمامي للحمويين وقد كانت مجهزة بتحصينات دمرت في زمن فتنة نصر بن شبث ضد المأمون سنة ٢٠٧ هـ لكن بنيت في الوقت نفسه قلاع مجاورة مثل حناك. واستولى البيزنطيون على المعرة سنة ٩٦٨م بقيادة امبراطورهم نيقفور فوكاس ، ثم دخلها الصليبيون سنة ١٠٩٨م ، واستردها زنكي سنة ١١٣٦م وبقيت تابعة لامارة حماة في ظل الأيوبيين والمماليك ولكن

---

(٨٠) دكتور سليمان عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات اثرية في سورية ص ٦١ :
أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٨٨ ـ ٩
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 212.

(٨١) المقدسي : احسن التقاسيم ص ١٥٦ •

(٨٢) ابن عبد الحق : المراصد حـ ١ ص ٢٥٤ •

(٨٣) دكتور سليمان عبدالحق عبدالعزيز عثمان ـ نزهات اثرية في سوريا ص ١١٢ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 215 - 6.

ظل حاكم حلب يتطلع اليها، وهكذا تداولتها ايدي أمراء حلب وحماة ويذكر ياقوت سبب تسمية المعرة ويرجع « أنها مسماة بالنعمان وهو الملقب بالســـاطع بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله وهو تنوخ بن أسد ٠٠٠ من قضاعة وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه ماؤهم من الآبار وعندهم الزيتون والتين »٠

وتل منس : حصن بقرب معرة النعمان بالشـــام نزله المتوكل فى رحلته الى الشام سنة ٢٤٤ هـ ٠

وكفر روما : من قرى المعرة كان حصنا مشهورا خربه لؤلؤ السيفي الجراحى المتغلب على حلب بعد ابي الفضائل بن سعد الدولة بن سـيف الدولة سنة ٣٩٣ هـ (٨٤) ٠

الحولة : بين حمص وطرابلس ، (وثمة كورة أخرى بهذا الاسم بين بانياس وصور) (٨٥) ٠

الرستن : بين حماه وحمص فى منتصف الطريق بها آثار باقية تدل على جلالتها لكنها صارت خرابا وقت أن كتب عنها ياقوت وهى تشرف على نهر العاصى (٨٦)٠

سلمية : بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مســيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص وتقع فى الشمال الشرقى من حمص والجنوب الشرقى من حماة ، وهى فى سهل خصب على حافة هضبة بركانية وكانت مركزا متقدما على حافة الصحراء ونقطة التقاء عدة طرق تتجه الى حلب فى الشمال ، والرصافة في الشمال الشرقي ، وحماة وحمص في الغرب ، وتدمر في الجنوب الشرقى ٠ وقد انحدرت زمن الحمدانيين بعد ماعانته من هجمات القرامطة وكان يسكنها قبل ذلك كثير من الهاشميين من سلالة صالح بن على العباسي واتخذها الاسماعيليون مركزا لدعوتهم٠ نقل ياقوت عن ابن طاهر انهــا بين حماة ورفنية ، وذكر أن **رفنية** يقال لها رفنية تدمر من أعمال حمص (وقيل عند طرابلس بساحل الشام) ٠ وقد كان لرفنية أهمية استراتيجية مع **بارين** القلعة التى تجاورها ، وفى العصر الروماني كان الفيلق الثاني عشر يعسكر هناك قبل الاســـتيلاء

---

(٨٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٩٦ ، جـ ٣ ص ٤٠٩ ، جـ ٧ ص ٢٦٤ ، ابن العديم: بغية الطلب مخطوط ١٩٣

(٨٥) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٦٨ ٠

(٨٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٤٩

على ملطية ، كما كان الفيلق السادس يقيم هناك كما تدل بعض النصوص اللاتينية ، ومازالت انقاض المدينة تحمل نفس الاسم • وتدل نفوذ المدينة فى العصر اليونانى الرومانى على أهميتها الدينية (٨٧) •

شيزر : كان اسمها فى عهد السلوقيين Larissa ، وهى قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينهما وبين حماه يوم ، فى وسطها نهر الاردن ــ عليه قنطرة فى وسط المدينة أوله من جبل لبنان ، تعد فى كورة حمص وهى قديمة وقد ذكرها أمرؤ القيس فى شعره • وقد كانت تمثل نقطة دفاع هامة عند الخطر البيزنطى يلجأ اليها الحمدانيون عند الاقتضاء (٨٨) •

فامية : مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص فى الشمال الغربى من شيزر وقد يقال لها أفامية Apamée ويذكر اليعقوبى أن المدينة على بحيرة كبيرة ، وتوجد الآن بحيرتان صغيرتان قرب المدينة كبراهما فى الشمال (٨٩) •

وقد ذكر ياقوت مواضع حصون كثيرة فى منطقة حمص وحماة من ذلك : اسفوتا قرب معرة النعمان ، وهناك حصن كان بمعرة النعمان خربه عبد الله بن طاهر بعد المائتين فيما خرب من حصون الشام ، وحوارين حصن من ناحية حمص ، والطوبان حصن من أعمال حمص أو حماه ، ولطمين كورة بحمص وبها حصن (٩٠) • كما ذكر من نواحى حمص اعناز وبارين بين حمص والساحل ، وقارة آخر حدود حمص وما عداها من أعمال دمشق وهى على رأس قارة وبها عيون جارية يزرع عليها ، والقرشية قرية بسواحل حمص آخر عملها مما يلى حلب وانطاكية (٩١) •

---

(٨٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ١١٢ ــ ٣ ، جـ ٤ ص ٢٦٦
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 212 - 3.
ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٢٠٩

(٨٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٢٤
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 209-210.
ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٢٠٧

(٨٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٢٤ •
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 210,
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 98-9.

(٩٠) ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ٧٣ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ياقوت : معجم البلدان : جـ ٦ ص ٦٦ ، جـ ٧ ص ٣٣٠ •

(٩١) ابن عبدالحق : المراصد جـ ١ ص ٩٦ ، ٢٠٧ ، جـ ٣ ص ١٠٥٦ ، ١٠٧٨ •

(ج) أرمينية :

صقع عظيم واسع يمتد الى جبال القبق أو القوقاز والبحر الأسود شمالا ، وبعض الجزيرة جنوبا ، وبحر الخزر أو قزوين وهضبة أذربيجان شرقا ، وآسيا الصغرى والجزيرة غربا ، ويشمل الأراضى الجبلية التى تخترقها أنهار عظيمة أهمها : الدجلة والفرات فى الجنوب ، والكر ΚΥΡΟΣ والرس Araxes فى الشمال • وكان يسكن هـذه البلاد شعب آسيوى مجهول الأصل يعرف بالأرمن ، تحول الى المسيحية مبكرا ، وظهرت شخصيته المتميزة ، كما كانت تعيش فيه جماعات يهودية ومجوسية أتت من البلاد المجاورة •

وجاء موقع أرمينية بين دول متعادية سبيلا للتنازع عليهـا بين جيرانها من قديم فتصارع عليهـا السلوقيون والرومان والبيزنطيون من ناحية والدول الايرانيـة من ناحيـة أخرى • ويظهر أن فرعا من أسرة الارشكانيين (البارثيين) الفارسية تملك على أرمينية أربعة قرون ، ثم سيطر الساسانيون على جزء كبير منها بعد ذلك ، كما استولى البيزنطيون من ناحيتهم على الاجزاء المجاورة لهم • وقد كان ظهور شعب **الخزر** ـ وهـو مجهول الاصل أيضا ـ فى المناطق الشمالية المجاورة لأرمينية سببا لبناء الفرس قلاعا أو قصورا من الحجارة على أفواه شعاب جبال القبق عرفت **بالابواب** لمنع غاراتهم ـ لكنهم تمكنوا من الاستيلاء على بعض الاجزاء • واستطاع البيزنطيون فى عهد هرقل ضم معظم أرمينية ، لكن تمرد الأرمن عليهم للاختلاف فى المذهب الدينى مرات متتابعة • وقد كان لطمع جيران ارمينية ولطبيعة أرضها الجبلية ما سبب تقسيمها الى أرمينيـة الكبرى والصغرى ، أو الداخلة والخارجة ، بل الى ثلاث أو أربع أو خمس أرمينيات • وأصبح العرب على حدود أرمينية بعد أن فتحوا بلاد الجزيرة وأذربيجان ، وكان غزوها ضروريا لتأمين حدود امبراطوريتهم فى الجزيرة والشـام ولوجود حدود مشـتركة ولتضـييق الخناق على دولة الروم بآسـيا الصغرى (٩٢) •

ويقول لى سترينج : **ان اقليم الران وشروان وجورجيا وارمينية ـ وهى فى جملتها شمالى نهر الرس ـ كان يصعب عدها من ديار الاسلام** ولهذا لم يتبسط البلدانيون العرب فى وصفها ، حقا أقام المسلمون فيها منذ صدر الاسلام ، وولى الخلفاء عليها عمالهم فى أوقات مختلفة ـ غير

---

(٩٢) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٤٦ : ٨ •

أن أغلب أهلها بقوا على نصرانيتهم حتى اوشكت العصور الوسطى أن تنتهى ، وما زالت هذه البلاد على ذلك حتى حل فيها المسلمون ثانية عقب الفتح المغولى ـ لا سيما بعد حروب تيمور ، اذ استقر فيها الترك فصار الاسلام الدين السائد فيها (٩٣) . ويتصل اقليم أرمينية بما يجاوره من أقاليم ، وقد عرف هذه الحقيقة الجغرافيون العرب فأشار المقدسى عند كلامه على اقليم الرحاب « لما لم نجد له اسما عاما يجمع كوره سميناه الرحاب ... وقد جعلنا هذا الاقليم ثلاث كور : أولها من قبل البحيرة الران ، ثم أرمينية ، ثم أذربيجان (٩٤) » .

وهذا عرض موجز لاهم اقاليم تلك المنطقة الجبلية :

الران :

يسميه المستوفى (بين النهرين) اذ يقع فى المثلث العظيم الى الغرب من موقع اقتران نهرى **الكر** Kyros **والرس** Araxes ويجعل البعض نهر الرس حدا بين الران واذربيجان : فما جاوز النهر غربا وشمالا فمن الران وما يليه شرقا فمن أذربيجان . وكانت قصبة هذا الاقليم فى المائة الرابعة (هـ) (العاشرةم) **برذعة** وما زالت خرائبها باقية ، وقد وصفها ابن حوقل . وكانت أكبر مدن هذه الديار ، مربعة الشكل لها ثلثة رحى من نهر الكر على نحو ٣ فراسخ على ضفة رافده الثرثور . وذكر المقدسى أن الران « تكون نحو الثلث من الاقليم فى مثل جزيرة بين البحيرة وبحر الرس ، ونهر الملك يشقها طولا ، قصبتها برذعة ، ومن مدنها تفليس والقلعة وخنان وشكمور وجنزه وبرديج والشماخيةوشروان وباكوه والشابران وباب الابواب وملاذكرد .. وبرذعة قصبة كبيرة مربعة فى أرض سهلة لها حصن وسعة أسواقها قد ظلت مجتمعة... » . ويذكر ياقوت ان برذعة مدينة أران وانها كانت كبيرة وخربت . وقد أضحت مدينة **البيلقان** ـ وهى بالارمينية Phaidagaran ـ قصبة الران بعد خراب برذعة وتقع على بعد أربعة عشر فرسخا فى جنوبها وعلى سبعة أو تسعة فراسخ من شمال الرس فى الطريق الصاعد من برزند ، وقد كانت موضعا عظيما حتى القرن ٦ هـ (١٥ م) ، وحين قصدها التتر سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) رأوا حصانة سورها . ويذكر ياقوت : ان

---

(٩٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ٢١١ .
(٩٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٧٣ ـ ٤

البيلقان مدينة قرب الدربند (الباب والابواب) تعد في أرمينية الكبرى قريبة من شروان ؛ وفي شمالي غرب برذعة على طريق تفليس مدينة **كنجة أوجنزه** ، والى شمالي الغربي **شكمور** وخرائبها ما زالت موجودة • وينبع **نهر الرس** من بلاد قاليقلا في غربي أرمينية ، وبعد أن يجرى في محاذاة أذربيجان الشمالية يلتقي **بنهر الكر** – على ما ذكر المستوفي – في شرقي الران • ومخرج نهر الكر في الجبال غربي تفليس ببلاد جورجيا – أي في بلاد الخزر التي تتألف من ولايتي انجاز واللان • وبعد أن يمر نهر الكر بتفليس ينحدر الى شكمور ، وعندها – على ما ذكر المستوفي – يتفرع منه نهر يصب في بحيرة شمكور العظيمة ، وبعد أن يلتقي الكر بنهر الرس أسفل برذعة يصب في بحر قزوين (٩٥) •

شروان :

يلي نهر الكر على بحر قزوين حيث تنتهي جبال القوقاز عنده ، **وقصبته الشماخية او شماخي** ، وصفها المقدسي بأنها أسفل جبل ، كما ذكر مدينتي **شبران وشروان** • وفي أقصى شمالي بلاد شروان ، باب الابواب) وهي تسمية العرب لدربند أجل مواني بحر قزوين • ويقول ابن حوقل انها كانت في المائة الرابعة أكبر من أردبيل قصبة أذربيجان « وفي وسطها مرسى للسفن ، وفي هذا المرسى الخارج من البحر اليهما **بناء قد بني كالسد بين جبلين** مطلين على هذا المرسى الخارج ماؤه من بحر الخزر • وفي هذا السد باب مغلق على الماء قد استحكم من وصيده بعقد قد عقد على الماء نفسه والماء من تحته •• وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة وعليها قفل لمن ينظر في أمر البحر **فلا يخرج المركب ولا يدخل الا بامر صاحب القفل** ، والسد من صخر ورصاص وهذه المدينة عليها سور منيع من **حجارة** » • وذكر المقدسي أن المدينة « لها ثلاثة أبواب : باب الكبير ، وباب الصغير ، وباب آخر نحو البحر مسدود لا يفتح – وعدة أبواب من قبل البحر وقبل الاسلام • والحائط قد مد من الجبل الى وسط البحيرة عليه أبرجة » • **وقد صارت باب الابواب ثغرا من ثغور الاسلام كان يحيط بها أهل الكفر من كل جانب في اول العهد** ، وأسهب ياقوت في ذكر الامم التي في أعلى الجبال وهضابها

---

(٩٥) لي سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ٢٩١ : ٣ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٠٨ : ١١١، المقدسي أحسن التقاسيم ص ٣٧٤ : ٦ ، ابن عبد الحق : المراصد : جـ ١ الران ص ٥٠ ، (برذعة) ص ١٨٢ ، (بليقان من ٢٢٤)

من ناحية الغرب » وعلى المدينة سور من الحجارة ممتد من الجبل طولا في غير ذي عرض ، لا مسلك على جبلها الى بلاد المسلمين ـ لدروس الطرق وصعوبة المسالك من بلاد الكفر الى بلاد المسلمين ، ومع طول السور فقد مد قطعة من السور في البحر ـ شبه أنف طولاني ـ ليمنع من تقارب السفن من السور • وهي محكمة البناء موثقة الاساس من بناء أنو شروان وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة لأنها كثيرة الاعداء الذين حفظوا بها من أمم شتي وألسنة مختلفة وعدد كثير • والى جنبها جبل عظيم يعرف بالذئب يجمع في رأسه كل عام حطب كثير ليشعلوا فيه النار ان احتاجوا اليه ينذرون أهل أذربيجان وأران وارمينية بأتعلو ان دهمهم • وقيل انه في أعلى جبلها الممتد المتصل بباب الأبواب نيفا وسبعين أمة ، لكل أمة لغة لا يعرفها مجاورهم • وكانت الأكاسرة كثيرة الاهتمام بهذا الثغر لا يفترون عن النظر في مصالحه لعظم خطره وشدة خوفه • وأقيمت لهــذا المكان حفظة من ناقلة البلدان وأهل الثقة عندهم لحفظه ، وأطلق لهم عمارة ما قدروا عليه ـ بلا كلفة للسلطان ولا مؤامرة فيه ولا مراجعة ، حرصا على على صيانته من أصناف الترك والكفر والاعداء • فمن رتبوا هنــاك من الحفظة : أمة يقال لها طبرسران ، وأمة الى جنبهم تعرف نفيلان ، وأمة يعرفون باللكز كثير عددهم عظيمة شوكتهم ، والليران ، وشروان •• وغيرهم • وجعل لكل صنف من هؤلاء مركز يحفظه ، وهم أولو عدد وشدة ورجالة وفرسان • وباب الأبوابفرضة لذلك البحر ، يجتمع اليه : الخزر والسرير وسندان وخيزان وكرج ورقلان وزنكران وعميك ـ هذا من جهة شماليها ، ويجتمع اليه أيضا من جرجان وطبرستان والديلم والجبل » • وقد ذكر ياقوت شهرتها بالكتان والزعفران • ويصب نهر السمور ـ كما ذكره البلاذري ـ في بحر قزوين على شيء يسير من جنوب دربند ، وقد ذكره المقدسي باسم نهر الملك ، وكان علىجسر يبعد عن الدربند عشرين فرسخا على الطريق الممتد من شماخي • وميناء باكوه او باكويه (باكو ، جنوبي دربنـــد وقد أشـــار الاصطخري الى نفطهــا ، وقال ياقوت عنها « عين نفط عظيمــة تبلغ قبالتهــا في كل يوم ألف درهم ، والى جانبها عين أخرى تسيل بنفط أبيض لا ينقطع ليلا ولا نهارا •• وهناك أرض لا تزال تضطرم نارا » •• وتكلم المستوفي عن قلعة باكويه التي كانت تطل على المدينة فتنشر عليها ظلها في وسط النهار • وكان في الجبال القريبة من دربند قلعة (قبلة) التي ذكرها المقدسي وقال انهــا

حصينة ، وورد ذكرها فى حروب تيمور • **وبلنجر** مدينة ببلاد الخزر خلف باب الابواب فتحها عبد الرحمن بن ربيعة (٩٦) •

وبلاد اللان : واسـعة وأمة كبيرة تتـاخم الدربند فى جبـال القبق (٩٧) •

هذا وقد عدد مؤلف جركسى حديث سكان منطقة القوقاز فمنهم **الجركس** ويسكنون منطقتين كبيرتين فى شمالى القوقاز حول نهرى قوبان وترك وبعض سواحل البحر الاسود ، **والججن** ـ فى شمالى القوقاز وشرقى بلاد الجركس وعلى الشواطىء الجنوبية لنهر ترك ، فاذا اتجهنا شرقا نحو ساحل بحر الخزر وجبل قازبك شرقى سلسلة القوقاز الاصلية نجـد اللزكى فى تلك المواقع المرتفعة الحصينة والسهول المحيطة بها ، ويسكن القوصحة (أستين) القسم الاول من جبال القوقاز فى مرتفعاته المنيعـة بجبال قازبك والبرز • وفى الجنوب يسكن الكرج والأرمن (٩٨) •

الكرج (جورجيا) :

ذكر ياقوت أن الكرج جيل من الناس نصارى يسكنون جبال القبق وبلد السرير وقد قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب اليهم ولهم شوكة وكثرة عدد • **والقبق جبل متصل بباب الابواب وبلاد اللان وهو آخر حدود ارمينية** • قال ابن الفقيه : وجبل القبق فيه اثنان وسبعون لسانا لا يعرف كل انسان لغة صـاحبه الا بترجمان ، ويقال ان طوله خمسمائة فرسخ ، وهو متصل ببلاد الروم الى حد الخزر واللان ، ويقال ان هذا الجبل هو جبل العرج الذى بين مكة والمدينة : يمتد الى الشـام حتى يتصـل بلبنان من أرض حمص وسـنير من دمشق ، ويمضى فيتصل بجبال انطاكية وسميساط ويسمى هناك اللكام، ثم يمتد الى ملطيه وشمشاط وقاليقلا الى بحر الخزر وفيـه باب الأبواب

---

(٩٦) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ٢١٤ ـ ٥ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٠٩ ، ١١٢ ، المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٧٦ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ (باب الأبواب) ص ٩ ـ ١١ . (بلنجر) ص ٢١٨ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ (باكويه) ص ١٥٦ ، جـ ٢ (شروان) ص ٧٩٣ •

(٩٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣٢٤ ـ ٥ ، المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ١٢٠ ـ ١

(٩٨) يوسف عزت : تاريخ القوقاز ترجمة عبد الحميد غالب ص ٧ ، ٩ •

وهناك يسمى القبق • وكرجستان هي التي نسميها جورجيا الآن ، وأنجاز يقال لها انجازية وقد فتحها تيمور في ختام المائة الثامنة (هـ) •

وتفليس قصبة كرجستان • وصفها ابن حوقل بأن عليها سورين وهي حصينة لها ثلاثة أبواب • وذكر المقدسي أنهاحصينة ويخترقها نهر الكر وهي جانبان يرتبطان بجسر•وذكر ياقوت أن تفليس « بلد بارمينية الاولى ويقال باران — وهي قصبة ناحية جرزان قرب الباب والابواب ، مدينة قديمة أزلية واهلها يتحدثون بلغة الارمن ، ملكها الكرج وقتلوا بها خلقا من المسلمين واستقروا بها مدة حتى جاءها جلال الدين بن خوارزم شاه سنة ٦٢٣ هـ » **وانجاز** من جبل القبق ، وحولها قبائل من الكرج واللان وغيرهم • وتنحدر من جبل البرز أنهار كثيرة على ما ذكر المستوفي (٩٩) •

ارمينية :

كانت أرمينية الكبرى تنقسم الى أرمينية الداخليةوأرمينية الخارجية وهي وان كان أكثر أهلها نصارى الا أن المسلمين **فتحوها وحكموها** اثر فتحهم للشام والجزيرة • وفي هذه البلاد **جبال عظيمة تمتد بين بحيرة وان وبحيرة كوكجة** • وقد ذكر ابن خرداذبة أقسامها ومدنها فقال « **أرمينية الأولى** : السيسجان وأران وتفليس وبرذعة والبليقان وقبلة وشروان ، **وارمينية الثانية** : جرزان وصغدبيل وباب فيروز قباذ واللكر ، **وأرمينية الثالثة** : البسفرجان ودبيل وسراج طير وبغروند ونشوى ، **وارمينية الرابعة** : شمشاط وخلاط وقاليقلا وأرجيش وباجنيس » •

ويذكر الاصطخري أن « **الثغر الذى يلي الروم من ارمينية قاليقلا** ، واليها يغزو أهل أذربيجان والجبال والري وما والاها ، ولهم مدخل الى الروم يعرف **بطر ابزندة** يجتمع فيه التجار فيدخلون بلاد الروم للتجارة، فما وقع من دبابيج وبزيون وثياب الروم الى تلك النواحي فمن طرابزندة، واما نشوىوبركرى وخلاط ومنازكرد وبدليس وقاليقلاوأرزن وميافارقين وسراج فهي بلدان صغار متقاربة في المقدار خصبة كلها عامرة كثيرة الخير • **وميافارقين يعدها قوم من الجزيرة الا انها دون الجزيرة**

---

(٩٩) لي سترينج : بلدان الخلافة الشرقية — ترجمة فرنسيس وعواد ص ٢١٦ ، الاصطخري: المسالك والممالك ص ١١٠ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٧٥ — ٦ ، ياقوت : معجم البلدان (القبق) حـ ٧ ص ٢٧ — ٨ ، ابن عبدالحق : المراصد (الكرج) حـ ٢ ص ١١٥٥ ، (تفليس) جـ ١ ص ٢٦٦ ، (انجاز) جـ ١ ص ١٠

وخلفها حد الجزيرة فيما صورنا ما بين دجلة والفرات ، **لذلك جعلناه بارمينية** » .

وذكر المقدسي شيئا من هذه المدن كما ذكر بجانبها بدليس وسلماس ومراغة وغير ذلك . وكانت قصبة أرمينية في الأزمنة الاسلامية الاولى **دبيل** وتسمى دوين أوين وتدل عليها الآن قرية صغيرة قرب نهر الرس ، في حين انها كانت في المائة الرابعة أكبر من أردبيل وهي أجل ناحية وبلدة بارمينية الداخلة وعليها سور له ثلاثة أبواب ، ويطل جبل ارارات بقمتيه على دبيل وهي في جنوبه وراء نهر الرس . ويقال لأرارات بارمينية جبل الحارث وقمتها الصغرى الحويرث ، وقال الاصطخرى أن الثلوج على هذين الجبلين دائمة ، ولا يرتقى الى أعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك ، ومحتطب أهل دبيل ومتصيدهم في هذه الجبال . وقال المقدسي : « دبيل بلد جليل عليه حصن منيع والخير به كثير » ، ووصف حصنه بأنه وثيق « به قلعة ، بنينهم طين وحجارة له أبواب عدة منها باب كيدار وباب تفليس وباب آني ، الا أن الغالب عليه النصارى وقد خف أهله وتشعث حصنه » . وذكر المقدسي وجود الأكراد بتفليس . **وآني** هي قصبة أرمينية النصرانية قديما وقد استولى عليها الب رسلان السلجوقي في سنة ٤٥٦هـ **وبحيرة كوكجة** (البحيرة الزرقاء) ـ كما سماها المستوفي ـ على بعد يسير شمالي شرقي دبيل ومياهها عذبة . **وبحيرة وان أو ارجيش** ـ على ماسماها المصنفون الأولون ـ كانت أشهر بحيرات أرمينية ، وعلى شطئانها **اخلاط وارجيش ووان ووسطان** ، وقد وصفها الاصطخرى . ويخرج منها **سمك الطريخ** الذي يحمل الى الموصل والجزيرة ، وماء البحيرة مر .

وكانت خلاط أو اخلاط في طرف البحيرة الغربي من أجل مدن أرمينية . قال عنها ياقوت « قصبة أرمينية الوسطى يضرب ببردها في الشتاء المثل » ، وذكر انها بلدة عامرة . وكذلك وصفها المستوفي ، وقال المقدسي ان عليها حصن ويخترقها النهر ويصل جانبيها جسر ويطل عليها جبل (كوه سيبان) . **وارجيش** على الساحل الشمالي وكثيرا ما عرفت البحيرة باسمها ، وذكر المستوفي احكام تحصينها ووجود قلعة حصينة في رأس الجبل . ومدينة **وان** تعرف البحيرة بها اليوم قرب شاطئها الشرقي ، ذكر عنها ياقوت « قلعة بين خلاط ونواحي تفليس من عمل قاليقلا » وكانت قلعة **وسطان** على ساحل البحيرة الجنوبي وقد تكلم عنها المستوفي . وفي جنوب غربي البحيرة مدينة **بدليس** ، وصفها المقدسي بانها « في واد

عميق يجرى فيه نهران ، في المدينة يجتمعان ، وهي جانبان فيها قلعة من حجارة ، وهي تصدر التفاح على ما أورد ياقوت (١٠٠) ٠

وتبتدى حدود **كردستان** من شواطىء الخليج الفارسي ممتدة بخط مستقيم حتى مليطية ومرعش ، وفى الجانب الشمالى من هذا الخط فارس وعراق العجم وأذربيجان والأرمينيتان الصغرى والكبرى ، ويحدها جنوبا العراق العربي والموصل وديار بكر ٠ وكانت أرمينية الكبرى تطلق على البلاد المحصورة بين بحيرة وان من الشمالى وجبال القوقاز وعاصمتهامدينة **اران** (١٠١) ٠

أذربيجان :

يذكر المقدسي في تقسيمه الثلاثى لاقليم « الرحاب » اقليم اذربيجان ، وقصبتها اردبيل ومن مدنها تبريز وجابروان وموقان وميمذ وبرزند وغير ذلك ٠ ويقول ياقوت « حد أذربيجان من برذعة مشرقا الى أرزنجان مغربا ، ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطرم وهو اقليم واسع ومن مشهور مدائنها تبريز وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها ، وكانت قصبتها قديما المراغة ومن مدنها خوى وسلماس وأرمية واردبيل ومرند وغير ذلك ٠٠ ولا أغزر مياها وعيونا منها ٠٠ وأهلها صباح الوجوه حمرها رقاق البشرة ٠٠ وهي **بلاد فتنة وحروب ما خلت قط منها** ، فلذلك أكثر مدنها خراب وقراها يباب . وفى أيامنا هذه هي مملكة جلال الدين منكبرتى » ٠ ويصف المقدسى **اردبيل** بأنها « قصبة أذربيجان ومصر الاقليم عليه حصن منيع ، وهو أصغر من دبيل ٠٠ وبه مياه جارية وعساكر راتية وخيرات كثيرة » ٠ وقد ذكر **الاصطخرى** أن عليها سورا وبها العسكر ٠ ويصف المقدسى **تبريز** بقوله : « هى الذهب الابريز والبلد الحريز يختار على مدينة السلام وتباهى بها أهل الاسلام » ٠ ويصف ياقوت تبريز بأنها « مدينة عامرة حسناء ذات أسوار وأهلها أيسر أهل البلاد » وفى الاقليم **بحيرة ارمينية** نسبة الى مدينة ارمينية على ساحلها الغربي ، وهى أوسع رقعة دائمة الماء فى بلاد

---

(١٠٠) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ٢١٦ : ٨ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١١٠ ـ ١١١ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٣٧٧ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٢٢ ، ابن عبد الحق : المراصد ج ١ (أرجيش) ص ٥٢ ، ١٦٧ ، (خلاط) ص ٤٧٦ ، (بدليس) ص ١٧١ ، (وان) ج ٣ ص ١٤٢٣ ٠

(١٠١) شرف خان : الشرفنامه ـ ترجمة جميل بندى وروثر بياتى ص ٢١ ٠

فارس . وفى تبريز **نهران** : مهـران روذ وهو يشـق أرباض تبريز ، وسرد روذ ويجرى الى الجنوب الغربى . ومدينة **المراغة** على سبعين ميـلا جنوبى تبريز ذكر المقدسي : أن « لها حصنا وبها قلعة ولها ربض وحصونها طين » ، وعنها يقول ياقوت «بلدة مشهورة باذربيجان كانت قصبتهـا ، وبها آثار ومدارس . كانت تدعى أفرا هروذ فعسكر بها مروان بن محمد وهو والى أرمينيـة واذربيجـان منصرفة من غزو موقان ، وكانت دوابه واصحابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون : ابنوا قرية المراغة .. فابتناها مروان .. وبنى خزيمة بن خازم فى ولاية الرشيد سورها وحصـنها وهى على نهر صافى . وذكر المقدسي أن « **موغان** ـ أو موقان مدينة قد أحاط بها نهران ، هى مع تبريز روضتان ، وللرحاب فى الاسلام مفخران موضوعة بين أردبيل وجيلان ، ومنها الى برذعة ثمان » . كذلك كانت **مرند** مدينة حصينة . **وسلماس** عليها حصن من طين وحجارة وقد أحاط بها الاكراد كما يقول المقدسي ، ويقول عنهـا ياقوت : « مدينة مشهورة باذربيجان بينها وبين أرمية بومان وبينها وبين تبريز ثلاثة وبينها وبين سلماس وخوى مرحلة » **وخوى** ذات سور حصين وهى على نهـر يجرى شمالا فيصب فى نهـر الرس . هذا وتتداخل مدن أرمينية واذربيجان عندالمقدسي ـ وهو قداطلق علىالاقليم كله تسميةعامة هى «**الرحاب**»(١٠٢)

(د) بلاد الروم :

كان المسلمون يسـمون أقاليم الدولة البيـزنطية فى جملتها «**بلاد الروم**» ـ ولفظ الرومى فى العصور الاسلامية ترادف النصرانى سـواء أكان من اليونان أو اللاتين . كذلك عرف البحر المتوسـط ببحر الروم أيضا ، كما صارت لفظة (الروم) اسما لآسيا الصغرى عند العرب.ولا غرابة فى قلة ما عرفه البلدانيون العرب الأوائل عن هذه البلاد فقد كانت جزءا من الدولة البيزنطية حتى انتقلت الى السلاجقة . وكانت الحدود بين بلاد المسـلمين والروم تتمثل فى سـلسـلتى جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus (١٠٣) .

(١٠٢) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٩٣ وما بعدها ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ١٠٨ ، ١١١ المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٣٧٧ ـ ٨ ، ياقوت : معجم البلدان (أذربيجان) جـ ١ ص ١٥٩ ، ابن عبد الحق : المراصد (اردبيل) جـ ١ ص ٥٣ ، (تبريز) جـ ١ ص ٢٥٢ ، (مراغة) جـ ٣ ص ١٢٥٠ ، (موقان) جـ ٣ ص ١٣٣٥ ، (مرند) جـ ٣ ص ١٢٦١ ، (سلماس) جـ ٢ ص ٧٢٩ ، (خوى) جـ ١ ص ٤٩٣

(١٠٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .

وقد ذكر ابن خردانة الطرق بين البلاد الاسلامية وبلاد الروم ، وعدد بنودها وعرض لشيء من نظمها المالية والعسكرية كذلك عدد المسعودى ملوك الروم القدامى والمعاصرين لخلفاء المسلمين ، كما ذكر البنود الرومية (والعدوات) الستة لمن يريد من دار الاسلام الوصول اليها مما يلي الثغور الشامية والجزرية وغيرها (١٠٤) .

وذكر ياقوت : « واما حدود الروم آ فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر والروس ، وجنوبهم الشام والاسكندرية ، وتحاذيهم البحر والأندلس . **وكانت الرقة والشامات كلها تعد فى حدود الروم ايام الاكاسرة ، وكانت دار الملك انطاكية** الى أن نفاهم المسلمون الى أقصى بلادهم » .

وقد نقل لى سترينج وصف ابن خرداذبة (٢٥٠ هـ ـ ٨٦٤ م) للطريق العام الذى كان يسلكه البريد ورسل الخليفة وحملات الغزو الى القسطنطينية ، وتناقله الجغرافيون بعد ابن خرداذبة وكان هذا الدرب يعرف فى قسمه الجنوبى بدرب السلامة ويتصل بالأبواب القيليقية Pylae Ciliciae وقد وضح لى سترينج بين قوسين ما تيسر له تحقيقه من الأسماء : « من طرسوس الى العليق ١٢ ميلا ، ثم الى الرهوة (أى المكان المنخفض ولعلها Mosukrene القديمة) ثم الى الجوزات ١٢ ميلا ، ثم الى الجردقوب ٧ أميال ، ثم الى البذندون (Podandas وهى بيزنطة الحديثه) ٧ أميال وفيها عين رقة مات عندما المأمون ، ثم الى معسكر الملك على حمة لؤلؤة (Loulon) والصفصاف ١٠ أميال (قرب Faustinopolis) ، وكذلك حصن الصقالبة ١٠ أميال . وتصير الى معسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب لابواب القيليقية) وأصحرت . ومن معسكر الملك الى وادى الطرفاء ١٢ ميلا ، ثم الى منى ٢٠ ميلا ، ثم الى نهر هرقلة (Heraclia) ١٢ ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ٨ أميال ، ثم الى رأس الغابة ١٥ ميلا ، ثم الى المسكنين ١٦ ميلا ، ثم الى عين برغوث ١٢ ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الآرض » ١٨ ميلا ، ثم الى ربض قونية ((Iconium)) ١٨ ميلا ، ثم العلميش ١٥ ميلا ، ثم الى ابرونسمانة ٢٠ ميلا ، ثم الى وادى الجوز ١٢ ميلا ، ثم الى عمورية (Amorion) ١٢ ميلا . وطريق آخر من العلمين الى

---

(١٠٤) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٠ : ١١٨ ، قدامة : ملحق بابن خرداذبة ص ٢٥٥ : ٩ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٧٢ ، ١٢٠ : ٥ ، مروج الذهب جـ ١ ص ١٩١ : ٢١٠

عمورية : يبـدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى ١٥ ميـلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الأربعين شهيدا) ١٠ أميال ، ثم الى السند ١٠ أميال »، ثم الى حصن سنادة Synades ١٨ ميلا ، ثم الى مغل ٢٥ ميـلا ، ثم الى غابة عمورية ٣٠ ميـلا • ومن عمورية الى قرى الحراب ١٥ ميلا ، ثم الى صافرى (Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى العلج ١٢ ميـلا ، ثم الى فلامة الغابة ١٥ ميلا ، ثم الى حصن اليهود ١٢ ميلا ، ثم الى سندابرى (Stantabaris) ١٨ ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك فى درولية (Dorylaeum) ٣٥ ميلا ، ثم الى حصن غربلى ١٥ ميـلا ، ثم الى كنـائس الملك (Basilica of Anna Commenae) ٣ أميال ، ثم الى التلول ٢٥ ميلا ، ثم الى الاكوار ١٥ ميلا ، ثم الى ملاجنة (Malagina) ١٥ ميلا ، ثم الى اصطبل الملك ٥ أميال ، ثم الى حصن الغبراء Kibotos حيث معدية تصل الى Aigialos) ٣٠ ميلا ، ثم الى الخليج (Bosphorus) ٢٤ ميلا ، ونيقية (Nicaea) بازاء (أي جنوبى الغبراء » • وبهذا يختتم ابن خرداذبة كلامه عن طريق القسطنطينية، وهو يعرض طرقا أخرى تختلف بعض الشيء عن هـذا الطريق • فهناك طريق من البذندون الى الكرم الى النوبة الى الكنائس التى عن يمين كوكب ، الى وفرة الى بليسة الى مرج الأسقف الى فلوغرى الى قرية الأصنام الى وادى الريح الى نمرطى الى الصيد الى عاينوا الى مودويس الى مخاضـة الى قرية الجـوز الى الغطاسـين الى قـرية البطريق الى مرج ناقولية الى دنوس ، ومنه الى درولية • وطريق آخر متياسر منه الى حصن بلومين الى قطية ، ثم يتياسر الى الرنداق الى أبيدوس على المضيق الى خليج القسطنينية « وهـو البحر الذى يدعى بنطس يجيء من بحـر الخزر ، وعرض فوهته هناك ستة أميال ... والخليج غربى يجرى جريا حتى يمر بالقسطنطينية على ستين ميلا من مدخله ... وعرضـه عندها أربعة أميال ، فاذا بلغ موضـعا يدعى ابدس صار بين جبلين وضاق حتى يكون عرضـه غلوة منهم ، وبين أبدس وبين قسـطنطينية مائة ميل فى مسـتوى من الأرض • وبأبدس عين مسـلمة بن عبـد الملك حيث حصر قسطنطينية ، ويمر الخليج حتى يصب الى البحر الشـامى وعرضه عنـد مصبه ايضـا قدر غلوة سهم يكلم الرجل على شطيه ، وهناك صخرة عليها برج فيه سلسلة تمنع سفن المسـلمين من دخول الخليج • وطول الخليج كله من بحر الخزر الى بحر الشام ثلاثمائة وعشرون ميلا ، والسـفن تنحدر فيه من جزائر بحر الخزر وتلك النواحى وتصعد فيه من بحر الشام الى القسطنطينية » • كذلك أورد ابن خرداذبة طريقا متياسرا من

لؤلؤة الى وادى الطرفاء الى هرقلة وهى تستمر حتى قونية ثم تدخل وادى بنمارى الى قرية دقليــــباس الى قــرية البرج الى ملس قومس ، ثم تأتى العلمين ثم قريات قطية حتى تصير الى **درولية « وهى مجمع العساكر العرب والروم »** ثم الى قرية افرسوس الى باسلاقين وملاحنة « وهى اصطبلات الملك وموضع ثقــله وميرته » الى بحيرة نقموذية ثم تنحدر الى نقمودية الى المعابر الى بلاد الملك . وتتبع ابن خرداذبة طريقا الى عمورية من درب السلامة . وقد كان هناك طريق خلال درب الحدث فى الشمال الشرقى من مرعش الى الابلستين (Ablasta أو البستان وهى Arabissus اليونانية) . ويخلط ابن حوقل بين النهرين المختلفين: آليس وصاغرة ، وهلس وسنجاربوس . كما أن جملة من مدن الروم فى صورتها المعربة قد تغيرت صورتها بعــد الفتح التركى . ومـمـا لا شبهة فى صحته أن الأسماء العربية للمعالم التالية تقابل قرينتها البيزنطية : الطوانة Tyana ، دباسة Thebasa ، ملقوبية Malocopia هـرقلة Heraclia ، لاذقيــة Laodicea ، قيصرية قبــادوقيــة Caesarea Mazaca of Cappadocia انطاكية بسيدية Antioch of Pisidia قطية Cotiaeum ، انقرة Angora افسوس Ephesus ابيدوس Abydos ، نقمودية Nicomedia وذلك الى جانب بعض المدن الأخرى

وقد كانت **قيصرية ذات أهمية خاصة** اذ تتحكم فى الطريق السهل الوحيد الذاهب من كيليكيا الى هليس الأوسط وانقرة من ناحية وهليس الأعلى من ناحية أخرى ، وأخـيرا الطريق المتجه من مرعش عبر طوروس الداخلية ، ومنها كانت بداية الطريق الخارج من الأبواب الكيليكية والذى سلكته غالبا الحمــلات العربية . واشتهرت فى حمــلات القرن التــاسع الميلادى **ملقوبية ومرج الأسقف** ، وهناك راى أن مرج الأسقف تحريف من ملجوب (مقلوبية) وبخاصة أن ملحمة « ديجنيس اكريتاس » تجعل فى ملقوبية معركة واقعة مرج الأسقف ٨٣٣ م حسب الرواية العربية . ومرج الأسقف عند المخرج الشمالى لدرب طرسوس (١٠٥) .

ويذكر ياقوت أن **قلمية** كورة واسعة براسها من بلاد الروم قرب طرسوس ، قال أبو زيد : اذا جزت أولاس من بلاد الثغر الشامى دخلت

---

(١٠٥) لى ستربنج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٦ : ٨ ،
ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٠ : ٤ ، ١١٠ ، ١١٣ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 276, 284-5,
فازيليف : العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ص ١٣٤ ـ ٥ هامش .

جبالا تنتهى الى بحر الروم وولاية يقال لها قلمية ، وبعض أبواب طرسوس يسمى باب قلمية منسوب اليها ، وهى ليست على البحر (١٠٦) .

وبرغوث بلد بالروم قريب من عمورية (١٠٧) .

والرقيم اوافسوس : موضع أصحاب الكهف بين عمورية ونيقية وبينه وبين طرسوس عشرة أيام . وكان الواثق قد وجه محمد بن موسى المنجم الى بلاد الروم – قال : فاذا هى جبل صغير قدر أسفله أقل من ألف ذراع وله سرب من وجه الأرض ، فتدخل السرب فتمر فى خسف من الأرض مقداره ٣٠٠ خطوة فيخرجك الى رواق فى الجبل على أساطين منقورة وفيه أبيات (١٠٨) . **ومرج الشحم** قرب عمورية (١٠٩) .

وهرقلة مدينة بلاد الروم افتتحها الرشيد عنوة ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها (١١٠) .

وتوقات بلدة فى أرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية متينة وبينها وبين سيواس يومان (١١١) .

وقيسارية مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم هى كرسى ملك بنى سلجوق (١١٢) .

وقد وصف الجغرافيون العرب بشىء من التفصيل مدينة **القسطنطينية** فيقول ابن رستة مثلا : ولقسطنطينية قناة ماء يدخل اليها من بلد يقال له بلغر ، يجرى اليها هذا النهر من مسيرة عشرين يوما ، فينقسم اذا دخل المدينة ثلاثة أثلاث : فثلث يذهب الى دار الملك ، وثلث يذهب الى حبوس المسلمين ، والثلث الثالث يذهب الى حمامات البطارقة وسائر أهل المدينة فانهم يشربون الماء الذى بين العذب والمالح . وأهل بلغر يحاربون الروم والروم تحاربهم . وحوالى قسطنطينية ديرات الرهبان وعلى باب قسطنطينية دير ساطرا . ويقول الاصطخرى عن خليج القسطنطينية « **وعليه سلسلة ممتدة لا تعبر فيه سفن البحر الا باذن مثل الماصر** ،

---

(١٠٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٥٢ .
(١٠٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٢٩ .
(١٠٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٧٥
(١٠٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٤١
(١١٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٥٣ – ٤
(١١١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٣٠
(١١٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٩٥

ويقع فى بحر الروم من البحر المحيط من وراء الروم (١١٣) » • ويروى ياقوت : « ولهـا خليج من البحر يطيف بهـا من وجهين ممـا يلى الشرق والشمال ، وجانبها الغربى والجنوبى فى البر ، وسمك سورها الكبير ٢١ ذراعا ، وسمك الفصيل ممـا يلى البحر خمسة ، بينها وبين البحر فرجة نحو خمسين ذراعا ، وذكر ان لهـا أبوابا كثيرة نحو مائة باب منهـا بابه الذهب وهـو حديد مموه بالذهب • قال الهروى : ومن المنـاير العجيبة **منارة القسطنطينية** موثقة بالرصـاص والحديد والبصرم اذا هبت عليهـا الرياح أمالتها شرقا وغربا وجنوبا وشمالا من أصل كرسيها وتظهر على مسيرة بعض يوم للراكب فى البحر (١١٤) • غير أن ياقوت يشـــير أحيانا الى مواضع من بلاد الروم اشارات غير ذات غناء ، ومن ذلك اشاراته الى برجمه(١١٥) وخنجره(١١٦) ودرولية(١١٧) وصاغرة(١١٨) وهكذا • وهو يعتمد أحيـانا على الشعر العربى الذى ســـجل ملاحم الصراع بين المسلمين والبيزنطيين ، فيذكر المواضع التى تنـاولها الشعراء اشـــادة بالمعارك • وينبغى أن يلاحظ فى هذا الصدد أن بعض ما ذكره المتنبى من مواقع سيف الدولة باعتبـاره واقعـا بأرض الروم كان داخلا فى نطاق الدولة الاسلامية فى عصور قوتها ويعتبر من ثغورها •

اما **طرابيزون** Trebizond أو اطرابزندة : فيذكر ابن حوقل انها أجل ميناء كانت تجلب اليه السلع من القسطنطينية فى صدر الدولة العباسية وتحمل الى بلاد الاسلام ، فكان التجـــار العرب ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الأعلى ، وكانت هذه التجارة بيد الارمن ، على أن تجارا مسلمين كثـيرين أقاموا فى اطرابزندة • ومن أهم السلع التى تعامل فيها التجار هناك المنسوجات ، وقد خلعت المدينة اسمها على البحر الاسود ، وان كان يسمى أحيانا بحر بنطس Pontos • وذكر ياقوت ان المدينة منتهى جبل القبق ثم يقطعه البحر ، وماء البـــحر يحيط بها كالخنــدق عليه قنطرة اذا دهمهم أمر قطعوها ولهـا رســتاق واسع ويقابلها مدينة كرسنده • وذكر ياقوت عن البـــحر انه يعرف « ببحر بنطس عند اليونانيين ، ويعرف عندنا ببحر طرابزندة لانها فرضة عليه »

---

(١١٣) ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ١٢٦ ـ ٧ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٧٠

(١١٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٧ ص ٨٦ : ٨ -

(١١٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٩١٢

(١١٦) ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٤٦٩

(١١٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٥٧

(١١٨) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٣٣٢

يخرج منه خليج يمر بسور القسطنطينية ، ولا يزال مضايقا حتى يقع في بحر الشـــام الذي في ساحله الجنــوبى بلاد الشام ومصر والاسكندرية وافريقية(١١٩) » ٠

ومع ان مادونه مصنفو العرب عن طبوغرافية مدن آســيا الصغرى قبل الفتح السلجوقى ـ أى فى النصف الاخـير من القرن ٥هـ (١١م) ـ قليل غاية القلة ، فان المسلمين كثيرا ما سلكوا هذه البــلاد أيام الامويين وصدر أيام العباسيين فى شواتيهم وصوائفهم محاربين الروم ٠ وقد ضرب المسلمون الحصار ثلاث مرات على القسطنطينية أيام بنى أمية ، ولا عجب أن تصمد المدينة أمام حصارهم : فالبسفور يبعد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعمائة وخمسين ميــلا فى خط مستقيم يقطع هضبة آسيا الصغرى الجبلية ، ولكن لم يحل ذلك دون مضى المسلمين فى غزواتهم سنة بعد أخرى ٠ وأشهرها غزوة المعتصم العباسى سنة ٢٢٣هـ (٨٣٨م) ضد عمورية « أمنع وأحصن بلاد الروم ، وهى عين النصرانية» ٠ وقد عنى ابن خرداذبة بوصف بنود آسيا الصغرى أيام ملوك الروم ٠ وكان لوصفه قيمة فى تحديد التفاصيل التى دونها قسطنطين بورفيرو جينيتس ـ وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ٠ ويصعب تعيين بعض مواضع الحملات الاسلامية التى أشار اليها المصنفون العرب وراء الحــدود لغموض الاشــارات أو التباس الاسماء ٠ ونحن نرى ياقوت يستدرك على ما أورده من مادة جغرافية عن بلاد الروم وبنودها ملقيا مسئوليتها على أحمــد بن محمد الهمدانى الذى نقل عنه فيقول « قلت أنا : وهذا فيما أحسب رسوم وأسماء كانت قديما ولا أظنها باقية الآن ، وقد تغيرت أسماء البلاد وأســماء تلك القواعد ٠٠ وانما ذكرت كما ذكر والله أعلم (١٢٠) » ويقول لى سترينج : « ان **مرج الاسقف** جاء عنه فى أحد مســالك ابن خرداذبة انه على شىء يســير غرب البذندون (بدندوس) ، **والمطمورة او المطامير** تردد ذكرها وعلينا أن نبحث عنها بجـــوار ملقوبية ، **وذو الكلاع او ذو القلاع** قال البلاذرى ان تفسير اسمها عند الروم(الحصن الذى مع الكواكب)ويبدو انها تطابقSideropolis فى كبادوكيا ٠٠ وفى جنوب البذندون **حصن الصقالبة** وفيه عسكر ـ على ماذكر البلاذرى ـ قوم من الصــقالبة كانوا فروا من البيزنطيين فجعلهم مروان الثانى هناك لحراسة الدرب ٠٠ ولم تثبت الحدود على حال واحدة،

---

(١١٩) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٨ ـ ٩ ، ابن عبد الحق : المراصد : جـ ١ (الطرابزنده) ص ٩١ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ (بحر بنطس) ص ٦٦ ، (القسطنطينية)

(١٢٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٣٠

بل كانت فى تقدم وتراجع واقبال وادبار ، وفى وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مستديما(١٢١) » .

(هـ) ـ جزر بحر الروم :

ذكر ابن خرداذبة من جزر بحر الروم قبرس واقريطش وجزيرة الذهب وجزيرة الفضة وجزيرة سقلية ، وذكر **قدامة** «وفى بحر الروم مائة واثنتان وسبعون جزيرة كان جميعها عامرا فأخرب المسلمون أكثرها بالمغازى اليها ، منها خمس عظام : وهى جزيرة قبرس وجزيرة اقريطش وجزيرة سقلية وجزيرة سرتانية وجزيرة يابس حيال الاندلس» . أما ابن رستة فيكتفى بمائة واثنتين وستين جزيرة عامرة «منها خمس جزائر عظام: أصغرها قورنس يحيط بها مائتا ميل ، وسردانية يحيط بها ثلاثمائة ميل، وسقلية يحيط بها خمسمائة ميل ، واقريطية يحيط بها ثلاثمائة ميل ، وقوابرس يحيط بها ثلاثمائة ميل ».وأبرز الاصطخرى فى حديثه عن جزر بحر الروم بصفة خاصة جزر صقلية واقريطش وقبرس . وقد أفاض المسعودى شيئا ما فى وصف جزيرة صقلية وبراكينها. ويشير الاصطخرى الى الدور التجارى والحربى لبحر الروم وأهميته فيقول «وليس فى البحار أحسن حاشية من هذا البحر ، فان العمارات فى الجانبين ممتدة غير منقطعة وسائر البحار يعرض فى شطوطها المفاوز والمقاطع ، وتتردد فيه سفن المسلمين والروم يعبر كل فريق الى جانب الآخر فيغنمون ، وربما اجتمع فيه الجيوش من المسلمين والروم فى السفن فيجتمع لكل فريق مائة سفينة حربية واكثر من ذلك فيكون حربهم فى الماء » (١٢٢) .

قد كان لجزر البحر المتوسط أهميتها بالنسبة لاقليم الثغور والعواصم على الحدود الاسلامية البيزنطية اذ تعتبر الجزائر القريبة من الساحل **قواعد بحرية للاسطول العربى** ، تظاهر الهجوم البرى . ويقول قدامه « **والغزاة اذا عزموا عليها كوتب أصحاب مصر والشام فى العمل على ذلك والتأهب له بتجمع بجزيرة قبرص . والمدبر لجميع امور المراكب**

---

(١٢١) لى ستربنج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٩ : ٩٧٢
(١٢٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١١٢ ، قدامة (ملحق بابن خرداذبة) ، ص ٢٣١
ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ٨٥ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٥١
المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥٢ ـ ٣ .

الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية » • (١٢٣) وقد جعلت في هذه الجزر حاميات اسلامية • وكانت العمليات الحربية في الجزر البعيدة عن الشام مثل صقلية تؤثر على قوة البيزنطيين الرئيسية في مقر دارهم وقاعدة دولتهم وتعطي لحملات الثغور الاسلامية فرصة سانحة لمهاجمة بلاد الروم

ارواد :

ذكر ياقوت أن هذه الجزيرة قرب القسطنطينية وقد فتحها المسلمون سنة ٥٤ هـ (١٢٤) ، والجزيرة التي يعنيها ياقوت جزيرة Cyzicus قرب القسطنطينية ولكن هناك أرواد قرب ساحل الشام بين مدينة جبلة وطرابلس ، وكانت تتمتع بشهرة قديمة رغم ضآلة شأنها عند بدء ظهور المسلمين • فقد لاحظ سترابون ان أهل أرواد يحترفون القرصنة وهكذا استغلوا مركزهم الجغرافي الممتاز ، وقد هاجمها معاوية سنة ٣٨هـ بعد عودته من جزيرة قبرص ، مقدرا أهمية الجزيرة الاستراتيجية التي ظهرت في مختلف عهود التاريخ (١٢٥) • ويذكر الدكتور حتي ان بعض المدن مثل Aradus أرواد وصيدا وصور كانت تتمتع بخط دفاع مزدوج اذ كان أهلوها يحتلون موقعين : أحدهمـــا على البر حيث يتاجرون ويزرعون ، والآخر في جزر صغيرة مجاورة يلجئون اليها اذا ما هددهم الفـــاتحون واخترقوا الممرات الجبلية • فالارواديون الذين كانت تســـمى مدينتهم على الساحل أرواد الخلفية Antaradus في العصر الهلنستي كانوا يتجمعـــون في جزيرتهم الصخرية وقد ظهرت براعتهم في ضمان حاجتهم من المياه لأجل جزيرتهم فخزنوا مياه المطر في صهاريج علاوة على استفادتهم من ميـــاه نبع عذب تحت البحر (١٢٦) • على ان الدكتور شعيرة يرى ان ماذكر من الهجوم على رودس سنة ٥٣هـ وأرواد سنة ٥٤هـ واحتلال كل منهما ٧ سنوات واشتراك الفقيه مجاهد في كلتا الحملتين يدعو الى القـــول بان ارواد ليست سوى تسمية أخرى لرودس وان أخبار الفتح الاسلامي لا تتناول ســـوى جزيرة واحدة بعينها وهي رودس التي جرى فتحها سنة ٥٤هـ (١٢٧) •

---

(١٢٣) قدامة : نبذ من كتاب الخراج ملحق بالمسالك لابن خرداذبة ص ٢٥٥ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٤٤٨ وايضا ص ٢٥ : ٣١ (بحر الشام) •

(١٢٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٠٧ •

(١٢٥) دكتور العدوي . الأمويون والبيزنطيون ص ٨٧ ـ ٨

Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 121-2.

(١٢٦) دكتور فيليب حتي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة دكتور حداد ورافق • جـ ١ ص ٩٠ ـ ١٠١ •

(١٢٧) Cheira : La lutte entre les Arabes et Byzantines, pp. 101, 136.

قبرص :

جزيرة في بحر الروم ، ويذكر ياقوت أن القبرس كلمة رومية معناها النحاس الجيد(١٢٨) . ومنذ بزغت الحضارات في حوض البحر المتوسط الشرقي والصراع مستمر على سيادة جزيرة قبرص منذ أيام تحتمس الثالث ، اذ ان موقعها الجغرافي يجعلها سهما مصوبا الى اقليم الشام ، وهي بمركزها في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر المتوسط تتحكم في مياه تلك المنطقة، ويمكن رؤيتها بالعين المجردة من آسيا الصغرى والشام ، ويقترب طرفها الشرقي من خليج الاسكندرونة الذى يقع خلفه الممر الجبلي الهام الممتد من ساحل البحر المتوسط الى شمال العراق ، وكان هذا الطريق من أهم المسالك التجارية للتجارة الشرقية صوب أسواق البحر المتوسط(١٢٩) .

رودس :

« جزيرة مقابل الاسكندرية على ليلة منها في البحر » كما يذكر ياقوت ، ويقول المسعودى أن الجزيرة في وقته كانت دار صناعة الروم ومراكبهم تقارب الاسكندرية وغيرها ومنها يشن الروم حملاتهم وغاراتهم (١٣٠) . وهذه الجزيرة أول حلقة في سلسلة ارخبيل بحرايجة من ناحية الشرق ، وتمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي على بعد ١٢ ميلا تقريبا من ساحل آسيا الصغرى . وقد هيأها هذا الموقع لأن تكون خطرا جاثما على اقليم العواصم والثغور في أطراف الشام الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية بآسيا الصغرى . فلما فتحها المسلمون أسسوا فيها رباطا لخهم يدافعون منه عن الشام (١٣١) .

اقريطش :

جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر افريقية لوبيا . وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى . قال ياقوت : وكانت من أعظم بلاد المسلمين نكاية على الروم الى ان أناخ عليها نقفور فوقاس الدمستق في

---

(١٢٨) ياقوت :معجم البلدان حـ ٧ ص ٢٦

(١٢٩) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٨١

(١٣٠) ياقوت : معجم البلدان حـ ٦ ص ٣٠٠

(١٣١) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٩٠ ـ ٢

خلافة المطيع (١٣٢) . وفي تقويم البلدان ان بين رودس وذنب أقريطش مجرى واحد . ونقل القلقشندى انهـــا جزيرة عامرة كثيرة الخصب وبها معدن ذهب وفي مراعيها المعز(١٣٣) . وتســـيطر هذه الجزيرة على بحر ايجة . وتقسم الجزيرة بامتدادها البالغ ١٦٠ ميلا البحر الى مدخلين تتحكم فيهما(١٣٤) .

صقلية :

من جزائر بحر المغـرب وهو في مواجهـــة افريقية ، على شــــكل مثلث بين كل زاوية والاخرى مسيرة سبعة أيام . فالزاوية الاولى شمالية وهناك المجاز الضيق الى الارض الكبيرة (أي الارض الاوربية وراء الاندلس) وهو نحو ٦ أميال ، والزاوية الثانية جنوبية ـ وهي تقابل بر طرابلس من افريقية ، والزاوية الثالثة غربية . وتقع في شرقي الاندلس في لج البحر، وغربيها في البحر جزيرتا قورشقة وسردانية . وفي جنوبي صقلية جزيرة قوصرة ، وفي شـــمالها بلاد قلفرية . وقد ارتبطت صقلية بحـــكم موقعها الجغرافي بافريقية ، وافريقية منهـــا في الجنـــوب الغربي (بين المغرب والقبلة) ، وبينها وبين مدينة ريو على ساحل البحر من البر الأعظم الذى عليه قسطنطينية مجاز يسمى القار وفي أطول جهة منها يبلغ اتساع المجاز ميلين عرضا ـ وعليها من جهتها مدينة تسمى المسينى . وبين الجزيرة وبر افريقية ١٤٠ ميلا الى أقرب مواضع افريقية . ونقـــل ياقوت ان لصقلية ٢٣ مدينة ـ وقيل ١٨ ، ١٣ قلعة ـ وقيل أكثر من ٣٢٠ . وفي وسطها جبل يسمى **قصر يانة** من عجائب الدهر . وهي شاهقة في الهواء والانهار تتفجر من أعلاها وحولها ، وكثيرة المواشي ، وفيها الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق وجميع الفواكه . وكانت قليلة العمـــارة خاملة قبل الاسلام ، فلما فتح المسلمون بلاد افريقية هرب أهلها اليها فعمروها ولم تزل على قربها من بلاد الاسلام حتى فتحت في أيام بني الاغلب . والغالب على صقلية الجبال والحصون ، وأكثر أرضها مزروعة ، ومدينتها المشهورة برم وهي قصبة صقلية على نحر البحر . وقد أشار ياقوت الى جبل النار في صقلية ويقارن الاصـــطخرى بين جزر البحر المتوسط مبرزا أهميـــة صقلية فيقول « وبصقلية من الخصب والسعة والزروع والمواشي والرقيق

---

(١٣٢) ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٣١١

(١٣٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١٩٤ ـ ٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٣٧١

(١٣٤) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٩١

ـ أكثر ما يقع فيها ـ ما يفضل على سائر ممالك الاسلام المتاخمة للبحر ، واقريطش دونها فى العرصة وفي العمارة ، وسكانها جميعا مسلمون أهل غزو وبين أظهرهم نبذ من النصارى كمـا يكون ببلدان المسـلمين ، وأما قبرس فان أهلها نصارى كلهم ليس فيهم من المسلمين أحد وهى تقارب فى الكبر والعمارة اقريطش ، خصـبة جدا ، افتتحها معاوية صـلحا فهادية أهلها فهى فى هدنة المسلمين وهم نصارى من الروم • ويقع بقبرس الميعة التى تحمل الى بلدان الاسلام من بلد الروم والمصـطكى تكون بقبرس • وأما جبل القلال فانه كان جبلا فيه ميـاه خرارة فوقع اليـه قوم من المسلمين فعمروه وصـاروا فى وجوه الافرنجة لا يقدر عليهم لامتنـاع مواضعهم » (١٣٥) • وقال المسعودى : جزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان ، ومنه تخرج عين النار التى تعرف بأطمة صقلية يستضىء بضوء نارها السفر على أكثر من مائة فرسخ برا وبحرا فى الليل ، وتنعكس الى البحر وتطفو فوق الماء ـ فهو الحجر الابيض الخفيف الذى يحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق(١٣٦) •

وكانت صقلية بموقعها الجغرافى تتحكم فى المداخل الرئيسية الكبرى للبحر المتوسط وتقسمه الى قسمين رئيسيين تشرف على الاتصال بينهما عن طريق مضيق مسنا ، ومضيق صقلية الذى يفصلهـا عن افريقية • وقـد لقيت صقلية بفضل موقعها معاونة الولايات البيزنطية الأخرى البعيدة عن متناول المسـلمين فى بداية فتوحاتهم ، وغدت قاعدة لهجـوم القوات البيزنطية على مصر ومحاولة تمزيق التعاون البحرى بينها وبين الشام • ومن هنا تنبه المسلمون الى وجوب محاولة فتحهـا ، حتى تهيـأ ذلك للأغالبة(١٣٧) •

قوصرة Cossira

اسم يونانى ومعناه السلة أو الزنبيل ، فى منتصف الطريق بين صقلية وافريقية ، وجملة مساحتها ٨٥ ميلا مربعا وسكانها لا يتجاوزون عشرة آلاف نسمة • ويذكر الادريسى انهـا « توازى حصن اقليبية من أرض افريقية ، وتوازى بين مدينة الشاقة (Sciacca) ومازره (Mazzara)

---

(١٣٥) ياقوت • معجم البلدان ج ٥ ص ٣٧٣ : ٦ أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١٩٣ ١٩٣ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٣٧ الاصطخرى : المسالك والممالك ص٥١

(١٣٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٥٢ ـ ٣ •

(١٣٧) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٨٩ •

من صقلية ـ وبينهما مجرى • وهي جزيرة خصيبة فيها آبار وسواحل وأشجار زيتون ، وفيها معز كثير برية متوحشة ، ولها من جهة الجنوب مرسى مأمون من الرياح » • ويقول ياقوت « بين المهدية وصقلية فتحها المسلمون أيام معاوية وبقيت بأيديهم ثم خرجت» • ويذكر ابن سعيد الغرناطي ان المسلمين فتحوا صقلية من قوصرة ، وهو يشير الى شهرتها بشجر المصطكى كما يشير لذلك أيضا أبو الفداء • وقد كان استيلاء العرب على افريقية سببا فى توجيه أنظارهم لغزو الجزائر المتوسطة فى البحر بين العدوتين الافريقية والاوربية ، وكان ذلك لغايتين : دفاعية ضد هجمات الروم البيزنطيين ، وهجومية لمحاولة مد سلطان الاسلام على المراكز التى تفصلهم عن البر الكبير وتسمى اليوم Pantellaria (١٣٨) •

مالطة :

غزاها الأسطول الاغلبى سنة ٢٥٥ هـ واستولى عليها وألحقها بشمال افريقية ، ولم يذكر ياقوت في شأنها بيانا شافيا • وهى من صغار الجزر التى رسخت قدم العربية وتغلغلت الروح الشرقية فيها • وتتمتع بموقع استراتيجى عظيم فى الحوض الاوسط للبحر المتوسط ، وقد ساعد الأغالبة على فتحها قرب قواعدهم البحرية منها لا سيما بعد فتح جزيرة صقلية • وقد عمدوا الى نقل سكان من تونس الى جزيرتى قوصرة ومالطة(١٣٩) •

سردانية :

« جزيرة فى بحر المغرب كبيرة • ليس هناك بعد الاندلس وصقلية واقريطش أكبر منها » ، وقد غزاها المسلمون وملكوها سنة

(١٣٨) حسن حسنى عبدالوهاب : قصة جزيرة قوصرة العربية ـ المجلة التاريخية المصرية م٢ ع٢ ـ أكتوبر ١٩٤٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٨٣ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١٨٨

(١٣٩) حسن حسنى عبدالوهاب : المرجع السابق ، شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٢٨٥ ، دكتور العدوى • الأساطيل العربية فى البحر المتوسط ص ٨٣ •

٩٢ هـ في عسكر موسى بن نصير ، ثم آلت الى الافرنج(١٤٠) • ذكر ان يقربها مغاص مرجان وبها معدن فضة •

قورسقة : مقابل جنوة وبينها وبين سردانية مجاز نحو عشرة أميال وامتدادها من الشمال الى الجنوب مجرى ونصف ووسطها متسع وراسها من جهة جنوة ضيق(١٤١) •

هذا وقد هاجمت الاساطيل المغربية الاسلامية **جزر البليار** منذ وقت مبكر •

(١٤٠) ياقوت : المعجم ج ٥ ص ٦٦

(١٤١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ١٨٩ القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٧٤ ـ ٥

ثانيا ـ حلب والثغور والعواصم

« جبهة الحدود الاسلامية البيزنطية »

كتب ابن خرداذبة حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى يحدد معالم الطريق من الرقة الى الثغور الجزرية ، فذكر هذه **الثغور : وهي** سلغوس وكيسوم وشمشاط وملطية وزبطرة والحدث ومرعش وكمخ وحصن منصور وقورس ودلوك ورعبان ٠ ثم ذكر ان عوادل الثغور الشامية : عين زربة والهارونية وكنيسة السوداء وتل جبير من طرسوس على ثمانية أميال(١٤٢) وذكر ابن الفقيه حوالى سنة ٢٩٠ هـ ان العواصم تشمل القرى حول انطاكية وهى قورس والجومة ومنبج وتوزين وبالس ورصافة هشام ٠ وذكر ابن رستة فى نفس الوقت تقريبا « ومن كور الجزيرة مما يسمى الثغور : ومن الشام كور تسمى الثغور الشامية وهي اذنة والمصيصة وطرسوس شمشاط وملطية وزبطرة ومرعش والحدث وسميساط وحصن منصور٠٠ وعين زربة والهارونية والكنيسة السوداء ، والعواصم وانطاكية وتيزين وقورس ومنبج ودلوك ورعبان(١٤٣) » ٠ غير ان قدامة بن جعفر الذى كتب حوالى سنة ٢٦٦ هـ هو الذى كان أكثر تحديدا فى تقسيم الثغور وفى التفرقة بينها وبين العواصم فهو يقول فى كلامه عن الثغور المقابلة لبلاد الروم « ان هذه الثغور منها : برية تلقاها بلاد العدو وتقابله من جهة البر، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها **ما يجتمع فيه الامران** وتقع المغازى من أهله فى البر والبحر ٠ والثغور البحرية على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلها ٠ والمجتمع فيه الامران غزو البر والبحر : الثغور المعروفة **بالشامية** ، فلنبدأ بذكرها : وهى طرسوس وأذنة

(١٤٢) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩٧ ، ١٠٠

(١٤٣) ابن رستة : الاعلاق النفيسة ص ١٠٦ ـ ٧

والمصيصة وعين زربة والكنيسة والهارونية وبياس ونقابلس ٠٠ **وعواصم هذه** الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، **وانما سمى كل واحد منها عاصما لانه يعصم الثغر ويمده فى أوقات النفير** ، ثم ينفر اليه من أهل انطاكية والجومة والقورس ٠ ثم يلى هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة **بالجزرية :** وأول ما يحاد الثغور الشمية منها مرعش ، ويليه ثغر الحدث ، وكان يلى هذا زبطرة فخربت أيام المعتصم ـ وكان له عند النهوض الى بلاد العدو حتى فتح عمورية الحديث المشهور ، فلما انتهى الى موضع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منهاحصونها لتقوممقامه وهى الحصن المعروف بطبارجى والحصن المعروف بالحسينية والحصن المعروف ببنى المومن والحصن المعروف بابن رحوان ٠ ثم يلى هذه الحصون ثغر كيسوم ، ثم ثغر حصن منصور ، ثم ثغر ملطية وهو الخارج فى بلد العدو من جميع هذه الحصون ٠ **وكل واحد بينه وبين بلد العدو درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو فى بقعة وأرض واحدة** ٠ وكان يواجه هذه الثغور ويقابلها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية ٠٠ **وعواصم هذه الثغور** دلوك ورعبان ومنبج ٠ ويلى هذه الثغور عن يمينها أيضا وفى جهة الشمال الثغور المسماة **بالبكرية** وهى : سميساط وحانى وملكين وحصون منها جمح وحوران والكلس وغيرها ٠ ثم ثغر قاليقلا فى جهة الشمال ـ عن هذه الثغور زيادة الا انه كالمنفرد لما بينه وبينها من المسافة البعيدة ٠ والذى يقابل هذه الثغور من أعمال الروم عمل الارمنياق وبعض عمل الخالدية ويقرب منها عمل افلاغونية المتصل ببلاد بحر الخزر ٠٠ وأما **الثغور البحرية** وهى٠ سواحل جند حمص: انطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة والهرياذة ٠ وسواحل جند دمشق : عرقة وطرابلس ودبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون ٠ وسواحل جند الاردن صور وعكا ٠ وسواحل جند فلسطين : قيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغزة ٠ وسواحل مصر : رفح والفرما والعريش(١٤٤) ٠

ويجعل الاصطخرى وابن حوقل الثغور حد الشام مما يلى الروم «وهى ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأذنة وطرسوس ٠٠ » ويلاحظ انهما قد جمعا بين الثغور الشامية والجزرية ، وهما يعززان وجهة نظرهما بهذا التدليل « قد جمعت الثغور الى الشام ، وبعض الثغور تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة ، **وكلاهما من الشام ، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام ٠ وانما سمى**

---

(١٤٤) قدامة : نبذ من كتاب الخراج (ملحق بابن خرداذبة) ص ٢٥٣ : ٥

من ملطية الى مرعش ثغـور الجزيرة لان اهل الجزيرة بهـا يرابطون وبها يغزون ـ لا لانها من الجزيرة • وكور الشام انما هي جند فلسطين وجند الاردن وجند حمص وجند دمشق وجند قنسرين والعواصم والثغور ، وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام ـ وهو الفـاصل بين الثغرين • وجبل اللكام هو جبل داخـل في بلد الروم ، ويقـال انه ينتهي في بلد الروم الى نحو من مائتي فرسخ ويظهر في بلد الاسلام بين مرعش والهارونية وعين زربة ويسمى اللكام ، الى أن يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء ، وينوخ الى حمص ثم يســـمى جبل لبنان ، ثم يمتد على الشام حتى ينتهى الى بحر القلزم » • ويذكر الاصطخرى في موضع آخر « وشمشاط هي ثغر الجزيرة لانها في غربي دجلة وشرقي الفرات ، **واما ملطية وما ذكرناه من ثغور الشام فانما نسبناها الى الجزيرة لان اهلها يرابطون لها لقربها منهم** والا فثغر الجزيرة على الحقيقة شمشاط » • وهو يذكر أيضا ان الثغور لا قصبة لها «وكل مدينة قائمة بنفسها» ، على أن المقدسى لا يسلم بأن كل ما وراء الفرات يعتبر من أرض الشام فهو يقول : « وأهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاما ، ولهذا أرسل محمد بن الحسن القول في دواوينه : وليس وراء الفرات من الشام غير كورة قنسرين حسب والباقي بادية العرب والشام من ورائها ، وانما أراد محمد التقريب والمتعارف بين الناس(١٤٥) » •

ويعرض ياقوت للثغور الشامية والجزرية وللعواصم ، ويثير مسألة علاقة حلب بها ، فيقول : « الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو ـ كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط وهو في مواضع كثيرة : منها **ثغر الشام** يشمل بلادا كثيرة وهي البلاد المعروفة اليوم ببلاد ابن لاون (ملك أرمينية) • **ولا قصبة لها ، لان أكثر بلادها متساوية** • وكل بلد منها كان أهله يرون انه أحق باسم القصبة • فمن مدنها : بياس ومنها الى الاسكندرية مرحلة ، ومن بياس الى المصيصة مرحلتـان ومن المصيصة الى عين زربة مرحلة ، ومن المصيصة الى اذنة مرحلة ، ومن اذنة الى طرسوس يوم ، ومن طرسوس الى الجوزات يومان ، ومن طرسوس الى اولاس على بحر الروم يومان ، ومن بياس الى الكنيسة السوداء أقل من يوم ، ومن بياس الى الهارونية مثله ، ومن الهــارونية الى مرعش ـ وهي **من ثغور الجزيرة** أقل من يوم ، ومن مشهور مدن هذا الثغر انطاكية وبغراس وغير ذلك ••

(١٤٥) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ابن حوقل ، المقدسى : أحسن التقاسيم : ص ١٥٢

والعواصم جمع عاصم وهو المانع ، والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية ، **وقصبتها انطاكية** ـ كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء وأكثرها فى الجبال فسميت بذلك · وربما دخل فى هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحى · **وزعم بعضهم ان حلب ليست منها ، وبعضهم يزعم انها منها** ، ودليل من قال انهـا ليست منها : انهم اتفقوا على انها من أعمال قنسرين ، وهم يقولون (قنسرين والعواصم) ـ والشيء لا يعطف على نفسه ، وهو دليل حسن· وقال أحمد بن محمد جابر: لم تزل قنسرين وكـورها مضـــمومة الى حمص ، حتى كان زمان يزيد بن معاوية : فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جندا ، فلما استخلف الرشيد أفرد قنسرين بكورها فصيرها جندا وافرد منبـج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم ـ لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثـــغر ، **وجعل مدينة العواصم منبج** واسـكنها عبد الملك بن صالح العباسى سنة ١٧٣هـ(١٤٦) » ·

ومن هذا يتبين مدى التداخل الذى حدث فى بيانات الجغرافيين العرب بين الثغور والعواصم من جهة ، وبين الثغور الجزرية وأعمـال الجزيرة من جهة أخرى ، وبين الثغور وحلب من جهة ثالثة ، وفيما اذا كانت عاصمة العواصم أنطاكية أو منبج » قال ابن حوقل : العواصم اسم للناحية وليست موضعا قصبتها انطاكية ، وعد ابن خرداذبة العواصم فكثرها وجعل منها كورة منبج وكورة تيزين وبالس ورصافة هشـــام وكورة جومة وكذا شيزر وأفامية واقليم معرة النعمان واقليم صوران واقليم تل باشر وكفر طاب واقليم سلمية واقليم جوسية واقليم لبنـــان الى أن بلغ اقليم قسطل بين حمص ودمشق · قلت : وأول من سماها بذلك الرشيد حين بنى طرسوس سنة ١٧٠ ، **والذى يظهر انها سميت بذلك لعصمتها مادونها من بلاد الاسلام من العدو اذ كانت متاخمة لبلاد الكفر واقعة فى نحر العدو وعساكر المسلمين حافظة لهـا · والثغر اسم لكل موضع يكون فى وجه العدو** .. وذكر عماد الدين صاحب حماه فى تاريخه : ان الرشيد سنة ١٧٠ عزل الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزا واحدا وسماها العواصم . قلت : **ومقتضى ذلك ان تكون الثغور والعواصـم اسما على مســمى واحد** ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابى بن فضل الله فى (التعريف) . وقد حدد هذه البلاد بجملتها

(١٤٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ١٦ ، حـ ٦ ص ٢٣٧

فقال : وحـدها من القبلة وانحراف للجنوب بلاد بفراس ومايليهـا ، وحدها من الشرق جبال الدربندات ، وحدها من الشمال بلاد ابن قرمان، وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية الى العلايا وانطاليا » (١٤٧) ٠

والواقع أن تفسير هذا التداخل فى معلومات الجغرافيين العرب ميسور اذا لاحظنا أن اقليم الثغور والعواصم لا يكون اقليما طبيعيـا متميزا من الوجهة الجغرافية ، وانما هو تقسيم ادارى لاغير اقتضاه الصالح العسكرى للدولة الاسلامية . فالاقليم من الوجهة الجغرافية يتداخل فى أعالى الشام والجزيرة وأرمينية ، ثم هو من الوجهة الادارية تقسيم تأخر حدوثه نسبيا فى تاريخ الدولة الاسلامية ، والى جانب ذلك لا ينبغى اغفال ما تعرض له خط الثغور الأمامية من المد والجزر فى العهود المتتابعة تبعا لنتائج الحروب بين المسلمين والروم ٠

وفيما يلى عرض لاهم مدن هذا الاقليم ، بعد محاولة التخلص من تداخل المعلومات وخلطها بقدر المستطاع . وسيبدأ هذا العرض بتناول حلب ، فالثغور الجزرية ، فالشامية ، ثم العواصم .

واذا كان من الراجح ــ كما ذهب ياقوت ــ استبعاد حلب من العواصم ، الا أن لها على كل حال ارتباطا وثيقا لا ينكر بها ، وولايتها كانت تضم الثغور والعواصم قبل افرادها ؛ وقد كانت قاعدة ملك سيف الدولة الحمدانى الذى ارتبط تاريخه بالثغور وحروب الروم .

(أ) ــ حلب :

مدينة حلب :

يشير الاصطخرى وابن حوقل الى أهمية موقع حلب عاصمة اقليم قنسرين « على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشامات»(١٤٨). وهى ترتوى من نهر قويق Chalus ٠ وتجارتها رائجة وأهلها أثرياء ، فهى « وسط سهل فسيح على ملتقى طـرق تجارية مهمة فى سـوريا الشمالية ، وميزتها الأصلية انها مدينة حدود ومدينة اتصال تلتقى بمنطقتها الوحدات الجغرافية الكبرى : سوريا وبلاد الرافدين والاناضول، ولتجتمع فى أرجائها مجموعات عرقية هامة ، وليس تاريخها سوى تاريخ

(١٤٧) القلقشندى : صبح الاعشى حـ ٤ ص ١٣٠ ــ ١

(١٤٨) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٦ ، ابن حوقل :

الاتصالات التى جرت فى المنطقة . وهى من أقدم المدن ، تقول عنها الوثائق الحديثة انها كانت فى حوزة العموريين وأن الملك الحيثى مورسيل نهبها. وقد تحولت الى مركز مدنى على أثر اغارات الأمم الغازية التى سعت لضمها لأهميتها الاستراتيجية . وأنشأ السليوكيون بيروا واتسعت أيام الرومان ، واستولى عليها الفرس فاحرقوها ، فقام جستنيان يصلح ما أفسدوه ، ورمم أسوار قلعتها ومنشآتها العسكرية لسد طريق الاناضول وانطاكية عن جموع الفرس (١٤٩) » .

وكتب المقدسى : « أما حلب فبلد نفيس خفيف حصين مبنى بالحجارة ، شربهم من نهر قويق يدخل الى البلد .. » وقد خلف الطبيب النصرانى ابن بطلان وصفا لمدينة حلب فى رسالته التى كتبها الى هلال ابن الحسن بن ابراهيم الصابى سنة ٤٤٠هـ : « دخلنا من الرصافة الى حلب فى اربع مراحل ، وحلب بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب، وفى جانب السور قلعة ، فى أعلاها مسجد وكنيستان ، وفى احداهما كان المذبح الذى قرب عليه ابراهيم عليه السلام ، وفى أسفل القلعة مغارة كان يخبىء بها غنمه ، وكان اذا حلبها أضاف الناس بلبنها . فكانوا يقولون : حلب أم لا ؟ ويسأل بعضهم بعضا فسميت لذلك حلب. وفى البلد جامع وينابيع وبيمارستان صغير، وشرب أهل البلد من صهاريج فيه مملوءة بماء المطر وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد فى الشتاء وينضب فى الصيف . وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبيذ الامابأتيه من بلاد الروم . ومن عجائب حلب ان فى قيسارية البز عشرين دكانا للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعا قدره ٢٠ الف دينار مستمر ذلك منذ ٢٠ سنة ، والى الآن وماف حلب موضع خراب أصلا . وبين حلب وانطاكية يوم وليلة » . وقد نقل ياقوت هذا الوصف وعلق على تسمية حلب بقوله فى شأن رواية حلب ابراهيم عليه السلام « وهذا فيه نظر ، لأن ابراهيم وأهل الشام فى أيامه لم يكونوا عربا ، فان كان لهذه اللفظة أصل فى العبرانية أو السريانية لجاز ذلك ، لأن كثيرا من كلامهم يشبه كلام العرب لا يفارقه الا بعجمة يسيرة » . وتلك ملاحظة نقدية لغوية بارعة من ياقوت . وهو يذكر أن باروا اسم مدينة حلب بالسريانية — والواقع انها سميت بهذا الاسم Beroea منذ الفتح المقدونى . ويضيف ياقوت أن مؤسسها بطليموس لاجوس ، وانها تسمى أيضا البيضاء ، لبياض ترابها . ويقول ياقوت « وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت

---

(١٤٩) دكتور سليمان عادل عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات أثرية فى سوريا ص٨٣:٥

به على ان الله تعالى خصها بالبركة وفضلها على جميع البلاد » . وذلك لأن حاصلاتها من القطن والحبوب والفواكه تجود مع أنها لا تسقى الا بماء المطر . وكان الجند فى ابتداء الاسلام ينزلون قنسرين ـ وهى المدينة التى تنسب الكورة اليها ـ ولم يكن لحلب معها ذكر ، ثم ضعفت بقوة حلب عليها حتى غدت قنسرين قرية صغيرة . ومن أجل ذلك ذكر قسطنطين بورفيروجنيتيس فى كتابه المؤلف بعد عام ٩٢٩ م De Administrando Imperio فى معرض حديثه عن امارات سوريا . حلب ولم يذكر قنسرين وتعاقب الجغرافيون على وصف حلب وتحصيناتها ، ذكر ذلك الاصطخرى وابن حوقل وأشارا الى ان القلعة لم تمنع استيلاء الروم على المدينة (فى عهد نيقفور فوكاس) . وكتب المقدسى : « فى وسط البلد قلعة حصينة » . وأشار ناصرى خسرو سنة ١٠٤٧ م الى أن أسوار حلب ترتفع الى حوالى ٢٥ ذراعا (أو ٥٠ قدما) ولها قلعة منيعة مبنية من الحجر اعتبرها الرحالة الفارسى فى ضخامة قلعة بلخ . وفيها **تحصل المكوس على التجارة** المارة بين ارض الشام وآسيا الصغرى وديار بكر ومصر والعراق . وكذلك أشار الادريسى الى أسوارها من الحجر الأبيض وموقعها على الطريق الرئيسى الى العراق وفارس وخراسان . وتكلم ابن جبير عن قلعة حلب فوصفها بأنها « شهيرة الامتناع » ، كما ذكر أنه كان فى حلب «سوران حصينان من الجانب الذى ينظر للبلد ويعترض دونها خندق لايكاد البصر يدرك مدى عمقه والماء ينبع فيه . وسورها الأعلى كله ابراج منتظمة فيها العلالى المنيفة والقصاب المشرفة ».وقد رثى الرحالة الأندلسى أمجاد حلب الغابرة ومفاخر سيف الدولة . وأما ياقوت فيذكر: « وأما قلعتها فبها يضرب المثل فى الحسن والحصانة لأن مدينة حلب فى وطء من الأرض ، وفى ذلك الوطء جبل مدور صحيح التدوير ، مهندم بتراب صح به تدويره ، والقلعة مبنية فى رأسه ، ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء . وفى وسط هذه القلعة مصانع تصل الى الماء المعين .. وكان الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين قد اعتنى بها بهمته العالية » .. وقد أورد لى سترينج محاولة لتحقيق اسماء الأبواب السبعة لحلب ومواضعها على النحو التالى :

١ ـ باب حمص الى الجنوب وقد اشار اليه Russel بباب دمشق فى خريطة كتابه Natural Hist. of Aleppo وهو الآن باب المقام (نسبة الى مقام ابراهيم) .

٢ ـ واذا اعتبرنا مكان الرقة من حلب فلابد أن يكون **باب الرقة**

هو باب الحديد الذى أشار اليه رسل فى الزاوية الشمالية الشرقية من السور .

٣ ــ باب قنسرين فى الطرف الجنوبى من الحائط الغربى وقد بناه سيف الدولة الحمدانى .

٤ ــ باب اليهود هو باب النصر الحالى فى وسط الحائط الشمالى حيث يقوم حى اليهود ، وقد أصلحه الملك الظاهر بن صلاح الدين وسماه باب النصر .

٥ ــ باب العراق : وكما يدل اسمه يقع غالبا فى الجنوب الشرقى ، وسماه رسل باب نيرب . وفى خرائط حلب التاريخية يسير طريق من المدينة عند الزاوية الجنوبية الشرقية الى قرية نيرب .

٦ ــ باب دار البطيخ ولعله باب الجنان عند رسل ، ويذكر ياقوت وغيره هذا الاسم وهو فى الحائط الغربى الى الشمال بقليل من باب انطاكية .

٧ ــ باب انطاكية ويسمى هكذا الآن وينفتح وسط الحائط الغربى الى الشمال من باب قنسرين وبينه وبين باب الجنان . ويشير رسل الى باب الاربعين فى الزاوية الشمالية الغربية من الربض فى شمالى حلب بعد باب النصر (١٥٠) . ويقول ابن شداد أن سور حلب كان من بناء الروم أولا ثم رممه كسرى أنوشروان بالآجر الكبار الفارسى بعد أن حاصرها وتشعثت أسوارها « وقد شاهدنا منه فى الأسوار التى فيما بين باب الجنان وباب انطاكية وفى أسوارها **أبرجة عديدة جددها ملوك الاسلام بعد الفتوح مثل بنى امية وبنى صالح** لما كانوا ولاة عليها من قبل بنى العباس ، وعلى الخصوص صالح بن على وعبد الملك ولده . ولما خربت بمحاصرة نقفور أواخر سنة ٣٥١ هـ جدد سيف الدولة أسوارها حين عودته سنة ٣٥٣ هـ كما جدد فيها ولده سعد الدولة سنة ٣٦٧ هـ » .

وكانت الملوك تبتنى قصورا فى حلب : منها قصر مسلمة بن عبد الملك بالناعورة انشأه سنة ٩٠ هـ ، وقصر سليمان ابن عبد الملك بالحاضر ، وقصر عمر بن عبد العزيز بخناصرة ، وقصر صالح بن على العباسى بقرية

---

(١٥٠) Le Strange : Palestine Under the Moslem, pp. 360: 7, Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 220:4, Dussaud: Top Hist. pp. 412-3,

المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٥٥ ــ ٦ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣١٣ : ٥ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ١٥١ ، ٢٤٢ ، رحلة ابن جبير ص ٢٣٨ : ٢٤١ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ٦٧ : ٧١ ، ١١٧ ، ١٢٤ .

بطياس في ظاهر حلب • وقصر أولاد صالح ويعرف بالدارين خارج باب انطاكية فى وسطه قنطرة على نهر قويق كان عبد الملك بن صالح بناه وبنى حوله ربضا لم يتمه فأتمه سيما الطويل قائد المعتمد . وكان موضع مسجدها الأعظم بستانا للكنيسة العظمى أيام الروم وهى منسوبة الى هيلانة أم قسطنطين • ولحلب قناة تخترق شوارعها اجراها من حفرها الى الكنيسة وقيل أنها دثرت فجددها عبد الملك بن مروان (١٥١) • وقد ساق محمد بن قلاوون نهر الساجور الى حلب وكانت قد عظمت . قال فى مسالك الابصار : وكانت حلب قد عظمت فى أيام بنى حمدان ، وجاءت الدولة الأتابكية فزادت فخارا ، حتى نزل هولاكو بحوافر خيله فهدمت أسوارها وخربت حواضرها ، وتجددت فى عهد الظاهر برقوق (١٥٢).

اهم مدن الاقليم :

ذكر المقدسي من مدن حلب : انطاكية ، بالس ، السويدية سميساط، منبج ، بياس ، التينات ، قنسرين ، مرعش ، اسكندرونة ، لجون ، رفنية، جوسية ، حماه ، شيزر ، وادى بطنان ، معرة النعمان ، معرة قنسرين (١٥٣) • ويذكر ابن شداد أن لها من البلاد بالس ، وقلعة نجم وتسمى جسر منبج ، وخناصرة ، ورصافة هشام ، وحيار بنى القعقاع ، وقنسرين وحاضر قنسرين ، وسرمين ، ومعرة مصرين ، والشغر وبكاس ، وحارم وشيح الحديد ، ودربساك ، واعزاز ، وكيسوم ، والراوندان ، وخروص ، وبهسنا (١٥٤) • وظاهر ان هذا التعداد تدخل فيه مدن تعد من الثغور والعواصم ، ويذكر لى سترينج أن افراد الرشيد العواصم كأقليم منفصل قد جعل جند قنسرين « قصورا على البلدان المحيطة بقنسرين وحلب مع اقليم المعرتين وسرمين (١٥٥) •

قنسرين : بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم وكانت فى العصر البيزنطى مركزا عسكريا لمقاومة بدو الشرق دعى Chaleis وهى قرب نهاية مجرى نهر قويق • وأصل تسمية قنسرين آرامى كما يرى دوسو • وحتى القرن الثامن الميلادى كانت القوافل المتجهة من حلب

---

(١٥١) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٣٢ ، ٥٨ : ٦٢ ، ص ١٤٠ : ٢ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ١١٢ ـ ١١٣

(١٥٢) القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١١٦ ـ ٧ •

(١٥٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ١٥٥ •

(١٥٤) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٥٨ ـ ٩ •

(١٥٥) Le Strange : Palestine Under the Moslems, p. 36.

سواء الى الجنوب أو الى أنطاكية تتوقف عندها • وكانت المناطق الآهلة أكثر امتدادا نحو الشرق ، بينما كانت قلعة خلكيس تحمى المدينة من غارات البدو • ويحدد كليرمون جانو Clermont Ganneau تاريخ ٥٥٠ ــ ١ م لاعادة تشييد سور المدينة على يد جستنيان • وقد استفاد العرب من خبرة البيزنطيين فى تنظيمهم الادارى والحربى • ويذكر ياقوت أن البعض يدخل حلب فى العواصم ، **وكانت فى اول امرها من جند حمص ثم صارت بعد ذلك قاعدة لجند قنسرين ثم طغت عليها حلب فاخذت مكانتها** • وما زالت عامرة آهلة حتى غلبت الروم على حلب منازل • وذكر أبو زيد أحمد بن سهل البلخى فى كتابه (صورة الأرض) « قنسرين مدينة تنسب الكورة اليها ، غير أن دار الامارة والأسواق ومجامع الناس والعمارة بحلب » • وذكر ابن الطيب السرخسى أنه يقال لقنسرين هذه قنسرين الأولى ، قال ابن واضح : والثانية هى حيار بنى القعقاع • وقال السرخسى : قنسرين مدينة صغيرة ولها سور ولها قلعة وسورها متصل بسور المدينة • وذكر ابن شداد ان حاضر قنسرين يقال له حاضر طىء وله قلعة قد خربت •

حيار بنى القعقاع :

بينه وبين حلب يومان وهو صقع من برية قنسرين • وذكر ابن شداد أن بنى القعقاع هم أخوال الوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان • وتعرف بحيار بنى عيسى أيضا ، وقد صارت الآن منزلا للاعراب ، وهذه هى قنسرين الثانية (١٥٧) •

خناصرة :

بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نحو البادية ، وهى قصبة كورة الأحص • قال ابن شداد : كانت بليدة قديمة ولها حصن بناؤه بالحجر الأسود الصلد على سيف البرية (١٥٨) •

---

(١٥٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ١٦٨ ــ ٩ ، حـ ٣ ص ٢٠٠ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٢ : ٤ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ١٣٤ ــ ١٤٤ ، ٢٠٣
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdaudes pp. 218-9,
Dussaud : Top. Hist. des la Syrie, pp. 476 - 7.

(١٥٧) ابن عبد الحق : المراصد : جـ ١ ص ٤٤٠ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦١ ــ ٨
ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ١٩٢

(١٥٨) ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ٤٦٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦١ ،
ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص ١٨٥ •

سرمين :

بلدة مشهورة من أعمال حلب ، بطرف جبل السماق . قال عنها ابن شداد « كثيرة العمل واسعة الرستاق ، لها سور من الحجارة خرب ». وذكر القلقشندى نقلا عن تقويم البلدان أنها « غير مسورة وشرب أهلها من الصهاريج وهى جنوب حلب بمسيرة يوم » . **والفوعة** من أعمالها . وكذلك **تيزد** وهى قلعة حصينة (١٥٩) .

معرة مصرين :

بليدة بنواحى حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو ٥ فراسخ . قال ابن شداد « مدينة مذكورة .. ولها سور قديم مبنى بالحجر وقد انهدم ولم يبق منه أثر وأهلها ذوو يسار » (١٦٠) .

الراوندان :

قلعة حصينة وكورة مشجرة من نواحى حلب ، فى الغرب والشمال عنها وبينهما نحو مرحلتين وفى الشمال عن حارم ، على رأس جبل مرتفع أبيض « فى مكان لا يحكم عليه منجنيق ولا يصل اليه نيل ، ولها ربض صغير فى لحف جبلها ، وهى من أقوى القلاع وأحسن البقاع ، ويحف بالقلعة واد من جهة الشمال والغرب وهو كالخندق لها وفيه نهر جار». وقد أوزدها العديم فى عداد الحصون التى لم يقع لها ذكر فى الفتوح وهى فى زمانه « معدودة من البلاد موصوفة بالحصانة مشحونة بالاجناد » . **وتل هران** حصن قريب من الراوندان . —

تل باشر :

قلعة حصينة وكورة واسعة شمالى حلب بينهمــــا يومان ، قرب

---

(١٥٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٧٥ ، ابن عبدالحق : المراصد جـ ٣ ص ١٠٤٧ ، جـ ١ ص ٢٨٥ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٤ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٤ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٦ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٢٠٥

(١٦٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٩٥ ــ ٦ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ١٦٤ ــ ٥ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ١٩٩ .

(١٦١) ابن عبد الحق : المراصد جـ ٢ ص ٥٩٨ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٦ ــ ٧ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١١ ــ ٢ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٩، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٣٦٩

عينتاب وشربها من الساجور ، ويليها تل خالد وقد أوردها ابن العديم بين الحصون المستحدثة بعد الفتح القائمة فى أيامه • وهذه المنطقة سهلة الاتصال بالجزيرة : (حران، الرها، سروج) عن طريق معابر الفرات (١٦٢)

الباب وبزاعة :

فى شمالى شرقى حلب ، والباب أكثر عمارة وكان فيها مغاور تعصم أهلها من العدو ، وبزاعة ذات حصن مانع له خندق ، وقد استولى عليه الروم حتى استنقذه عماد الدين زنكى سنة ٥٣٣ هـ . وكانت الباب فى صدر الاسلام كالربض لبزاعة • ويعرف الباب بباب بزاعة : بليدة من طرف وادى بطنان من أعمال حلب ، بينها وبين منبج نحو ميلين ، وبينها وبين حلب ١٠ أميال • وبزاعة فى **وادى بطنان** أيضا بين منبج وحلب . وبين كل واحدة منهما مرحلة • وبطنان واد بين منبج حلب فيه أنهر جارية وقرى متصلة وتعتمد الزراعة فيه على السيل وهى تجود فيه ، والقصبة بزاعة . وهناك بطنان حبيب وبطنان بنى وبرين « موضعان منه بينهما ورحة للماشى » (١٦٣) .

عـزاز :

بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب بينهما يوم . وكان يسميها البيزنطيون Azazion ، وتقع فى الجنـوب الشرقى من جبل برصايا وفى الشمال الغربى من حلب • وهى فى وسط اقليم خصب آهل بالمدن والسكان ، ويرويها أحد روافد نهر قويق • ولها قلعة هدمها زلزال فى القرن الرابع الهجرى • وقد كانت هنـاك مجموعة من المواقع الى الشرق من نهر عفرين ، فى حوض نهر قويق ، هيأ لها موقعها بين حلب والحدود أن تلعب دورا هاما فى القرن العاشر الميـلادى • **ودابق :** من أعمالها ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى سهل مصيصة وبها قبر سليمان

---

(١٦٢) ابن عبد الحق : المراصد جـ ٨ ص ٢٦٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٧، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٢ ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٣٦٧

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 233.

(١٦٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٩ ، ١٦٢ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ٢٠٤، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٦ ــ ٧ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٨ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٢ : ٥ ، ابن العديم ، بغية الطلب ــ مخطوط ص ٣١١

ابن عبد الملك . **والأعماق** كورة قرب دابق ويقال لهـــا العمق بين حلب وانطاكية (١٦٤) .

البـــــارة :

بليدة وكورة ما نواحي حلب وفيها حصن وتســمى زاوية البارة ويرى فان برخم Van Brechem أن التاريخ الوسـيط لهذه القلعة يرجع وجودها قبل الحروب الصليبية ، ومن هنا يحتمل دوسو نسبتها الى العصر البيزنطي (١٦٥) .

كفر طـاب :

بلدة بين المعرة ومدينة حلب في برية معطشة ، وهي على الطريق بين المعرة وشيزر . ويذكر دوسو أن تسمية كفر طاب تدل على أصلها الآرامي السابق على الاسلام ، وترجع أهميتها الى موقعها على الطريق المتجه من حلب والمتفرع عندها الى افامية أو شيزر فضلا عن قربهـا من أفامية على الطريق من الأخيرة الى معرة النعمان . وكانت أنطاكية واللاذقية من ناحية وافامية من ناحية أخرى يستخدمان شاطىء العاصي في المواصلات عن طريق السيطرة على برزويه من جانب ومنطقة كفر طاب من جانب آخر . ويعدها ابن العديم بين الحصون المستحدثة بعد الفتح والقائمة في أيامه (١٦٦) .

الجبـول :

شرقي حلب على مرحلة كبيرة منها ، قرب الفرات ، فيها ينصب نهر الذهب فينفصـــل عنه المـلح الذي تتزود منه الشــــام وبعض الجزيرة (١٦٧) .

---

(١٦٤) ابن عبدالحق : المراصد جـ ٢ ص ٩٣٧ ، ياقوت : المعجم جـ ٤ ص ٣ ، ابن عبدالحق: المراصد جـ ١ ص ٩٦ ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٣٠٩ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 224-5

(١٦٥) ابن عبدالحق : المراصد جـ ١ ص ١٥٢ ،
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, p. 181.

(١٦٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٢٦٤ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٢ ـ ٣ القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٥ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٠٦
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 179-180, 187.

(١٦٧) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٥٦ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٦

(ب) العواصم :

تذكر قصبة العواصم عند الجغرافيين العرب على أنها تارة منبج وتارة أنطاكية كما تقدم ، ولعل ذلك راجع الى أن **من العواصم مايقترب ويتاخم الثغور الجزرية ، ومنها ما يحيط بانطاكية ويتاخم الثغور الشامية .**

منبج :

Hierapolis • أكبر العواصم تطرفا نحو الشرق وقد وصفها عبد الملك بن صالح للرشيد حين زارها فقال : طيبة الهواء ، قليلة الأدواء ، قال الرشيد : كيف ليلها ؟ قال : سحر كله ، قال : صدقت انها لطيبة ، قال : بل طابت بأمير المؤمنين ، واين يذهب بها عن الطيب وهي برة حمراء وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ، في فيافي منبج ، بين قيصوم وشيح • وكان لمنبج أهميتها فقد لعبت دورا تجاريا ودينيا هاما في العهد الهيلينستي والروماني ، ولم تفقد مكانتها في العصور الوسطى بحكم موقعها كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية ، ومجاورتها للفرات وحلب • وذكر بعضهم أن أول من بناها كسرى لما غلب على الشام • ولما افرد الرشيد العواصم جعل مدينتها منبج وأسكنها عبد الملك بن صالح العباسي كما يروى البلاذرى ، وضم اليها اقليما يمتد من حدود جند حلب الى الساجور والفرات . ولم تقتصر مهمتها على حماية مواقع الحدود بل اضطلعت أيضا بمراقبة صحراء الشام في الجنوب حتى منطقة بالس . وأعطى مرور الفرات بالقرب من منبج الفرصة لظهور **جسر منبج .** ومنبج مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة في فضاء من الارض عليها سور مبنى بالحجارة محكم ، بينها وبين الفرات ٣ فراسخ كما أنها قريبة من الساجور وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ ، وشربهم من قنى تسيح على وجه الأرض ، وفى دورهم آبار كثيرة . وقال ابن حوقل : انها قريبة الى الثغر منها الى الفرات مرحلة خفيفة والى قورس مرحلتان والى ملطية أربعة أيام (١٦٨) •

---

(١٦٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٨ ــ ٩ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٦ ، ٤٩ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٦٩ ــ ١٧٠ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٧٦٠ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٧٠ ــ ١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ : ٩ ،

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 233-4, Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 474-5.

جسر منبج : كان على الفرات فوق الرقة ثلاث مدن تحسب من أعمال الشام في الغالب لوقوعها في يمين الفرات اى في جانبه الغربي وان عدها اكثر المؤلفين من اعمـــال الجزيرة ، وهذه المدن هي : جسر منبج وبالس وسميساط . وجسر منبج أو جسر سنجة على الفرات ومنه يصعد طريق يغرب الى منبج . وتعبر القوافل الفرات على جسر منبج من الشام الى حران وبالاتجاه جنوبا يمكن الوصول الى قلعة جعبر أو قلعة دوسر وبين الجسر والمدينة أربع فراسخ ، واتخذ الجسر فى خلافة عثمان لتسير عليه الجيوش فى حملات الصوائف وقيل بل كان له رسم قديم . وعند الجسر قلعة حصينة تحتهـــا ربض عامر وهي مطلة على الفرات ، عرفت بقلعة نجم فيما بعد ، وقد عمرها نجم غلام حبى الصفوانى بعد سنة ٣٠٠ هـ تقريبا . ولما امر ابن جبير بقلعة النجم وهو آت من حران سنة ٥٨٠ هـ قال : « حولها ديار بادية وفيها سويقة » . وقال أبو الفداء ان الجسر بعد بناء القلعة « صار يعرف بقلعة نجم وهو من بناء السلطان نور الدين زنكى ، وكانت مسلحة تشدد التكير على ما فى يد الصليبيين من مدن ، ملكها بنو حمدان وتعاقبت عليها الولاة حتى خربتها التتر . وقد وصفها القاضى الفاضل : نجم فى سحاب ، وعقاب فى عقاب ، وهامة لها الغمامة عمامة (١٦٩) » .

قايا : بين منبج وحلب ، وهى من أعمال منبج فى جهة قبلتها قرب وادى بطنان ولها قرى عامرة فيها بسـاتين ومياه جارية (١٧٠) .

بقعاء العيس : من كور منبج ــ وهى من بداية على الفرات الى نهر السـاجور ، **وبقعاء ربيعة** من كور منبج أيضا وهى من نهر السـاجور الى أن يتصل بأعمال حلب (١٧١) .

بالس : فى غربى الرقة عند حد أرض صفين حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب ، وهى Barbalissus عند الرومان ، وكانت فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم كانت مركزا لكثير

---

(١٦٩) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ــ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٣٩ ، الاصطخرى المسالك والممالك ص ٤٦ ، ٥٤ ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٥١ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٣٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٣٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٩ ــ ٣٠ ، رحلة ابن جبير ص ٢٣٦ ،
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, p. 451.

(١٧٠) ياقوت : معجم البلدان : جـ ٦ ص ٢٣٦

(١٧١) ابن عبدالحق : المراصد : جـ ١ ص ٢١٢

من طرق القوافل. قال عنها الاصطخرى : «هى **أول مدن الشام من العراق**، والطريق اليها عامر ، وهى **فرضة الفرات لأهل الشام** » ووصفها ابن حوقل بأن عليها سورا ازليا ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات» . وقال عنها المقدسى فى المائة الرابعة هـ انها مازالت عامرة على ان ياقوت ذكر فى المائة السابعة هـ أن الفرات «لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا حتى صارت بينهما فى أيامنا اربعة أميال » . وذكر ياقوت نقلا عن البلاذرى أن مسلمة بن عبد الملك حين توجه غازيا الروم من الثغور الجزرية أتاه أهل بالس وقاصرين ـ وهى تذكر الى جانبها منذ أيام الفتح الاسلامى ـ وعابدين وصفين ، وهذه قرى منسوبة اليها ، فسألوه جميعا أن يحفر لهم نهرا من الفرات يسقى أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتها بعد عشر السلطان الذى كان يأخذه . فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشرط ، ورم سور المدينة أحكمه ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته . وفى عهد العباسيين أقطعها السفاح محمد بن سليمان بن على العباسى ، فلما مات اقطعها الرشيد ابنه المأمون فصارت لولده من بعده . وذكر ابن شداد أن بالس مدينة قديمة على شاطىء الفرات تحمل منها التجارات التى ترد من مصر وسائر أرض الشام فى السفن الى بغداد .

وروى ابن العديم أنها « كانت فى أول الاسلام عامرة جدا ، وهى أول مدن جند قنسرين ، وكان بها سور من بناء الروم ، وكانت تفضل على قنسرين فى العمارة ، وخرج منها جماعة من العلماء والرؤساء . وفى زماننا خرب سورها ولم يبق فيها من العلماء واحد ولا الرؤساء » (١٧٢).

انطاكية : يذكر الاصطخرى وابن حوقل ان انطاكية قصبة اقليم العواصم ، وهى أنزه مدينة فى الشام بعد دمشق وكان لها أسوار حجرية حولها كما تكتنف تلك الاسوار الجبل المطل عليها Siphius . وانتقل اليها بعد فتحها قوم من أهل حمص وبعلبك مرابطة ، منهم مسلم ابن عبد الله جد عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الانطاكى ، وقد قتل مسلم على باب من أبوابها فعرف باسمه ـ كما يروى البلاذرى وأقطع الوليد بن عبد الملك جند انطاكية أرض سلوقية عند الساحل ،

---

(١٧٢) الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٦ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٦ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٥٩ ، لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٣٩ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٥٥ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٨ ـ ٩ ، ابن العديم : بغية الطلب : ـ مخطوط ص ١٨٨

وصير اليهم الفلثر بدينار ومدى قمح فعمروها وجرى ذلك لهم ، وبنى حصن سلوقية ، والفلثر مقـــدار من الأرض كالفدان والجريب • كذلك تذكر روايات البلاذرى أن الطريق بين انطاكية والمصيصة كان «مسبعة يعترض للناس فيها الأسد ، فلما كان الوليد بن عبد الملك شكي ذلك اليه فوجه أربعة آلاف جاموس وجاموسة فنفع الله بها » ، كما بعث يزيد ابن عبد الملك بالجاموس الى انطاكية أيضا • وقد حدث تناقص فى ثروتها قبل أن يستولى عليها الروم سنة ٣٥٩ هـ ـ (٩٧٠ م) ، وهذا تاريخ يخالف ما أعطاه جبون : وهو سنة ٩٦٤ م (٣٥٣ هـ) • ويذكر ياقوت أن انطاكية « لم تزل قصبة العواصم بين الثغور الشـامية » مع أنه ذكر فى موضع آخر أن منبج مدينة العواصم • وذكر كذلك أن « بين انطاكية والبحر نحو فرسخين ، ولها مرسى فى بليد يقال له **السويدية** ترسو فيه مراكب الافرنج ، يرفعون منه أمتعتهم على الدواب الى أنطـاكية • وكان الرشيد العباسى قد دخل انطاكية فاستطابها جدا فعزم على المقام بهـا فقال له شيخ من أهلها : ليست هذه من بلدانك يا أمير المؤمنين • قال: وكيف ؟ قال : لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع به ، والسلاح يصدأ ولو كان من قلعى الهند ، فصدقه فى ذلك فتركها •• ثم لم تزل بعد ذلك انطاكية فى ايدى المسلمين وثغرا من ثغورهم الى أن ملكها الروم سنة ٣٥٣هـ بعد أن ملكوا الثغور : المصيصة وطرسوس وأذنه ، واستمرت فى أيديهم الى أن استنقذها منهم سليمان بن قتلمش السلجوقى سـنة ٤٧٧هـ» • والسويدية هى Soudin عند مصب نهر العاصى ، وقدحلت أيام الصليبيين محل ميناء انطاكية السابق سلوقية Selucie ذى الموقع المنيع على تلال الشاطىء الايمن للنهر • ويفيض المسعودى فى وصف كنائس النصارى وأعيادهم بانطاكية « ذلك أن مدينة انطاكية بها كرسى البطرك المعظم عندها فى ديانتها ، وان النصرانية تسمى انطاكية مدينة الله ويسمونها أيضا مدينة الملك وأم المدن ـ لأن بدء ظهور النصرانية كان فيها » • وهو يشير الى كنيسة القسيان ، وكنيسة بولس المعروفة بدير البراغيث عند باب الفارس ، وكنيسة أشمونيت خارج السور من انطاكية ، وكنيسة مريم وهى « مدورة وبنيانها من احدى عجائب العالم فى التشييد والرفعة ، وكان الوليد بن عبد الملك اقتلع من هذه الكنيسـة عمدا عجيبة من المرمر والرخام لمسجد دمشق » • كما أشار المسعودى الى هيكل الديماس العظيم البنيان الذى قيل انه من بنـاء الفرس حين ملكت انطاكية (فى عهد سابور سنة ٢٦٠ م) وانه كان بيت نارلها «كان بانطاكية من أرض الشام على جبل بها داخل المدينة والسور محيط بها ، وقد جعل المسلمون فى موضعه مرقيا ـ لينذرهم من قد رتب فيه

من الرجال بالروم اذا وردوا البر والبحر » . وقد استمر رخاء انطاكية في العهود المختلفة ، وغدت أكبر مركز للمسيحية في سوريا ، وكانت هدفا للصراع بين البيزنطيين والفرس أولا وبين البيزنطيين والعرب بعد ذلك . ويبدو ان انطاكية **احتفظت في العهد الاسلامي بمكانتها كمركز ديني ، فضلا عن أهميتها العسكرية كقاعدة هامة في الطرف الغربي لخط العواصم ، الا أنها لم تعد تلعب دورها التجاري الهائل القديم** ـ كما يلاحظ كنار . ووصف الطبيب النصراني العربي ابن بطلان انطاكية باسهاب في رسالته الى هلال بن المحسن الصابي سنة نيف وأربعين وأربعمائة وكانت قد صارت الى أيدي الروم فقال « وخرجنا من حلب طالبين انطاكية وبينهما يوم وليلة ، فوجدنا المسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها أصلا ، ولكنها أرض تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون ، قراها متصلة ورياضها مزهرة ومياهها متفجرة ، يقطعها المسافر في بال رخي وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ، ولسوره ثلاثمائة وستون برجا يطوف عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك يضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في السنة الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل ـ والسور يصعد مع الجبل الى قلتين فتتم دائرة . وفي رأس الجبل داخل السور قاعة تبين لبعدها من البلد صغيرة ، وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الا في الساعة الثانية . كانت دار قسيان الملك الذي أحيا ولده بطرس » ويرجع لي سترينج والسور المحيط بها دون الجبل ٥ أبواب ، وفي وسطها بيعة القسيان . أن هذه الكنيسة هي التي بناها جستنيان تذكارا لبطرس وبولس ، غير انه لا توجد اشارة في الانجيل عن أحياء بطرس لابن الملك في انطاكية . ويفيض ابن بطلان في وصف الكنيسة وآثار أحد الزلازل عليها « وكانت حالها اعجوبة » . ثم يذكر أن في ظاهر البلد نهر المقلوب (الارنط) « يأخذ من الجنوب الى الشمال .... وعليه رحى وهو يسقي البساتين والأراضي » . وقد قيل ان المدينة المذكورة في الآية « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ... » يقصد بها انطاكية (١٧٣) .

---

(١٧٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٤ ـ ٥ . ١٧٤ ـ ٥ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ٤٦ ، المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص ٣٥١ ـ ٢ ، ٣٧٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٣ ـ ٣ : ٨ ، ابو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٥٦ ـ ٧ . القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٨ ـ ٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ١٦١ : ٧ .

Le Strange : Palestine Under the Moslems, pp. 367: 77, Canard: Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 214-5, 227-8., Dussaud, Top Hist. de la Syrie, pp. 425: 8, 430-1.

حارم : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية « يحرمها العدو وتدون حرما لمن فيها » كما يقول ياقوت وقد كانت حارم بحكم موقعها على أكمة تشرف على السهل وتحمى من ناحية أخرى مدخل جبل الأعلى الشمالى فضلا عن وقوعها على مسيرة يومين من حلب ومسيرة يوم من انطاكية ، وكانت نقطة استراتيجية هامة استفاد منها البيزنطيون عندما استولوا على انطاكية . وفى زمن ابن شداد غدت حارم فرضة لاقليم متسع يستوعب كل السهل فى شرقى بحيرة انطاكية . وهو يقول: كانت قبل الفتح صغيرة ودامت على ذلك فى صدر الاسلام الى أن ملكت الروم انطاكية سنة ٣٥٨ هـ فبنوها حصنا لتحمى مواشيهم من غارات العرب ، بينها وبين انطاكية مرحلة وربضها بلد صغير . (١٧٤)

العمق : ومنه أكثر ميرة انطاكية ، وقد يدخل وادى عفرين فى اقليم العمق أحيانا وقد ينقل الى اقليم الجومة أحيانا أخرى . ويذكر ابو الفدا أن نهر عفرين يأتى من بلاد الروم ويجرى عن طريق الراوندان فى اقليم الجومة ثم يمر فى اقليم العمق ، ولا يوجد حد مميز بين الاقليمين (١٧٥) .

برج الرصاص : قلعة لها رساتيق من أعمال حلب قرب انطاكية ، وهى بيزنطية الأصل . واياها عنى أبو فراس بقوله :

فاوقع فى جلباط بالروم وقعة　　بها العمق واللكام والبرج فاخر

وقد عدها ابن العديم من الحصون المستحدثة بعد الفتح القائمة فى أيامه (١٧٦) .

البرزمان : قلعة من العواصم من نواحى حلب (١٧٧) .

بغراس : فى لحف جبل اللكام وهى Pagris القديمة وقد كانت فى العصور الوسطى على طرف الطريق المؤدى الى مضيق بيلان . بينها

---

(١٧٤) ياقوت معجم البلدان حـ ٣ ص ١٩٩ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٨ ـ ٩ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٢٤
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 217

(١٧٥) ياقوت : معجم البلدان حـ ٦ ص ٢٢٤ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٤٩ ـ ٥٠
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, p. 223.

(١٧٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ١١١ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٣٧٠
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 231.

(١٧٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ١٢٣ ،

وبين انطاكية ٤ فراسخ ، على يمين القـــاصد الى انطاكية من حلب فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس • وكانت أرض بغراس لمســـلمة بن عبد الملك ووقفها على سبيل البر • قال البحترى :

سيوف لها فى كل دار غدا ردى   وخيل لهــا فى كل دار غدا نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما حنت   صدور رجال حين ضاق بها درب

وذكر فى تقويم البلدان انها ذات أعين وبساتين ، كما ذكر أن بينها وبين كل من انطاكية واسكندرونة ١٢ ميلا ، وبينها بين حارم فى شرقيها نحو مرحلتين • وقد أقامت فيها زبيدة زوج الرشيد دارا للضيافة •وعند بغراس **عقبة** « عند الطريق المســـتدقة التى تشرف على الوادى » حيث سقط محمل امرأة فى حملة لمسلمة بن عبد الملك على عمورية « فأمر مسلمة أن تمشى سائر النساء ، فمشين ــ فسميت تلك العقبة عقبة النســـاء . وقد كان المعتصـم بنى على حـد تلك الطـريق حائطا قصيراً » (١٧٨) .

دربساك : قلعة من جند قنسرين شمالى حلب على نحو ٣ أو ٤ مراحل منها ولها من شرقيها مروج متسعة كثيرة العشب يمر بها النهر الاسود • وتقع على لحف جبل اللكام ، وهذا البـــلد « ليس له ذكر فى الفتوح وانمـــا **جدد فى دولة الآرمن** لما ملكوا الثغور » ــ كما يقول ابن شداد (١٧٩) .

حصن بوقا : بوقا من قرى انطاكية ارســـل اليها الزط مـــع جواميسهم فى عهد الوليد ابن عبد الملك • وقد بنى هشام بن عبد الملك حصن بوقا ، وجدد من بعده (١٨٠) .

تيزين وارتاح : تيزين أو توزين كورة وبلدة بالعواصم من أرض حلب ، وكانت تعد من أعمال قنسرين حتى فصلت العواصم فصارت

---

(١٧٨) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٢٤٥ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٨ ــ ٩ ، القلقشندى : صبح الاعشى : حـ ٤ ص ١٢٢ ــ ٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ ، ابن حوقل ص ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٢١٣ •
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 228-9, Dussaud: Top. Hist. de la Syrie, pp. 233-4, 438.

(١٧٩) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ ــ ١ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٢ ، ابن الشحنة . الدر المنتخب ص ٢٢٢ •

(١٨٠) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٣٠٧ ــ ٨ : ابن الشحنة : الدر المنتخب ص٢٢٢، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص٢٨٠•
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 229.

تيزين منها مع منبج وغيرها ، وحين خربت أضيفت القرى التابعة لها الى ارتاح ، وارتاح حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب . وقد كان دور ارتاح هاما كمركز دفاعى فى أيدى الروم ثم الصليبيين من بعد (١٨١) .

دلوك ورعبان ــ عينتاب : دلوك ورعبان كورتان متقاربتان ، فأما **دلوك** فهى مدينة قديمة كانت عامرة ولها قلعة حجرية عالية ، وكان لها قناة ركبت على قناطر يصعد الماء عليها الى القلعة . وقد غدت دلوك وقلعتها خرابا أيام اليعقوبى ولم تعد أن تكون قرية صغيرة يسكنها بعض المزارعين ، وغدت لها اهمية عسكرية فى الحروب البيزنطيـــة فى القرن العاشر الميلادى . ولا يعرف بالضبط اين حصن العرندس الذى يقترن بدلوك ، وربما كان هو Arbadis الذى يذكره ميشيل الســورى وهــو Garabadiso القديم الذى كان جزءا من اقليم مرعش على مسافة ١٥ ميلا رومانيا من دلوك . **ورعبان** بين حلب وسميساط قرب الفرات ، وهى **قلعة تحت** جبل خربتها الزلزلة سنة ٣٤٠ هـ فأعاد سيف الدولة عمارتها . ويعدها البلاذرى وقدامة من العواصم فى حين يعدها ابن خرداذبة من الثغور الجزرية مع دلوك . واهمية رعبان انها على طريق دلوك الى الثغور مارا بكيسوم كما أنها على الطريق العرضى من مرعش الى سميساط فى نفس الوقت ، والى الغرب من هذه المنطقة يمر طـريق حـلب ــ مرعش (١٨٢) . وقد غدت دلوك قرية من مضافات **عينتاب** التى قال عنها ياقوت : « عينتاب قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية ، وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها ، وهى الآن من أعمال حلب » . وبها قلعة حصينة منقوبة فى الصخر ويخرج نهر الساجور من ناحيتها وهى « **مرصد لما تلقى من الأمور الطارقة من بلاد الروم والارمن** » . وقد عد ابن العديم عينتاب من الحصون المستحدثة بعــد الفتح والقائمة أيامه . **ودير سليمان** قرب دلوك يطل على مرج العين وهو فى غاية النزاهة (١٨٣)

---

(١٨١) ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ١٧٦ ، حـ ٢ ص ٤٣٠ ، ٤٤١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ٢٢٢ ، Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 225: 8

(١٨٢) ياقوت : معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٦١ ــ ٢ ، ابن عبدالحق : المراصد حـ ٢ ص٥٣٢ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٤ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٣٠٥ ــ ٦ .

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 232-3, 278.

(١٨٣) ياقوت : معجم البلدان حـ ٦ ص ٢٥٣ ، حـ ٢ ص ١٤٧ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٨ ــ ٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٢١ ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب ص ١٧٠ ــ ١ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ص ٣٦٨ .

الشغر وبكاس : الشغر قلعة حصينة تقابلها بــكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق لهما ، وهما قرب انطاكية • وبــكاس على شاطىء العاصي ولها عين تخرج من تحتها بينها وبين ثغور المصيصة • ويعبر من أحد القلعتين الى الآخر بجسر « وهما فى غاية القوة والمناعة » كما يقول ابن شداد • ويقعان جنوبى انطاكية ويرى فان برخم Van Brechem أن الشغر وبكاس لم يكونا على نهر العاصي ولكن على راقد له ، وكان يفصــل القلعتــين جسر متحرك pont-lébis • وكان هــذا الجسر وجبــل كشفهان يحــددان موضــعا هــاما عنــد مفترق طريقى انطاكية ـ أفامية ، وحلب ـ اللاذقية • ويذكر ابن العديم القلعتين بين القلاع المستحدثة بعد الفتح والقائمة فى أيامه (١٨٤) •

قورس : مدينة بها آثار قديمة باقية وكانت على الدوام مركزا حربيا هاما ، واسمها القديم Cyrrhus قاعدة الاقليم المتسع المسمى Cyrrhestique الذى كان يمتد فى عهد بطليموس الى الفرات • وهى تشرف على الطريق من انطاكية الى الفرات ، والطريق المؤدى الى حلب مارا بعزاز وقويق • فقورس اذن خط دفاع أمامى عن حلب وانطاكية وقد كانت المركز الرئيسى للفيلق العاشر Fretensis ، وقد كانت جزءا من جند قنسرين عند بداية الفتح العربى • وقد ذكر ياقوت أنها كانت وقد خرجت فى أيامه • و قد ورد فى أخبار الفتوح أنها كانت **المسلحة لانطاكية** يأتيها كل عام طائفة من جندها ومقاتلها • ولم تزل فى أيدى المسلمين حتى أخذها هاجوسلين الفرنجى ثم استردها نور الدين • وذكر البلاذرى أن سلمان بن ربيعة نزل حصنا بقورس من العواصم فسمى **حصن سلمان** وقيل نسب الى سلمان بن ابى الفرات بن سلمان أحد الصقالية الذين رتبهم مران بن محمد بالثغور • (١٨٥) •

برزويه : حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق يضرب بها المثل فى جميع بلاد الافرنج بالحصانة • قد عدها ابن العديم من الحصون المستحدثة بعد الفتح والقائمة فى أيامه • وتحيط بها أودية

---

(١٨٤) ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٢٧٨ ، حـ ٢ ص ٢٥٥ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ ــ ١ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٢٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٥ ــ ٦ ، ابن العديم : بغية الطلب ــمخطوط ص ٣٧٢ ،
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 156: 160 .

(١٨٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٦ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ١٧١ ، حـ ٣ ص ٢٨٥ ، ابن الشحنة : الدار المنتخب ص ٢٢٥ ــ٦ ، ابن العديم : بغية الطلب ، مخطوط ص ٣٠٧ .
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 470-1.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides p. 231

من جميع جوانبها ، وعلو قلعتها ٥٧٠ ذراعا • ويذكر أبو الفدا والدمشقى أن بحيرة تفصل ما بين برزوية وأفامية • ويشتغل أهل الجهــة بصيد السمك من البحيرة • ويتفق وصف برزويه مع ماذكره استرابون عن قلعــة ليسياس Lysias • وقد أخلى الحمــدانيون كل القــلاع التى تتحكم فى طريق اللاذقية خاصة برزوية وصهيون عند هجوم الامبراطور جون زيمسكى سنة ٩٧٥ م • وقد كانت برزويه بيد الأفرنج حتى فتحها صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ (١٨٦) •

بيت لاها : حصن عال بين انطاكية وحلب على جبل ليلون كان **فيه ديدبان ينظر فى أول النهار انطاكية فى آخره الى حلب** (١٨٧) •

الجرجومة : مدينة يقال لأهلها **الجراجمة** ، كانت على جبل اللكام بالثغر الشامى عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية . وقد صالح المسلمون الجراجمة عند الفتح على أن يكونوا اعــوانا لهــم ومسالح فى جبل اللكام والا يؤخذوا بالجزية وان ينفلوا أسلاب من يقتلونه من أعداء المسلمين اذ حضروا معهم حربا ، ودخل من كان معهم فى مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط من أهل القرى ومن معهم فى هذا الصلح فسموا **الرواديف** • وكان الجراجمــة يســتيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى (١٨٨) •

دانا : قرية قرب حلب بالعواصم فى لحف جبل لنان ، قديمة ، وفى طرفها دكة عظيمة سعتها سعة ميدان منحوتة فى طرف الجبــل على تربيع مستقيم وتسطيح مستو وسطه قبة فيها قبر مجهول (١٨٩) •

دركوش : حصن قرب انطاكية على نهر العاصى غربى حلب على نحو ٣ مراحل منها يجود بها العنب وتستعمل السواقى فى الرى لعمق الماء • وقلعتها استعصت على هولاكو (١٩٠) •

سلوكية : ذكر فى الفتوح أن الوليد بن عبد الملك أقطع ارضــها

---

(١٨٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ١٢٦ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٧٣ • Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, pp. 152-3.

(١٨٧) ياقوت : معجم البلدان حـ ٢ ص ٣٢٣ •

(١٨٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٦ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ٨٠ ـ ١ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٨١

(١٨٩) ياقوت : معجم البلدان حـ ٤ ص ٢٧

(١٩٠) ياقوت : معجم البلدان حـ ٤ ص ٥٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ١٢١ Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, p. 163.

جنـد انطاكيـة فعمروهـا وجرى ذلك لهـم . ويضيف ياقوت « ولعل السيوف السلوقية والكلاب السلوقية منسوبة اليها (١٩١) ».

شقيف دبين : قلعة صغيرة قرب انطاكية ، **ودبين** ضيعة كالربض لهـا (١٩٢) .

عم (يني شهر) : قرية محصنة ذات عيون جارية وأشجار ، بين حلب وانطاكية في الشمال الشرقي من حارم ، وقد ورد ذكرها في الحروب البيزنطية في نهاية القرن العاشر الميلادي . وقال ياقوت أن كل من بها نصارى . ويصاد فيها السمك ويدور عليهـا رحى ، وكانت تسمى قديما Imma . وقد عانت من الصراع بين الصليبيين والمسلمين . وقد كانت هذه القرية المتواضعة تحرس المنفذ السهل المباشر من العمق الى داخل الشام ، وتتحكم في الوقت نفسه في الطريق الآتية من الشمال والمتجهة الى انطاكية عن طريق جسر الحديد ، ومن هنا كانت أهميتها الاستراتيجية (١٩٤) .

القيبار : حصن بين انطاكية والثغور له ذكر ومنعة (١٩٤) .

موزار : حصن ببلاد الروم ، استجد عمارته هشام بن عبد الملك حين عرض الروم لبعوثه في درب اللكام عند العقبة البيضـاء فعمره مسلحة للمسلمين ورتب فيه ٤٠ رجلا وجماعة من الجراجمة وقد سماه البلاذرى (**موره**) . وبنى هشام كذلك حصن **بوقا** ، كما أقام ببغراس حصنا ومسلحة (١٩٥) .

هاب : قلعة عظيمة من العواصم (١٩٦) .

حجر شغلان : حصن في جبـل اللكام قرب انطاكية مشرف على بحيرة يغرا شمالى حلب على نحو ٣ مراحل منها . قال في مسـالك

---

(١٩١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٥ ، ياقوت معجم البلدان حـ ٥ ص ١١٥ .
(١٩٢) ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ٢٨٤ .
(١٩٣) ياقوت : معجم البلدان حـ ٦ ص ٢٢٤ ـ ٥
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 217
(١٩٤) ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ١٥٢ .
(١٩٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ ، ياقوت : المعجم حـ ٨ ص ١٩٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٨٠ .
(١٩٦) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٤٣٨ .

الإبصار : بالقرب من بفراس في جهة الشمال على مسافة قريبة جداً (١٩٧) .

وهناك اشارات عند ياقوت الى بعض المواضع قرب انطاكية ، يجمل فيها المؤلف ... فيقول مثلا عن جلباط : ناحية بجبل اللكام بين انطاكية ومرعش كانت بها وقعة سيف الدولة بالروم (١٩٨) . والمؤلف قد يعتمد هنا كعادته على ما يرد من المواضع في قصائد الشعراء . كذلك ترد أسماء قرى قليلة الاهمية من أعمال انطاكية والعواصم ، مثل : الحرملية ونيرامان وتل قباسين وما الى ذلك (١٩٩) .

(ب) ـ الثغور الجزرية :

كان اقليم الجزيرة في شمالي ما بين النهرين يعتبر شاملا بوجه عام للمدن والكور التي تحف بضفاف الفرات الاعلى الشرقي والغربي ـ اذ أن لنهر الفرات منبعين . والفرات هو أقصى الاثنين جنوبيا ، ويرى بعض البلدانيين انه منبع الفرات الاصلي ، وقد ذكره بليني وتاكيتوس Pliny Tacitus, باسم Arsanius Flumen وسماه ابن سرابيون في المائة الرابعة (هـ) بنهر ارسناس ، وذكره ياقوت أيضا بهذا الاسم في المائة السابعه (هـ) وقال انه يوصف ببرودة مائة ،وهو يعرف عند الترك اليوم باسم (مرادصو) . ومخرج النهر من بلاد طرون (Daron عند الارمن ، Taronites عند الروم) وفيها الجبال التي الى شمال بحيرة وان . ومن المواضع الهامة عليه ملاذ كرد وصفها المقدسي بأنها حصينة ، وكانت مدينة موش في السهل غربي بحيرة وان وتحسب غالبا من أرمينية . ويصب في يمين نهر ارسناس رافدان ينحدران من الشمال من بلاد قاليقلا وهما الآن جنك صو Gunek — Su ، بري شاي Peri — Chay . وبلاد قاليقلا هي منطقة الجبال بين ارسناس والفرات الغربي ، والى غربها بلاد طرون . وقد ذكر قدامة أن ثغر قاليقلا كالمنفرد لما بينه وبين سائر الثغور من المسافة البعيدة ، وقد عد ابن حوقل قاليقلا من أرمينية الخارجة ، وعدها ابن الفقيه ـ مع همذان وخوارزم ـ أكثر جهات العالم بردا ، وذكر

---

(١٩٧) ابن عبدالحق : المراصد : جـ ١ ص ٢٨٣ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٤

(١٩٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٤٠ .

(١٩٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٥٤ ، ابن عبد الحق : المراصد : جـ ٣ ص ١٣٦٧ ، جـ ١ ص ٢٧٤

ياقوت انها من نواحي أرمينية الرابعة . وذكر ابن سرابيون ان أول الفرات الغربي من جبل اقردخس شمالي **أرزن الروم أو أرض الروم** (Karin عند الارمن ، Theodosiopolis عند الروم) ـ وهي المدينة الاسلامية في بلاد قاليقلا وأكبر مدنها . والظاهر ان اسم قاليقلا ـ الذي أكثر البلدانيون العرب القدماء من مناقشته ـ غير معروف ، الا أنهم يجمعون على انها كانت البلاد التي يخرج منها الفرات الغربي ونهر الرس Araxes وروافد ارسناس . ولم يأت البلدانيون العرب الاول بشيء عن مدينة أرزن الروم عدا قولهم انها كانت مدينة عظيمة . وعلى نحو مائتي ميل في غربهـــا على ضفة الفرات اليمنى ـ أي الشمالية ـ مدينة **ارزنجان . واونيك** قلعة عظيمة فوق قمة جبل قرب أحد منابع نهر الرس (٢٠٠) .

شمشاط : أجل مدينة على نهر آرسناس الذي سماه ابن سرابيون نهر شمشاط ، ويبدو أنها كانت على الضفة الجنوبية أي اليسرى للنهر ، وهي Arsamosata عند الروم، ويصب عند أسفلها وأعلاها رافدا ارسناس (جونك‌صو) و (بري‌شاي) . وذكر الاصطخري **ان شمشاط هي ثغر الجزيرة على الحقيقة ، اذ اعتبر ملطيه من ثغور الشام** . وذكر ياقوت انها « مدينة بالروم على شاطيء الفرات ، شرقيها بالويه وغربيها خرتبرت ـ وهي الآن محسوبة من أعمال خرتبرت .. وشمشاط الآن خراب ليس بها الا اناس قليل ، وهي غير سميساط وكلاهما على الفرات : الأولى في طرف ارمينية والثانية من أعمال الشام » . **وخرتبرت** مدينة ارمينية تعرف اليوم باسم خربوط ، واسمها العربي عند ياقوت **حصن رياد** الذي ذكر ابن خردادبة انه على بعد غير كبير من شمشاط . وذكر البلاذري وغيره من المصنفين الأوائل ان في هذه المنطقة **جسر يغرا** فوق نهر لعله من روافد ارسناس ، وهو من شمشاط على نحو من ١٠ أميال . ويختلط نهر ارسناس ـ أي الفرات الشرقي ـ بالفرات الغربي على نحو مائة ميل غربي شمشاط(٢٠١)

كمخ : قلعة على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسفل أرزنجان ، في يسار النهر ـ أي في ضفته الجنوبية . ذكرها البلدانيون العرب الاقدمون،

---

(٢٠٠) لي سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٤٧ : ١٥٠ ، ياقوت معجم البلدان جـ ١ ص ١٩٠ ـ ١ ، جـ ٧ ص ١٧ ، جـ ٨ ص ١٩٥ ، قدامة: نبذ من كتاب الخراج ـ ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٤ ـ ٥ Canard: Hist. de la Dyn. des Hamdanides. pp. 244-5.

(٢٠١) لي سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٤٩ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٩٢ وما بعدها ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ٥٣ ، ياقوت معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٩٣ ـ ٤ ، جـ ٣ ص ٢٨٥ .

وهي Kamcha عند الروم • وعلى ستين ميلا أو أكثر في غربها ينحرف الفرات جنوبا بعد أن كانت وجهته من أرزن الروم نحو الغرب ، ويصب في ضفته اليمنى نهر سماه ابن سرابيون **نهر ابريق** نسبة الى القلعة فى أعاليه ، وهو نهر (جلته ايرمق) الآتي من دوريك، وكتبه المستوفي دفريكى ـ وهو عند الروم Tephrike وفى المخطوطات اليونانية Aphrike ومن هنا جاءت تسمية **ابريق** • واشتهر هذا الموضع فى ختـــام المائة الثالثه بأنه معقل البيالقة الذين استولوا على تفريك وحصنوها ، وكانوا فرقة خارجة على المذهب الرسمى فى القسطنطينية فاضطهدهم البيزنطيون فتعاونوا مع المسلمين • ويقول قدامة عن البيالقة انهم يسكنون في مواجهة الثغور الجزرية « وهم من الروم الا انهم يخالفونهم في كثير من أديانهم ، وكان هؤلاء مع من المسلمين يعينـــونهم فى غزواتهم الى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع باساءة أهل الثغور معاشرتهم فتفرقوا فى البلاد وسكن مكانهم هؤلاء الارمن وابتنوا الحصون المنيعة ثم صارت لهم العدة الكثيفة » ويسمى ياقوت الموضع الابروق • (٢٠٢) •

ملطية : Melitene عند الروم ، كانت فى الأزمنة الحالية من أجل الثغور الاسلامية أمام الروم وقد ذكر قدامة عن ثغر ملطية « وهو الخارج فى بلد العدو من جميع هذه الحصون وكل واحد بينه وبين العدو درب وعقبة وثغر ملطية مع بلد العدو فى بقعة وأرض واحدة ، وكان يواجه هذه الثغور ـ الجزرية ـ ويقابلها من بلد الروم خرشنة وعمل الخالدية » • وقد كان لسهل ملطية فى جنوبى المجرى الادنى لنهر قباقب أهمية خاصة **فهو يقع بين المنطقتين الشمالية والوسطى للحدود الاسلامية البيزنطيـة حسب تقسيم كانار • ويعتبر نقطة التقاء طرق عدة ومفتاحا لمدخل آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ، ولمدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش البيزنطيين القادمة من الغرب ، وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية مثل وادى قباقب (تخماصو Tokhma — Su) الذى يسير الى سمنلوتز زامندوس ، سلطان صو قراقيس الرافد الأيمن لتخماصو الذى يشـق طرقه فى عمق بين الصـــخور جنوبى ملطية الى زبطرة ، ونهر الجرجرية الذى يصعد فى اتجاه سبسطية (سيواس) ، ثم وادى الفرات ومعابرة الى هنزيط Anzitene والجزيرة • واقليم ملطية على** رخاء واسع لجودة ريه ، وقد أطرى ابن حوقل حقوله وبساتينه • وتقع

---

(٢٠٢) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فونسيس وعواد ص ١٥١ ، قدامة : نبذ من كتاب الخراج ـ ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٤

ملطية القديمة الى الشمال قليلا من اسكى شــهر ، وقد اعتنى المنصور بشحنها وتحصينها ٠

وروى البلاذرى أنه كانت لها مسلحة تحمى الجسر الذى على ٣ أميال مُنها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القباقب قرب ملتقاه بالفرات ٠ **والقباقب** عند الروم هو Melas ومنبعه فى غربى ملطية بعيدا عنها فى الجبل الذى يخرج منه نهر جيحان ، وهو وصف الاصطخرى مدينة ملطية فى المائة الرابعة (هـ) بأنها مدينة كبيرة تحف منها الجبال ورآها من أكبر الثغور دون جبل اللكام ، وقد اعتبرها من ثغور الشام لا الجزيرة ٠ وقال ياقوت عنها : « بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين ٠ قال خليفة ابن خياط : في سنة ١٤٠ هـ وجه المنصـــور عبد الوهاب بن ابراهيم الامام العباسى لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس وغزا الصائفة ٠ ذكرها المتنبى فقال : ملطيـــة أم للبنين ثكول ٠٠ وقد فتحها الدمستق سنة ٣٢٢ هـ وهـــدم ســـورها وقصورها » ، وقد تكلم ا لمستوفي بعد ياقوت بقرن عن ملطية فقال انها مدينة حسنة ذات حصن منيع ٠ وكانت مراعيها مشهورة يكثر فيها القمح والفواكه والقطن ٠ أما أبو الفدا فقد رأى فى زمنه أن الأريق عدها من بلاد الروم ٠ وعلى قمة جبل قرب ملطية دير برصوما ٠ **وقلوذية** Claudias حصن قرب ملطية هدم ثم أعاد بناءه الحسن بن قحطبة سنة ١٤١ هـ أيام المنصور ٠ ويذكر لها كانار تســـمية أخرى هى جرجر Gerger أو كركر Kerker (٢٠٣) ٠

حصن طرنده (درندة Derrende) : روى الواقدى أن المسلمين نزلوا طرندة بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ هـ (٧٠٢م) وهى داخلة فى بلاد الروم ، وبنوا بها مساكن وملطية ــ التى على ثلاث مراحل منها ــ يومئذ خراب ٠ ثم نقل عمر بن عبد العزيز أهل طرندة

(٢٠٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٣ ، قدامة : نبذ من كتاب الخراج ــ ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٤ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ٥٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٥ ــ ٦ ، ياقوت معجم البلدان حـ ٨ ص ١٥٠ ، حـ ٧ ص ١٥٢ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٨٤ ــ ٥ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٣١ ــ ٢ ، ابن الشحنة الدار المنتخب ص ١٩٥ ٠

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, pp. 262, 264-5.

(٢٠٤) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٣ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٤ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٦ ص ٤٦ ، القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٣٢ ٠

الى ملطية اشفاقا عليهم فخربت • وتقع طرندة في أعالى نهر القباقب غربى ملطية ، وذكرت فى التواريخ البيزنطية باسم Tarenta وكانت من أقوى حصون البيالقة (٢٠٤) •

زبطرة : في أعالى نهر قراقيس رافد قباقب الذى يصب فى جنوبه ، ويقال له عند الروم Sozopetra, Zapetra • وتقع زبطرة فى سهل محيط بالجبال على مرحلتين الى الجنوب الغربى من ملطية وعلى مسيرة يومين الى الشمال الغربي من حصن منصور • وقد قال عنها ابن شداد انهـــا بين ملطية وسميساط فى طريق بلاد الروم • ويحدد اندرسن Anderson موقعها الحالى بمدينة فيرانشهر قرب منابع (سلطان صو وهو قراقيس) و (جوك صو) جنوب النهر الازرق فى موضع يتفق مع الوصف الذى أورده أبو الفدا • وقد كان امتلاك زبطرة يفتح الطريق الى ملطية • وقد ذكر البلاذرى أن زبطرة « كانت حصنا قديما روميا ففتح مع حصن الحدث» ، وهى من أقرب الثغـــور الى بلاد الروم ، خربه الروم غير مرة ، وقـــد بناه المنصور والمأمون • واشتهرت زبطرة فى التاريخ باستيلاء تيوفيل عليها واستعادة المعتصم لها • وقد ذكر قدامة أن زبطرة كانت تلى الثغور الجزرية « فخربت أيام المعتصم •• فلمـــا انتهى الى موضـــع زبطرة بنى مكانها وبالقرب منهـــا حصونا لتقوم مقـــامه : وهى الحصن المعروف بطبارجى والحصن المعروف بالحســـينية والحصن المعروف ببنى المـــومن والحصن المعروف بابن رحوان ، ثم يلى هذه الحصون ثغر كيســـوم ثم ثغر حصن منصور ثم ثغر شمشاط ثم ثغر ملطية ••• » • ومواضع الحصون الاربعة التى حلت محل زبطرة غير معروفة ، وحين زار أبو الفدا زبطرة سنة ٧١٥ هـ ذكر أنها كانت خرابا ، وقال ابن شداد انها فى زمنه كانت قرية • على ان زبطرة ظلت محتفظة بشىء من أهميتها فقـــد اســـترجعها باسيل الاول وكانت لها أهمية فى القرن العاشر الميلادى (٢٠٥) •

الحدث : وهى Adata عند الروم استولى عليها المســـلمون أيام عمر ، وقال البلاذرى ان درب الحدث سمى بدرب الســـلامة فى العصر الأموى توقيـــا للطيرة ، غير أن درب الســـلامة يطلق غالبـــا على طريق

---

(٢٠٥) لى سترينج بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٣ ـ ٤ ، البلاذرى: فتوح البلدان ص ٢٠٠ الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٤ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٧٤ ـ ٥ ، ابن الشحنة : الدار المنتخب ص ١٩٤ ، قدامة : نبذ من كتاب الخراج ـ ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٣ ـ ٤ ،

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, p. 267.

القسطنطينية الذى يجتاز الابواب القيليقية . ونوه الاصـــطخرى بكثرة خيراتها ، وذكر ياقوت انها « قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور ، ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعا حمراء ، وقلعتها على جبل الأحيدب » . وربما سميت بالحمراء تمييزا لها عن الحدث الأخرى الموجودة فى صحراء تدمر _ كما يذهب كانار وتسمى حدث الزقاق . وكان الحسن بن قحطبة قد غزا الثغور فلما قدم على المهدى أخبره بما فى بناء طرسوس والمصيصة من المصلحة للمسلمين فأمر ببناء ذلك وأن يكون البدء بالحدث وذلك سنة ١٦٢ هـ . وكان بناؤها باللبن ، « قال الواقدى : ولما بنيت الحدث هجم الشتاء وكثرت الأمطار ولم يكن بناؤها وثيقا فهدم ســـور المدينة وشعثها ونزل بها الروم .. ثم ولى الخلافة الرشيد فدفع عنهـا الروم وأعاد عمارتها وأسكنها الجند .. وكان لسـيف الدولة به وقعات وخربته الروم فعمره سنة ٣٤٣ هـ » . ونهر الحدث يسمى **حوريث** ، قال عنه ياقوت « انه يصب فى نهر جيحان » ، ويفيد ابن سرابيون انه يصب الى حوريث نهر العرجان . ولعل الحدث كانت تحمى الدرب من مرعش Germanicia الى **البستان** وهى تسـمية عربية متأخرة لأبلستين على الضفة اليسرى لجيحان قبل التقائه بروافده الآتية من جبـــال طوروس الداخلية واسمها البيزنطى Ablastha واليونانى Arabissos . **ولم يكن ممر درب الحدث (مرعش _ البستان) مطروقا كممر الابواب الكيليكية التى تقوم على مدخله طرسوس.** وقد ذكر البكرى أن **عربسوس** «من ثغور والجزيرة ، تلقاء الحدث» وأورد ماذكره البلاذرى من أن عمير بن سعد ذكر لعمر بن الخطاب : ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وانهم لا يخفون عن عدونا من عوراتنا شيئا ، فقال له عمر : اذا قدمت عليهم فخيرهم بين أن تعطيهم مكان شاة شاتين ومكان شىء شيئين فان رضوا فأعطهم وخربها ، فان أبو فانبذ اليهم وأجلهم سنة ثم خربها ، « فانتهى عمير الى ذلك ، فأبوا ، فأجلهم سنة ، ثم أخربها » . وكانت عربسوس أهم مركز حربى فى كتاؤنيا Cataonia ، وتقع بين رافدين لنهر جيحان آتيين من جبال طوروس الداخلية . وقد انتقلت أهمية عربسوس الى البســـتان (الابلستين) المجـاورة لهـا شرقا فى عصر الحروب الصليبية وورثت مهمتها فى حماية ممر الحدث _ مرعش . وبين عربســـوس أو الابلستين وبين مرعش توجد **ممرات عدة فى** طوروس وذكرت فى القرن.

١٠م ولا يمكن تحديد مواقعها بالضبط ، مثل : درب الجوزات فى منطقة الحدث ودرب مغارة الكحل ٠ (٢٠٦)

حصن منصور : على أحد الروافد اليمنى للفرات ويصب فيه أسفل سميساط ، وفى الشمال الغربى منه ينحدر النهـــر الأزرق ، ويحاذى الفرات حده الجنوبى ، ويقع الحصن فى أرض مســـتوية على مقربة من الحصن القديم Perrhe ٠ وذكر ابن حوقل أن حصن منصور مدينة حصينة أصابها ما أصاب الثغور من جراء الهجمات المتبادلة للمسلمين والروم ٠ وقال ياقوت عن الحصن : «من أعمال ديار مضر ، لكنه فى غربى الفرات قرب سميساط ٠ وكانت مدينة عليها سور وخندق و ٣ أبواب ، وفى وسطها حصن وقلعة عليها سوران ٠ ومن حصن منصور الى زبطرة مرحلة ٠ وهو منسوب الى منصور بن جعونة، كان تولى بناء عمارته ومرمته وكان مقيما به أيام مروان ابن محمد ليرد العدو ومعه جنـــد كثيف من أهل الشام والجزيرة وأرمينية ٠٠ ثم ان الرشيد بنى حصن منصـــور وأحكمه وشحنه بالرجال فى أيام أبيه المهدى » ٠ وقد ذكر أبو الفدا فى المائة الثامنه ان هذا الموضع خراب ولكن به مزدرع ٠ (٢٠٧)

بهسنا : على أحد الروافد اليمنى للفرات الذى يصب أسفل سميساط وهى فى غربى حصن منصور ورستاقها رستاق كيسوم ، على سن جبل عال ٠ وذكر ياقوت انها « قلعة حصينة عجيبة بقرب مرعش وسميساط » ويذكرها ابن العديم بين الحصون المستحدثة بعد الفتح والقائمة أيامه ٠ وقد ورد ذكرها فى أخبار الحروب الصليبية باسم Behesdin ٠ وعلى نهر سنجة Singas القريب منها قنطرة مشهورة من حجر مهندم وهى طاق واحد « ليس أعجب ولا أعظم منها ، ويضرب بها المثل وهى احدى عجـــائب الدنيا » ـ على قول ابن حـــوقل ، وهى من بنـــاء فسباســـيان

---

(٢٠٦) لى سترينج ، بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٤ ـ ٥ ،البلاذرى فتوح البلدان ص ١٩٧ ـ ٨ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ٢٣١ ـ ٢ ، البكرى : معجم ما استعجم حـ ٢ ص ٦٥٦ ، ابن الشحنة : الدر المنتخم ص ١٦٤ ، ١٩٣ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٨٨ ، ٣٧٥ ٠

(٢٠٧) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٥٥ ـ ٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٠ ـ ١ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٣ ص ٢٨٦ ـ ٧ ابن الشحنة الدر المنتخب : ص ١٩٥ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٨ ـ ٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٩٧

Canard : Hist. de la yn. des Hamdanides. p. 268.

Vespasian • وقد وصف الجغرافيون اللاحقون بهسنا « فى (تقويم البلدان) قلعة حصينة مرتفعة لا ترام حصانة ، فى الغرب والشمال من عينتاب • قال فى (التعريف) : وهى الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل فى جمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والاكراد ، ولا يزال لهم أثر فى الجهاد » • **ويحمون** قرية من أعمال بهسنا ـ من أعمال كيسوم بين الروم وحلب • »(٢٠٨)

مرعش : يسميها الروم Marasion ، قيل انها قامت فى موضع جرمانيقية Germanicia ، « مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم ولها سوران وخندق ، فى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بنـــاه مروان بن محمد • ثم أحدث الرشيد بعده ســـائر المدينة ، وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلى باب الحـدث » • **وتمتد سلسلة طوزوس فى منطقة كوماجين Commagene صوب الجنوب الغربى بالقرب من مرعش فى مواجهة سفوح امانوس وبينهما سهل عرضه ١٠ كيلو مترات ويمكن اصابته بسهولة من الجنوب و الشرق والغرب مما يجعله يؤدى نفس دور سهل ملطية فى الطرف الآخر من السلسة ومن هنا كانت أهمية مرعش • وكان طريق الشمال الغربى والشمال تقفله طوروس وطوروس الداخلية ، ولا تقدم شواطىء جيحان فى أعلى مرعش سوى ممرات تعترضها كثير من العقبات** • وقد حاصرت الروم مرعش فى أيام مروان بن محمد عنــدما اشتغل بمحاربة أهل حمص وأخربوها ، فلما فرغ مروان بعث جيشـــا مع الوليد بن هشام سنة ١٣٠ هـ فبناها ، ثم اتتها الروم وأخرجتها ثم ابتناها صالح بن على فى خلافة المنصور وندب الناس اليها ، ثم أخرجتها الروم فبناها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ • واستولى عليهــــا الصــــليبيون سنة ٤٠٠هـ ١٠٩٧) ثم صـــارت مدينة ذات شـــأن من مدن مملكة أرمينية الصغرى (٢٠٩) •

كيسوم : قرية مستطيلة من أعمال سميساط فى جنوب بهسنا على

ا

(٢٠٨) لى ســــترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنســـيس وعواد ص ١٥٦ ، ابن عبد الحق : المراصد حـ ١ ص ٢٣٤ ، حـ ٢ ص ٧٤٥ ، حـ ٣ ص ١٤٧٥ ، ابو الفدا تقويم البلدان ص ٢٦٤ ـ ٥ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٢٠ ـ ١ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧١ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٣٧١ •

(٢٠٩) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٦ ـ ٧ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٢٥ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩١ ـ ٢ ، ابن العديم بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٨٥
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 270

نهر كيسوم على ٧ فراسخ من الحدث ، وفيها حصن كبير على قلعة كان نصر بن شبث تحصن فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن طاهر فأخرجه ثم أحدث فيها مياها وبساتين • قال ابن شداد : ذكرها ابن أبى يعقوب وعدها فى كتاب (البلدان) من العواصم ، وكانت مدينة كبيرة قديمة وولاية واسعة عظيمة وكان حصنها حصينا وبناؤها قويا ركينا • واعتبرها ابن خرداذبة من الثغور الجزرية • وهى تتحكم فى نقطة هامة على الطريق الى بهسنا ، وقد ورد ذكرها فى كتاب الحرب المهدى الى نقفور فوقاس De Velitatione Bellica de Nicephore Phocas •

ويضيف ابن خرداذبة كذلك **سلغوس** الى الثغور الجزرية ولا يمكن تحديد موضعها بالضبط ، وقد اكتفي ياقوت بذكر غزو المأمون لها وقال انها بعد طرسوس • ويتابع فازيلييف ابن خرداذبة • ويذكر البلاذرى سلعوس ـ بالعين ـ وهذه على الأرجح باقليم الرها بالجزيرة وليست من الثغور (٢١٠) •

كركر : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) ، فى الشمال عن حلب على نحو ٥ مراحل « قال فى (تقويم البلدان) هي قلعة حصينة شاهقة في الهواء يرى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها في جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور زمن التتار » (٢١١) •

سميساط : يسميها الروم Samosata على ضفة الفرات اليمنى اى الشمالية وعندها ينحرف النهر ، وكانت قلعة حصينة مكينة • وذكر المسعودى أن سميساط كانت تعرف أيضا بقلعة الطين ، وذكر ياقوت أنها « مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات ، ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن ومالكها فى هذا الزمان الأفضل على الأيوبى ذكرها المتنبى فى قوله : •

ودون سميساط المطامير والملا ... واودية مجهولة وهو أجل

ويدخل قدامة « سميساط وحاني وملكين ، وحصونا منها جمح وحوران والكلاس وغيرها » في نطاق ما اسماه بالثغور البكرية ، نسبة

---

(٢١٠) ياقوت : معجم البلدان حـ ٧ ص ٣٠٦ ، حـ ٥ ص ١٠٨ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩٧ ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٣٠٩ ، ، فازيلييف : العرب والروم ترجمة دكتور شعيرة ص ١٠٧
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 269

(٢١١) ابن عبد الحق : المراصد حـ ٣ ص ١١٥٩ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٤ ـ ٥ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٢٠

الى **ديار بكر** · وموقع **خانى** عند منبع وادى كلب (انجارشاى) بين ميافارقين وآمد ، ومخرجه كما يقول ياقوت من موضع يعرف بهلورس حيث استشهد القائد العباسى على الأرمنى فى قتال الروم · وتتحكم **خانى** فى طريق القوافل بين ديار بكر وأرزن الروم ، اذ توجد فى أسفل الجزيرة من ناحية وفى المنطقة التى ينبع منها الفرع الأيسر لدجلة ويفتح طريقا للمواصلات مع وادى أرسناس من ناحية أخرى · وأما **ملكين** فهى على الشاطىء الأيمن لزيبين صو Zibene Su (الفرع الشرقى لدجلة) حيث ينحنى ويتجه جنوبا · ولا يعرف بالضبط موقع **حوران** التى ذكرها قدامة · **وهناك حصن ذى القرنين** الذى يتحكم فى ممر جبل طوروس فى الشمال ، ويذكر ياقوت زواية تقول ان مخرج دجلة من جبل قرب آمد عند هذا الحصن « من تحته تخرج عين دجلة ثم كلما امتدت انضم اليها مياه جبال ديار بكر حتى تصير بقرب البحر مد البصر » · **وتعد سميساط تارة من الثغور وأخرى من العواصم وهى موضع استراتيجى ومعبر هام للفرات ، وعندها تلتقى الطرق المتجهة الى الغرب الآتية من الجزيرة والرقة عن طريق سروج ، ومن آمد عن طريق الرها (ادسا) ، ومنها تسير الطرق المتجهة الى ملطية ومرعش ودلوك ·**

ولم تزل سميساط فى أيدى الروم حتى قصدت الروم الثغور سنة ٣١٨ هـ فدخلوا سميساط واستعادها المسلمون · ثم ان الدمستق بعد أخذه ملطية قصد سميساط فأخذها (٢١٢) ·

قلعة الروم : يقول عنها ياقوت « قلعة حصينة فى غربى الفرات مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط ، بها مقام بطرك الأرمن ويسمونه بالأرمينية كتاغيكوس · وهذه القلعة فى وسط بلاد المسلمين وما أظن بقاءها فى يد الارمن مع أخذ جميع ما حولها الا لقلة جدواها فانه لا دخل لها ، وأخرى لأجل مقام رب الملة عندهم كأنهم يتركونها كما يتركون البيع والكنائس فى بلاد الاسلام » · وذكر القلقشندى ان اسم القلعة صار (قلعة المسلمين) ، وذكر انها فى البر الغربى الجنوبى من الفرات وعلى نحو خمس مراحل شمال حلب ، وفى الغرب عن البيرة على نحو

---

(٢١٢) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٤٠ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٦ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ١٢٨ ، حـ ٤ ص ٣٨ ـ ٩ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩٨ ـ ٩ ، قدامة : نبذ من كتاب الخراج ـ ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٤ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. pp. 254: 7, 265-6.

مرحلة ، والفرات بذيلها ، وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك فتحها الاشراف خليل بن قلاون (٢١٣) ٠

البيرة : تشترك عدة مواضــــع في هذا الاسم ، منها بلد قرب سميساط ولها رستاق وقرى ٠ وذكر القلقشندى أنها شرقي قلعة الروم بمرحلة والفرات بينهما ، وقلعتها على صخرة ولها منعة وعسكر ٠ (٢١٤)

الكختا : شمالى شرقي حلب على نحـو خمس مراحل منها ، وهى قلعة عالية « لا ترام حصانة » ، وملطية عنها في الغرب على مســـيرة يومين ، وكركر منها في الشرق ٠ وكانت أحد ثغور الاســلام في وجوه التتر (٢١٥) ٠

العين : قرية تحت جبل اللكام قرب مرعش واليها ينسب **درب العين** النافذ الى الهارونية ٠ **وأودن** قرية تحت جبل بين مرعش والفرات (٢١٦)

(ح) الثغور الشامية :

عين زربى : (عين زربة) وعرفها الصليبيون باسم Anazarbus وقد كانت عاصمة الاقليم الرومانى فى كيليكيا ٠ ووصفها الاصطخرى بقوله: « بلد يشبه مدن الغور بها نخيل وهى خصبة » ، وكان لها سور مكين فى المائة الرابعة (هـ)٠وذكرت ياقوت : «بلد بالثغر من نواحى المصيصه٠قال ابن الفقيه : كان تجديد زربى وعمارتها على يد أبى سليمان التركى فى حدود سنة ١٩٠ هـ وكان قد ولى الثغور من قبل الرشيد ٠٠ قال الواقدى : لما كانت سنة ١٨٠ هـ أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربى وتحصينهـــا وندب اليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم وأقطعهم بها المنازل ٠ ثم لما كانت أيام المعتصم نقل اليها والى نواحيها قوما من الزط الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهل الثغر بهم ٠٠ ثم استولى عليها الروم فخربوها ، فأنفق سيف الدولة عليها ثلاثة آلاف الف درهم

---

(٢١٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ١٥٠ ـ ١ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٨ ـ ٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١٩ ـ ٢٠ ٠

(٢١٤) ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ٢٤٠ ـ ١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٨ ـ ٩ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٣٧ ـ ٨

(٢١٥) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٢ ـ ٣ القلقشـــندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٢٠ ٠

(٢١٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٥٠ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ١٢٩

حتى أعاد عمارتها ، ثم استولى الروم عليها فى أيام سـيف الدولة .. وأهلها اليوم أرمن وهى من أعمال ابن ليون » . ووصف أبو الفداء المدينة فقال : بلد فى جبل ذات قلعة مستعلية عنها ، وهى على مسيرة يوم جنوبى سيس ، وفى جنوبها نهر جيحان . وفى المائة الثامنة (هـ) غير الناس اسمها وسموها زاورزا .(٢١٧)

سيس أو « سيسيه » : توصف بالحصـن ، وتقع بين انطاكيـة وطرسوس ازاء عين زربى وتبعد حوالى ٦٠ كيلو مترا عن أذنه والمصيصة، وكان بها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمنى . قال الواقدى: جلا أهل سيسيه ولحقوا بأعالى الروم سـنة ٩٤ أو ٩٣ هـ وخربت ثم عمرت فى خلافة المتوكل على يد يحيى بن على المتوكل ، ثم أخربتها الروم فعمرت فى خلافة أحمد بن المعتمد سنة ٢٦٠ هـ على يد ابن بغا الصغير . وقال ابن فضل الله : سيس ما بين حلب والروم ، وبلادها بعضها أغوار بساحل الجبل وهى من العواصم . وقد افتتحت سنة ٧٧٦ هـ فى سلطنة الاشرف شعبان بن السلطان حسن وفرضتها اياس حصن على شـاطىء البحر بيد الارمن ، واستعيدت أيام الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٣٨ هـ . (٢١٨)

الهارونية : لا يعرف موضع الهارونية والكنيسة على وجه الدقة ، الا أنهما تقعان فى الجبال بين مرعش وعين زربى . والهارونية على مرحلة غربى مرعش ، كما هى غربى جبل اللكام فى بعض شعابه ـ وهذه تسمية البلدانيين المسلمين لسلسلة جبال (انتى طوروس) . ووصف ابن حوقل الهارونية بأنها فى غاية العمارة وقلعتها حصينة خربتها الروم . بينمـا قال ياقوت انها « مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية فى طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد ... ويقال انه بناها فى خلافة أبيه المهدى وتمت فى أيامه .. وعليها سوران وأبواب حديد ثم خربها الروم فارسل سيف الدولة فأعاد عمارتها وهى اليوم من بلاد ابن ليون الأرمنى»

---

(٢١٧) لى ستريتج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦١ ، البلاذرى: فتوح البلدان ص ١٧٨ ـ ٩ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ياقوت معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٥٤ ـ ٥ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب : ص ١٨٥ أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٠ ـ ١ ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ١٣٠
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 280.

(٢١٨) ياقوت : معجم البلدان حـ ٥ ص ١٩٧ ـ القلقشندى : صبح الأعشى حـ ٤ ص ١٣٣: ٥ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٩ ـ ٩٠ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٦ ـ ٧ ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٧٨ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 280.

وذكر القلقشندى ان « الهارونيتين حصنان بناهما الرشيد ٠٠ والهارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالثغور الجزرية ، وبينهـــا وبين الكنيسة السوداء ١٢ ميلا » ٠

والكنيسة السوداء : حصن منيع قديم ، بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذرى ٠ والظاهر كانت جنوبى نهر جيحان اذ ذكر الاصطخرى أنها « ثغر فى معزل من شط البحر » ، وقال ياقوت « بلد بثغر المصيصة سميت السوداء لأنها بنيت بحجارة سود بناها الروم قديما وبها حصن منيع قديم أخرب فيما أخرب منها ، ثم أمر الرشيد ببنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها وندب اليها المقاتلة وزادهم فى العطاء » ٠ وقال ابن شداد : أغارت الروم عليها فأحرقتها فسميت المحترقة ٠ وقد آلت الى مملكة أرمينية الصغرى (٢١٩) ٠

نقابلس : يمكن عبور جبـــال أمانوس عند الأبواب الســـورية Pylae Syriennes أو مضيق بيلان حاليا فى عـدة مواضع : منهـــا الاسكندرونة ، وهناك موضعان أحدهمــــا فى الشمال منها والآخر فى الشمال من بياس ٠ وفى أقصى الشمال يمكن العبور عند نقابلس واسمها القديم Nicopolis وتسمى حاليـا (اصلاحية) على الجانب الشرقى من أمانوس وهى نقطة التقاء طريق انطـــاكية ـ مرعش بالســـفح الشرقى للســـلسلة والطريق من كيليكيا الى دلوك ٠ وعن طريق ســـهل نقابلس فى شمالى منابع (قره صو) يمكن المرور بسهولة الى الجانب الآخر والوصول الى واد يشقه رافد لجيحان ٠ (٢٢٠)

المثقب : موضعها الحقيقى غير معروف الا أنها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة ويعينها كانار عند الزاوية الشمالية لخليج اسكندرونة ٠ قال ياقوت : « حصن على ساحل البحر قرب المصيصة ـ فى جبال كلها مثقبة ، فيــه

---

(٢١٩) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعـــواد ص ١٦١ ـ ٢، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٨ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ياقوت ، معجم البلدان جـ ٨ ص ٤٣٩ ، جـ ٧ ص ٢٨٨ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٥ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١٣٦ ـ ٧ ، ابن الشحنة الدر المنتخب ص ١٨٦ ـ ٧ ، ابن العديم بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٧٧ ٠

(٢٢٠) Canard: Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 279.

كوى كبار كان أول من بناه هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الانطاكى . (٢٢١) .

المصيصة : Mopsuestia ، المصيصة وأذنة وطرسوس من بناء الروم . ويقول ياقوت عن المصيصة : « مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، وهي الآن بيد ابن ليون وولده منذ أعوام كثيرة وكانت من مشهور ثغور الاسلام قد رابط بها الصالحون قديما وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان ، وكانت ذات سور وخمسة أبواب » . فتحها عبد الله ابن الخليفة عبد الملك الأموى فى القرن الأول وبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكانا من الجند الأشداء ، وبنى مسجدا فوق تل الحصن ، وكان فى الحصن كنيسة جعلت هريا . وبعد وقت قصير نشأ فى الجانب الآخر (الأيسر) من جيحان ربض أو مدينة ثانية سميت **كفربيا** قال عنها ياقوت : « مدينة بازاء المصيصة على شاطىء جيحان ، وهى فى بلاد ابن ليون اليوم . وكانت مدينة كبيرة ذات أسواق كثيرة وسور محكم وأربعة أبواب . كانت قد خربت قديما ثم جدد بناءها الرشيد ، وقيل بل ابتدأ ببنائها المهدى ثم غير الرشيد بناءها وحصنها بخندق ، ثم رفع المأمون غلة كانت على منازلها كالخانات وأمر فجعل لها سور فلم يستتم حتى مات ، فأمر المعتصم باتمامه وتشريفه» وقد سمى ابن شداد المصيصة بغداد الصغيرة . وهذا وقد أنشأ مروان الثانى ربضا ثالثا فى شرقى جيحان يقال له **الخصوص** وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقا . وكان بين كفربيا والمصيصة قنطرة . ولما استخلف المنصور عمر مدينة المصيصة سنة ١٣٩ هـ بعد أن نالت منها الزلازل فسميت **المعمورة** . وقد ذكر اليعقوبى أن المنصور بنى المصيصة فى خلافته وكانت قبل ذلك مسلحة ، كما نقل ابن العديم ـ عن الحسن بن أحمد المهلبى العزيزى من كتابه المسالك والممالك الذى وضعه للعزيز الفاطمى أن المصيصة كانت تسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت جانبين على النهر « وكان بها من أهلها فتيان فرسان ظرفاء شجعان . قال: فأما خاصيات الثغر فانه كان يعمل الفراء المصيصية تحمل الى الآفاق وربما بلغ الفرو منها ثلاثين دينارا ويعمل بها عيدان السروج التى يبالغ بثمنها الى هذه الغاية ولم يكن على وجه الارض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز

(٢٢١) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٢ ، البلاذرى فتوح البلدان ص ١٧٤ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٣٨٣ ، ابن الشحنة الدر المنتخب : ص ١٨٩ ، ابن العديم ، بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٧٧ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 278.

لكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل بالثغور • ورويت أحاديث في فضل المصيصة » •

وانتقلت المصيصة بعد ذلك كسائر البلدان المجاورة لها الى أيدي ملوك أرمينية الصغرى • ومن المصيصة حتى مصب جيحان بعد ٤ فراسخ يكثر السكان وتزدهر الزراعة والتجارة • وقبل المصب يتفرع جيحان فرعين • ولعل **فندق الحسين** كان الى الشرق من المصيصة وقريبا منهـــا وهو في موقع بين الاسكندرونة والمصيصة•وعلى طول جيحان : **مرج الديباج** والاسم يدل على كثرة النبات في هذا الاقليم الخصب الغني • (٢٢٢)

بياس : مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصلصة قريبـــة من البحر ، بينها وبين الاسكندرونة فرسخان ، قريبة من جبل اللكام • قال ابن شداد : صغيرة حصينة (٢٢٣) •

التينات : فرضة على بحر الشام تجهز منها المراكب بخشب الصنوبر وهي بين بياس والمصيصة (٢٢٤) •وهي قريبة من ميدان معركة (اسوس) كما يرى كانار (٢٢٤) •

تل حوم : حصن في ثغر المصيصة ، وهناك أيضا **تل حامد** حصن في ثغور المصيصة • ويلاحظ وجود بعض الحصـــون على التلال ، مثل : تل خالد قلعة من نواحي حلب ، وتل منس حصن قرب معرة النعمان ، وتل هراق من حصون حلب الغربية • (٢٢٥)

طوانة : بلد بثغور المصيصة • ولما قدم المأمون الثغر غازيا أمر أن يسور على الطوانة قدر ميل فمات بعد شروعه بقليل فأبطله المعتصم •

---

(٢٢٢) لي ستريتج : بلدان الخلافة الشرقية ـ ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٢ ، للبلاذري : فتوح البلدان ص ١٧٢ ـ ٣ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٨٠ ـ ١ ، ١٠٠ ، جـ ٧ ص ٢٦٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٧٨ ـ ٩ ، وفي المراصد لابن عبد الحق) المصوص بالحاء ـ قرب المصيصة شرقي جيحان) جـ ١ ص ٤٠٨ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢١٤ : ٢٢٧ .Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 281

(٢٢٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣١٧ ـ ٨ ، الاصطخري ص ٤٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٨ ، ابن العديم ، بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٧٧ •

(٢٢٤) ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٤٤ ، الاصطخري : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٩ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ـ ص ٢٧٨
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 278.

(٢٢٥) ياقوت : معجم البلدان جـ ص ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ابن عبد الحق : المراصد جـ ١ ص ٢٧٠ •

وروى أن مسلمة بن عبد الملك كتب وهو غاز بالقسطنطينية الى أخيه الوليد :

أرقت وصحراء الطوانة بيننا لبرق تلالأ نحو غمرة يلمح
ازاول أمرا لم يكن ليطيقه من القوم الاالل وذعي الصمحمح(٢٢٦)

صمالو : من الثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس ، روى ان الرشيد حاصر اهلها سنة ١٦٣هـ فسالوا الامان لعشرة ابيات فيهم القومس، وكان فى شرطهم الايفرقوا ، فانزلوا ببغداد بباب الشماسية فسموا موضعهم سمالو (بالسين) واليه يضاف ديرسمالو ، وسبى من بقى فى الحصن (٢٢٧) .

العجلانية : بليدة بثغور مرج الديباج قرب المصيصة . **ومرج الديباج** واد عظيم المنظر ، نزه ، بين الجبال بينه وبين المصيصة ١٠ أيام. **ومرج الخليج** من نواحى ثغر المصيصة ، **ومرج حسين** بالثغور الشامية منسوب الى حسين بن سليم الانطاكي كانت له وقعة ونكاية في العدو . **ومرج الاطراخون** قرب المصيصة . (٢٢٨)

عربسوس : بلد من نواحى الثغور قرب المصيصة ، على أن البكرى يقول عنها «عربسوس من ثغور الشام الجزيرة ، تلقاء الحديث» . والتسمية اليونانية هى Arabissos ويقابلها في البيزنطية Ablastha وتطلق على (الابلستين) وتسميتها العربية المتأخرة **البستان** .وقد كان درب الحدث يمتد بينها وبين مرعش ، ولم يكن مطروقا كممر الابواب الكيليكية التى يقوم على مدخلها طرسوس (٢٢٩) .

قطرغاش : حصن من أعمال الثغور قرب المصيصة كان أول من عمره هشام بن عبد الملك على يد عبد العزيز ابن حسان الأنطاكى (٢٣٠).

---

(٢٢٦) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ٦٥ .

(٢٢٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٨ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٨٢ ــ ٣ .

(٢٢٨) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٢٤ ، جـ ٨ ص ١٥ ــ ٦ ، ابن عبدالحق : المراصد جـ ٣ ص ١٢٥٤ .

(٢٢٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٦ ص ١٣٧ ، قارن البكرى : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٦٥٧ ، لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٧٨ــ٩
Bury : Hist. of East. Rom. Emp. p. 245.,

(٢٣٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ ، ياقوت معجم البلدان جـ ٧ ص ١٢٤ ، ابن العديم : بغية الطلب ــ مخطوط ــ ص ٢٧٩ .

ثنية العقاب : بالثغور الشامية قرب المصيصة(٢٣١) ٠

الصفصاف: كورة من ثغور المصيصة غزاها سيف الدولة سنة٣٣٩م في حوض المجرى الاعلى لنهر جيحان حيث كانت هناك قلعة بيزنطية قديمة، وينبغي أن يكون في هذه المنطقة أيضا **حصن العيون** أو حصن عيون الجيحان وقد اكتفى ياقوت بذكر انه من الثغور الرومية التى غزاها سيف الدولة ، ويصعب تحديد مواقع هذين الموضعين بالنسبة لابلستين (٢٣٢)٠

أذنة : قرب المصيصة على الشاطىء الايمن لنهر سيحان ، الذى يصب فى البحر المتوسط ، وقد قال ابن حوقل عن أذنة انها مدينة حصينة عامرة تبعد عن طرسوس ١٨ ميلا ٠ وفى الطريق على شيء يسير من المصيصة كانت هناك قنطرة ترجع الى أيام جستنيان رممت سنة ١٢٥هـ (٧٤٣م) وسميت **بجسر الوليد** نسبة الى الوليد الاموى ٠قال ياقوت عن أذنة «بلد من الثغور قرب المصيصة مشهور ٠٠ قال أحمد بن يحيى بن جابر : بنيت أذنة سنة ١٤١ـ١٤٢ هـ وجنود خراسان معسكرون عليها بأمر صالح بن على العباسى ٠ ثم بنى الرشيد القصر الذى عند أذنة قريب من جسرها على سيحان فى حياة أبيه المهدى سنة ١٦٥ هـ ٠ ولما كانت سنة ١٩٣ هـ بنى أبو سليم فرج الخادم أذنة وأحكم بناءها وحصنها فندب اليها رجالا من أهل خراسان وذلك بأمر محمد الامين بن الرشيد ٠ وقال ابن الفقيه : عمرت أذنة سنة ١٩٠ هـ على يدى أبى سليم خادم تركى للرشيد ولاه الثغور وهو الذى عمر طرسوس وعين زربى ٠ وقال أحمد بن الطيب : رحلنا من المصيصة راجعين الى بغداد الى أذنة فى مرج وقرى متدانية جدا وعمارات كثيرة ، وبين المنزلين أربعة فراسخ ٠ ولاذنة نهر يقال له سيحان وعليه قنطرة من حجارة عجيبة ـ بين المدينة وبين حصن مما يلى المصيصة ، وهو شبيه بالربض والقنطرة معقودة عليه على طاق واحد ٠ ولاذنة ٨ أبواب وسور وخندق ٠٠ وجسر الوليد على طريق أذنة من المصيصة على تسعة أميال أول من بناه الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم جدده المعتصم سنة ٢٢٥ هـ » ٠ وأذنة **قاعدة كيليكيا ، وهى النقطة الوحيدة التى يمكن عندها عبور سيحان ، وقد حصنها الرشيد لحماية الجسر الذى يجتازه الطريق الى طرسوس والابواب القليليقية** ٠ وبعد أذنة بقليل يستقبل سيحان الرافد الذى يصل اليه باختراق طوروس القيليقية ٠

---

(٢٣١) ابن عبدالحق : المراصد جـ ١ ص ٣٠١ ٠

(٢٣٢) ياقوت : المعجم جـ ٥ ص ٣٦٨ ، جـ ٣ ص ٢٨٥ ،
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 271.

وقد كان نهرا سيحان وجيحان حدا مائيا بين المسلمين والروم ، ومنابعهما في المرتفعات شمالى أرمينية الصغرى • وكان نهر جيحان بعد مروره بالمصيصة يصب فى بحر الروم فى خليج أياس شمال ميناء الملون Mallos • أما سيحان فاصغر منه ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير أذنة وأذرم من قرى أذنة(٢٣٣) •

طرسوس : قرب مصب البردان فى البحر المتوسط ، وكانت الملاحة قديما ممكنة في النهر ولكن لم يعد ذلك متيسرا فيما بعد ، وفى غربى طرسوس يقترب الجبل من البحر • وقد اشتهرت طرسوس فى العصرين الهلنستى والرومانى بعلمائها ، واشتهرت فى العصر الاسلامى بأهميتها الحربية وخصائص سكانها ، فقد كانت أجل الثغور ، وكان مقاتلتها من الفرسان والمشاة وهى تشرف على المدخل الجنوبى لدرب أبواب قلييقية • وذكر ابن حوقل أن عليها سورين من حجارة وبها مائة ألف فارس ، «وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشبعة من اللكام» ـ وهكذا كانت حاجزا بين العالم البيزنطى المسيحى والعالم الاسلامى•وحين زار ابن حوقل المدينة سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨م) رأى الغزاة الوافدين اليها من مختلف البلاد الاسلامية ـ ذلك « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب ـ الا وبها لأهلها دار ورباط فى طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها ، وترد عليها الجرايات والصلات وتدر عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة ـ الى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين ويتحظون عليه متبرعين » • وقد عنى المهدى والرشيد بتحصين طرسوس وشحنها فى أول الامر بثمانية آلاف من المقاتلة كما يروى المسعودى • ويقول ياقوت : « ان مدينة طرسوس أحدثها سليمان ـ كان خادما للرشيد ـ فى سنة نيف وتسعين ومائة ، قاله أحمد بن محمد الهمدانى • وهى مدينة لثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم • قال أحمد بن السرخسى : رحلنا من المصيصة نريد العراق الى أذنة ، ومن أذنة الى طرسوس ـ وبينها وبين أذنة ست فراسخ ، وبين

(٢٣٣) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٣ ـ ٤ ، البلاذرى فتوح البلدان ص ١٧٥ ـ ٦ ، الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ١٦٥ ـ ٦ ، ٥٥ ، جـ ٣ ص ١٠٦ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٤٨ ـ ٩، القلقشندى : صبح الأعشى جـ٤ ص١٣٩ ، ابن الشحنة: الدر المنتخب ص ١٨١ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٣١ : ٥ •
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 281.

أذنة وطرسوس فندق بغا والفندق الجديد ، وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ست أبواب ، ويشقهــا نهر البردان ، وبهــا قبر المأمون جاءها غازيا فأدركته منيته وما زالت موطنا للصالحين والزهاد ، يقصدونها لانها من ثغور المسلمين • ثم لم تزل مع المسلمين في أحسن حال ـ الى أن كانت سنة ٣٥٤ هـ فان نقفور ملك الروم إستولى على الثغور وفتح المصيصة ، ثم رحل عنها ونزل على طرسوس ••» • ويقول عنها ابن العديم «مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة ، وبها كان يقـوم سوق الجهاد ، وينزلهـا الصالحون والعباد ، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد » وقد فصل الحديث عن زهادها وأورد الآثار في فضلها • وعدد الحصون المجاورة لها وأورد عن أبي عمر وعثمان بن عبد الله الطرسوسي « كان شيوخنا يقولون ان أول مدينة عرفت في اقليم الثغر أزلية قبل الاسلام مدينة قليقية واليها ينسب علماء الروم الثغر فيقولون بنلقليقية » وذكر من الحصـــون حصن ثابت وحصن عجيف وغيرهما •

وكانت الندبات السنوية لحرب الروم تجتاز من باب الجهاد • وفي الجهة اليسرى من الجامع دفن المأمون الذى توفى في بدندون Podandos القريبة من طرسوس • وذكر القلقشندى أن طرسوس مدينة مسورة بناها الرشيد سنة ١٧٠ هـ وأكملها سنة ١٧٢ هـ «ولها ٥ أبواب : باب الجهاد ، وباب الصفصاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود • والنهر يشق في وسطها وعليها قنطرتان داخل البلد • قال ابن حوقل : وهى في غاية الخصب •• وكانت استعادتها من الارمن في الدولة الناصرية (حسن بن قلاوون) » • ونهر البردان الذى يخترق طرسوس هو Cydnus ، وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى أيضا نهر الغضبان ، ومخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب في بحر الروم قرب المصب الحديث لنهر سيحان • وفي ناحية الغرب على مرحلة من طرسوس نهر كان يؤلف حدا مائيا بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية في الازمة الاولى وهى نهر اللامس Lamos وعليه كان يقع الفداء بين المسلمين والروم • ومما يلي هذا النهر بلدة للروم تعرف بســلوقية Seleucia of Cilicia وسماها الترك أخيرا سلفكه • ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون منها بوجه خاص في غزواتهم : درب الحدث في الشمال الشرقي ـ من مرعش الى ابلستين التي عرفت أخيرا بالبســـتان (Ablastha

البيزنطية ، Arabissus اليونانيـــة) ، وثانى الدروب **درب الابواب القيليقية** الضارب شمالا من طرسوس الى القسطنطينية (٢٣٤) ٠

تل جبير : بلد بينه وبين طرسوس أقل من عشر أميال ـ منسوب الى رجل من قريش انطاكية كانت له عنده وقعة (٢٣٥) ٠

بذندون : قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر ، مات بها الملعون ، فنقل الى طرسوس ودفن بها ، وبطرسوس **باب بذندون** عنده فى وسط السور قبر المأمون(٢٣٦) ٠

سلغوس : حصن فى بلاد الثغور بعد طرسوس غزاه المأمون ويضيفه ابن خرداذبة الى الثغور الجزرية ولا يمكن تحديد موضعه بالضبط ، ويتابع فازيلييف قول ابن خرداذبة ، ويرى آخرون ان ســـــلعوس التى أوردها البلاذرى دون تنقيط هى من اقليم الرها فى الجزيرة وليست من الثغور ، واذا كان رسم سلغوس صحيحا فقد تكون سجالاسوس فى بامفيليا(٢٣٧)

مطامير : المطمورة حفرة أو مكان تحت الارض قد هيء خفيا يطمر فيه الطعام أو المال ٠ **وذات المطامير** بلد بالثغور الشامية ذكر فى الفتوح أيام المهدى والمأمون والمعتصم ، ويقال له المطامير أيضا ٠ **ومطمورة** بلد فى ثغر الروم بناحية طرسوس ، غزاه سيف الدولة فقال الصفرى :

وما عصمت تاكيس طـالب عصـــمة

ولا طمرت مطمورة شـــخص هارب

---

(٢٣٤) Le Strange : Palestine Under the Moslems. pp. 377-8 ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٤ ـ٦
الاصطخرى : المسالك والممالك ص ٤٧ ، ياقوت : معجم البلدان ج ٦ ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ابو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٤٨ ـ ٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠ ـ ١ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ٢٣٥ : ٢٧٥ ٠
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 282.

(٢٣٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٤ ، ابن العديم : بغية الطلب مخطوط ص٢٧٥

(٢٣٦) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٩٤ ٠

(٢٣٧) ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ١٠٨ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٩٧ ، Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. p. 269. ، فازيلييف : العرب والروم ـ ترجمة دكتور شعيرة ص ١٠٧ هامش ٠

وتاكيس : قلعة فى بلاد الروم في الثغور . وقد كانت المطامير تكثر فى البند المتأخم لكيليكيا حيث كانت ملجأ لأهالى الاقليم . ويقول فازيلييف : « ولا نزال الى اليوم نجـــد فى كل بيت فى هاساكيوى مثلا طابقا سفليا محفورا في الصخور ، وهذه الغرف الارضية متصلة فوق ذلك بممرات طويلة يمر بهـــا الانسان من بيت الى بيت » . ويذكر ابن خرداذبة من المطـــامير « ماجدة وبلنسة وملندسة وقونية وملقـــوبية وبدالة وبارنوا وسالمون ، وتفسير ملقوبية : مقطع الارخاء تقطع الارحاء من جبالها(٢٣٨)»

---

(٢٣٨) ياقوت : معجم البلدان حـ ٨ ص ٨٤ ـ ٥ ، ٨٩ ، حـ ٢ ص ٢٢٣ ، ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٨ ، فازيلييف : العرب والروم ، ترجمة دكتور شـــعيرة ص ٩٤ ، والهامش .

ثالثا ـ الوضع الاستراتيجي

لحدود الدولة الاسلامية مع الروم

يقول Leidell — Hart ان الاستراتيجية الكبرى Grand Strategy تبرز معنى السياسة فى نطاق التنفيذ policy in execution ، ودورها هو توجيه كل موارد الامة وتنسيق التعاون بينها من أجل الحصول على الهدف السياسى للحرب ، فالاستراتيجية الكبرى ينبغى أن تقدر الموارد المادية والبشرية والمعنوية على السواء ، ولا بد أن تعمل على تنسيق الخدمات المتنوعة ، وأن تدخل فى اعتبارها وعملها قوة الضغط المالى والدبلوماسى والتجارى والروحى فى توهين عزيمة العدو • وبينما ينحصر نطاق الاستراتيجية فى الحرب ، فان الاستراتيجية الكبرى تنظر الى مدى أبعد من الحرب لتكسب السلم أيضا • والاستراتيجية تعتمد فى نجاحها على الحساب الصحيح ، وعلى الموازنة بين الهدف والوسيلة ، فضبط الخطة يوفر اقتصادا للقوى فى معناها الاوسع ، واحكام الاستراتيجية يعمل على حسم الموقف دون معارك أو خسائر فادحة بقدر الامكان ، فهدف الدولة فى حربها ينبغى ألا يكون مجرد الفتح بل ضمان الامن(٢٣٩) •

الى أي مدى كانت حدود الدولة الاسلامية تحقق لها الامن ؟

ان الدولة الاسلامية كانت تطمح بغير شك الى **ازالة دولة الروم** من الوجود ، كما أزالت دولة الفرس • غير ان دولة الروم لم تكن فى نواياها ازاء الدولة الاسلامية أكثر صفاء ، فما من لحظة ضعف مر بها المسلمون الا وانتهزها الروم للانقضاض على أطراف المسلمين••• انتهز الروم فرصة ضعف المسلمين فى أواخر الدولة الاموية وبداية الدولة العباسية ، كما

---

(٢٣٩) Leidell — Hart : Strategy : pp. 335 : 9

انتهزوا فرصة ضعف الدولة العباسية نفسها عندما تأخر بها الزمن وتجزأت ولاياتها واستقل حكامها ، ولم يكن كل هؤلاء الحكام المسلمين المستقلين من طراز سيف الدولة الحمدانى أو نور الدين زنكى ، يصمدون للمطامع ويذودون عن العرين .

وقد راعى المسلمون منذ فتوحاتهم الاولى أن تحقق الحدود لدولتهم تأمينا كافيا ، ومن أجل ذلك اتجهوا الى فتح الجزيرة وأرمينية بعد أن تم لهم فتح الشام ، اذ ازدادت بذلك فرص الامن فى حدودهم ، **واستفادت من مناعة جبال طوروس من ناحية ، ومن طبيعة ارمينية الجبلية وموقعها الحاجز من ناحية اخرى** . وقد أثبت خط سير الفتوح الاسلامية الاولى حقيقة ارتباط أجزاء هذه المنطقة المتداخلة ، **فقد كان هرقل يقود معركة الشام من حمص فى الشمال ، ثم نزل انطاكية ، حتى اذا انتصر المسلمون سنة ١٥ هـ بموقعة مرج الروم « ارتحل من عسكره فاتى الرها واخذ عامله بحمص » . ولما دانت الشام لأبى عبيدة اخذ الروم يناوشون مؤخرة المسلمين من الجزيرة** « ففى سنة ١٧ هـ خرج الروم وقد تكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص . فضم أبو عبيدة اليه مسالحه وعسكروا بفناء حمص ، وأقبل خالد من قنسرين حتى انضم اليهم فيمن انضم من أمراء المسالح ، فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصن » ، وقد مال أبو عبيدة الى الرأى القائل بالتحصن ، وكتب الى عمر بخروج الروم عليه وشغلهم أجناد الشام عنه ، « فلما وقع الخبر لعمر كتب الى سعد بن مالك : ان أندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من يومهم الذى يأتيك فيه كتابى الى حمص فان أبا عبيدة قد أحيط به .. وكتب اليه أيضا : ان سرح سهيل بن عدى الى الجزيرة فى الجند ، وليأت الرقة فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وان أهل قرقيسياء لهم سلف ، وسرح عبد الله بن عتبان الى نصيبين فان أهل قرقيسياء لهم سلف ، ثم لينفضا حران والرهاء ، وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرح عياضا . فان كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا الى عياض بن غنم (٢٤٠) » . وهكذا برزت **قيمة الجزيرة الحربية** فى حماية حدود الدولة الاسلامية ، فلا غرو أن يذكر المقدسى اقليم أقور (الجزيرة) فيقول « ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم ، لان آمد اليوم دار جهادهم والموصل من أجل أنضادهم .. ومع ذلك هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب فى الاسلام(٢٤١) » .

---

(٢٤٠) الطبرى ، حـ ٤ ص ٥٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥

(٢٤١) المقدسى : أحسن التقاسيم ص ١٣٦

وعلى هدى الظروف الجغرافية تتابعت فتـــوح المسلمين ، **فافتحوا الجزيرة بعد فتح الشام** « اذ كان اقليم الجزيرة وشمال الشام وحدة تتمم بعضها بعضا من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين . وأقام معاوية القبائل العربية الضاربة فى شمال العراق فى جهات بعيدة عن المـدن المعرضة للغزو البيزنطى ، ثم حصن هـــذه المدن بسلسلة من الحصون تشبه العواصم والثغور الشامية وخصص لها حاميات دائمة » . **ثم فتح المسلمون أرمينية** منذ خلافة عثمان « فأرمينية تتحكم بفضل موقعها فى مفرق الطرق المؤدية الى أراضى المسلمين فى اقليم الجزيرة بالعراق وبلاد الشام والجهات التي احتلها المسلمون فى جنوب آسيا الصغرى ، كما انها وحدة طبيعية قائمة بذاتها وسط ما يحيط بها من بلاد » (٢٤٢) .

وكانت الاستراتيجية الرومانية تعتمـد على دعامتين : انطـاكية فى سوريا وادسا (الرها) فى بين النهرين . وقد أشار شابو الى ارتبـاط انطاكية بكيليكيا وكبادوكيا بطريق مجرى النهر الاسود (قرة صو) Melas فضلا عن امكان التوغل منها الى أرمينية ، عـلاوة على اتصالها بالشام . وكان نهر الفرات يربط ما بين الجزيرة وبين الشام وأرمينية ، وكان الجزء الواقع من أرمينية فى غربى الفرات الأعلى يسمى بأرمينية الصغرى . كما أن جبال طوروس كانت تمتد من الأناضول الى أرمينية وهى تفصل الجزيرة من جهة عن أرمينية وأذربيجان من جهة أخرى وكانت عسيرة الاختراق فى الشرق دون الغرب . وكانت نقطة الاتصال بين أرمينية الصغرى والشام تتمثل فى تلك الزاوية الوسطى التى تحدد مجرى الفرات بين سميساط وملطية . وكان شمالى الجزيرة (بين النهرين) يرتبط فى مصيره بظروف أرمينية والدور الذى يمكن أن تؤديه ، ولم يستطع الرومان أو البيزنطيين تجاهل هذه الحقيقة (٢٤٣) .

ولم يغفل المسلمون عن جزر البحر المتوسط «اذ رأوا ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مراكز استراتيجية هامة ، ولشل حركات البيزنطيين البحرية . فقد انتشرت هذه الجزر فى الشطر الشرقى من البحر المتوسط وقسمته الى بحار داخلية صغيرة ـ تتصل ببعضها البعض عن طريق مضايق وفتحات صغيرة تتحكم فى مداخلها أطراف الجزر . وغدت هذه المضايق أشبه بعنق الزجاجة تكفل للمسيطر عليها تمام السيادة على ما يليها من

---

(٢٤٢) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٠٣ ، ١١٣

(٢٤٣) Chapot : La Frontière de l'Euphrate. pp. 344-5, 347, 380, Canard: Hist. de la Dyn. des Hamdanides. pp. 76, 234.

بحار داخلية وما يطل على هذه البحار من أرض وبلاد ، فهدفت الاغارات الاسلامية على هذه الجزر لتأمين سلامة البلاد الاسلامية من الجزر القريبة مباشرة من أراضيها ، ثم الاستيلاء على غيرها من الجزر التى تتحكم فى أكبر عدد من المضايق البحرية لسد الطريق فى وجه الأساطيل البيزنطية (٢٤٤) .

كذلك اتجه المسلمون الى محالفة بعض الطوائف التى تحتل أماكن حساسة على الأطراف ، **فتعاهدوا مع الجراجمة فى جبل اللكام ، وتعاونوا مع البيالقة على أطراف الدولة البيزنطية** القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الأعلى .

والدول قديما لم تكن تعرف خطوطا للحدود Boundaries وانما كانت تعرف أقاليم حدود أو تخوم Frontier Areas يهمها منها مراكز التجارة أو معاقل الحدود . وهكذا كانت الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية على السواء تهتمان بأقاليم التخوم . وقد سبق للروم أن أقاموا عند حدودهم Limes ولايات عسكرية خاصة مثل بلاد العرب الصخرية ، أو ولايات الدانوب والرين ، كما حالفوا أقواما على أطرافهم واصطنعوا لهم دولا مثل الغساسنة واللخميين . وكانت فكرة أقاليم التخوم أو مناطق الحدود الطبيعية تتفق مع فكرة أقاليم الانتقال الجغرافية ، بل ومع أقاليم الانتقال الثقافية والحضارية ـ اذ تكون مناطق التخوم أوسع وأعمق عند التقاء حضارات أو قوميات كبرى . وقد نشأت نظرية التخوم الطبيعية Natural Frontiers على هذا الاساس ، اذ كانت الدول تعتمد على الظواهر الجغرافية الهامة وتتخذها خطوط للحدود Physical Boundaries ، وان كانت سلاسل الجبال لا تكون حواجز طبيعية فى جميع الحالات ، فنحن نرى سويسرا ذات أربع لغات ونرى انتشار اللغة الالمانية فى النمسا . **غير أن اتخاذ الجبال كحدود سياسية كان سائدا فى الماضى** ،فقد كانت المناطق الجبلية قليلة السكان قليلة الموارد ، ومن هنا كانت مناطق استراتيجية يمكن أن تتخذ قواعد للدفاع . وا لجبال فواصل طبيعية حسب وعورة تضاريسها ومدى ارتفاعها ودرجة انحدارها وشدة فقرها . وقد لا تعدل الفواصل الجبلية بين الجيران فى وظيفتها الفاصلة او الحامية ، بل قد تحابى دولة على حساب أخرى . والمثل الأعلى للحدود الجغرافية هو الذى يقلل الى أدنى درجة ممكنة من الاحتكاك والحرب بين الدول التى يفصلها ،

---

(٢٤٤) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٨٦ ـ ٧

ويجب أن يكون خطا دفاعيا منيعا دون آن يحول بين الدول التى على جانبيه وبين الاتصال الاقتصادى والحضارى (٢٤٥) ٠

وقد كانت **جبال طوروس** حدودا طبيعية فيزيوجرافية ، وتاريخية بشرية ٠ ودخل فى نطاق حدود الشام الاسلامية قليقية وأذنة ، وكانت مدن كلس وعينتاب وماردين عربية صميمة ، وأوجد هذا ظهيرا طبيعيا لحلب صار راسا لجسمها وأمنها على منابع نهرها قويق ومنحها عنصر عمق فى الدفاع ٠ ولم **تخل جبال طوروس من دروب ومسالك للاتصال بين الدولتين والحضارتين المتجاورتين ، كما أن نهر الفرات وصل بين الجزيرة وانتاجها وبين منافذ الساحل وأسواق الشام ٠ كذلك أعطى البحر المتوسط للحدود الاسلامية مع الروم وضعا خاصا** ، فكان حاجزا واقيا كما كان أداة اتصال أيضا ، وهكذا جمعت بوابة الشام الشمالية بين النافذة البحرية والظهير الطبيعى (٢٤٦) ٠

(أ) جبال طوروس :

كانت الحدود بين المسلمين والروم فى ابان ازدهار الدولة الاسلامية تتألف من سلسلتى جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus وقد أطلق البلدانيون المسلمون على جبال طوروس الداخلية اسم جبل اللكام ٠ واتجه المسلمون والبيزنطيون الى **تحويل المنطقة التى تفصل بين ممتلكاتها الى خراب أول الأمر** ، ونقل كل منهما سكان تخومه الى داخل البلاد ٠ واشترط أبو عبيدة على أهالى بعض الجهات الشمالية القريبة من الحدود البيزنطية ـ **الجراجمة** ـ أن يزودوا المسلمين بما يعرفونه من أخبار البيزنطيين ٠ وكان أهم **الدروب الجبلية** التى استخدمها الفريقان المتحاربان عبر جبال طوروس : **الأبواب القليقية** التى تتحكم فيها مدينة طرسوس ، والى الشمال الشرقى منها **درب الحدث** ٠ وحرص المسلمون والبيزنطيون على السيطرة على المعابر والممرات الهامة خلال الجبال واقامة الحصون عندها ٠ فوضع البيزنطيون **منطقة الأطراف المواجهة للمسلمين** تحت اشراف قواد عسكريين لقبوا بحكام الثغورKleisuriards وحين تزايدت الغارات الاسلامية فى القرن الثامن الميلادى دعموا تلك المنطقة بحاميات من مساعدة **المتطوعين** الذين سموا Akritoi ٠ وقد واجه الخط الدفاعى البيزنطى الثغور الاسلامية

---

(٢٤٥) الدكاترة دولت صادق ، محمد غلاب ، جمال الدناصورى : الجغرافية السياسية ص ١٠١ : ٨ ، فوست : جغرافية الحدود ترجمة نصر ص ٣٣ : ٩ ، ١٠٩

(٢٤٦) دكتور حمدان : دراسات فى العالم العربى ص ٨٥ : ٨

يقسميها الجزرية والشامية • واضطلع الامويون فالعباسيون بترميم المعاقل والحصون وبناء المدن وندب الأهالى اليها لتحصين وتعمير منطقة الثغور • وقام الرشيد **بافراد ولاية خطاصة للعواصم والثغور** جعل عليها ابنه المعتصم •

وممر الأبواب القليقية الشهير في العصور الوسطى طوله سبعون ميلا ، ويبدأ من سفح الهضبة الوسطى لآسيا الصغرى جنوبى طوانة Tyana ، ويمتد الى حيث تتلاشى سفوح طوروس الجنوبية فى سهل كبادوكيا ، وفى أقصى الطرف الشمالى للممر قمة منعزلة شديدة الارتفاع ـ ١٠٠٠ قدم تقريبا ـ وتتحكم في جزء كبير من سهول كبادوكيا الجنوبية وسفوح طوروس الشمالية فى الوقت نفسه • وعلى هذه القمة المنيعة بنيت قلعة اللؤلؤة Lulon التى كانت مفتاح الممر ، وقد تداولتها أيدى المسلمين والبيزنطيين وكان فى وسع الفريق الذى يضع يده عليها أن يمنع الآخر من اجتياز الممر • ويلتقى الطريق الشمالى المؤدى الى طوانة والطريق الغربى الى هرقلة قرب هذه القلعة أيضا • وينحنى الطريق شرقا فى أول الأمر ، ثم يتجه جنوبا حيث يطل على وادى البذندون البيضاوى الشكل ويسمى Camp of Cyrus حيث عسكر كورش الصغير أثناء مسيره لحرب أخيه ـ ثم يصعد الممر من البذندون عبر وهاد ضيقة شديدة الانحدار حتى نهايته ، وعلى الجانب الشرقى فى أعلى الجبال كانت تتحكم فيه قلعة حصينة من الحجر الاسود تسمى حصن الصقالبة (السلاف) ، ويؤدى ممر منزلق من قمة هضبة صغيرة تعرف حاليا باسم Tekir وطوله ٣ أميال تقريبا الى منفذ صخرى يعرف بالأبواب القليقية ـ وهو الاسم الذى أطلق على الممر بأجمعه • ويبلغ طول الممر مائة ياردة وعرضه بضع ياردات فقط ، وتكتنفه جبال صخرية مما جعل في وسع حصن الصقالبة أن يوقف بأى حامية صغيرة جيشا كبير العدد • وقد كان هناك ممر آخر عبر جبال طوروس ليس مطروقا كالأبواب القليقية يمتد من مرعش (جرمانيكيا) الى أبلستين أو عربسوس ويعرف بدرب الحدث •

ولقدبلغ العرب السفوح الجنوبية الشرقية من جبال طوروس فوجدوها أشد بأسا من جنود الروم ، بسبب وعورتها وبردها القارس ، « حتى لكأن الطبيعة قد اقامت جبال طوروس لتكون على الدوام حدا فاصلا بين البلدين ـ على حد تعبير الدكتور حتى ، ثم ان المناخ في الأناضول كان بالغ القساوة على أبناء الصحراء • لقد تجمدت اللغة العربية على منحدرات

طوروس الجنوبية ، ولم يقدر لها أن تغزو لسان بلد من بلدان آسيا الصغرى التي كان سكانها منذ أيام الحيثيين من غير الساميين » • ثم جاء السلاجقة من الأصقاع الباردة فى شمال شرقى نهر سيحون فتهيأ لهم فتح تلك البلاد ، فدخلت فى نطاق الاسلام السياسى ، وان لم تدخل فى نطاق اللسان العربى (٢٤٧) •

(ب) أرمينية :

هذه بلاد ذات أودية ضيقة وأحواض مرتفعة ، يفصل بعضها عن بعض عوائق جبلية عالية ، وليس فيها مركز ثابت غنى يحتشد فيه معظم السكان ولا جزء واسع خصيب يتصل بالأجزاء الأخرى ولا بؤرة غنية تجذب اليها السكان المبعثرين ، فوديانها جميعا مفتوحة نحو الخارج وشبه مقفلة نحو المركز الذى يعتبر أصعب جهاتها اتصالا حتى مع حدوده القريبة المتاخمة • **وهكذا أدت أرمينية دورها كدولة حاجزة بين الرومان والفرس ثم بين البيزنطيين والعرب** ، اذ تشغل حيزا من الأرض تقابلت فيه سلسلتا الجبال الالتوائية فى شمالى آسيا الصغرى وجنوبيها من جهة وجبال هضبة ايران من جهة أخرى ، وتكون اقليم معقدا فى تضاريسه ذات السلاسل الجبلية الشاهقة والوديان والأحواض الداخلية حول عقدة جبل أرارات • وعلى طول حافة أرمينية الشمالية يقع وادى القوقاز المنخفض ممتدا من البحر الأسود الى بحر قزوين ويفصلها عن جبال القوقاز ، بينما ينخفض السطح فى جنوبيها مكونا مجموعة من الوديان تنتهى الى سهول الجزيرة (٢٤٨) •

وقد اتجه المسلمون الى أن تكون سيطرتهم على أرمينية كاملة ، حتى لا يقعوا فى المأزق الذى وقع فيه الفرس والروم حين اقتسموها • كما استفاد المسلمون فى الوقت نفسه من سلامة ظهورهم فى اقليم الجزيرة • ويذكر شابو أن شمالى بين النهرين (ميزوبو تاميا) كان يستند الى أرمينية وأن الزاوية الوسطى فى مجرى الفرات بين سميساط وملطية تمثل

---

(٢٤٧) Bury : Hist. of East. Rom. Emp. pp. 245-6
دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٠٠ : ٣ ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٧٠ : ٣ ، حتى : تاريخ سوريا حـ ٢ ترجمة دكتور اليازجى ص ٤٤ : ٦ ، تاريخ العرب ترجمة نافع حـ ١ ص ٢٤٨ : ٢٥٠ • حسونة : الجغرافية التاريخية الاسلامية ص ٣٣ ـ ٤

(٢٤٨) فوست : جغرافية الحدود • ترجمة نصر ص ٨٣ ـ ٤ •

نقطة الاتصال بين الشام وارمينية الصغرى ، ولم تستطع روما أو بيزنطة تجاهل حقيقة وضع أرمينية بالنسبة لمتلكاتها في الهلال الخصيب (٢٤٩) ٠

وقد وعى المسلمون هذه السوابق ، لكنهم لم يسلموا من الانتقاضات الداخلية لأهالى الاقليم الذين احتموا بطبيعة بلادهم المعقدة ، ووجد المتمردون على الدولة الاسلامية فرصتهم فى أراضى أرمينية ، ولم يحرم البيزنطيون سبيلا للاتصال بهؤلاء المتمردين ومعاونتهم على الفتنة ، ومن ذلك حركة بابك الخرمى التى ظاهرها البيزنطيون وتكبد المسلمون كثيرا حتى أخمدوها ٠

(ج) نهر الفرات :

لعبت الأنهار دورين متناقضين فى التاريخ : فهى **عوامل وحدة أحيانا، وهى فواصل جغرافية أحيانا أخرى ٠ وقد كانت حدود الامبراطورية الرومانية تتبع نهر الرين** من الشمال الى الجنوب ، ونهر الدنواب من الشرق الى الغرب ، واهتم « قيصر » بأن يقول فى كتابه أن نهر الجارون يفصل الغاليين عن الأكويتان وأن الجرمان يعيشون على الضفة الأخرى للرين ، وكانت القبائل الجرمانية فى توسعها شرقا تقف عند حدود أنهار الألب ثم الأودر متخذة هذه الأنهار حدودا طبيعة لها ، ومن ثم كانت المدن الألمانية المحصنة فى شرقى ألمانيا على الجانب الغربى للأنهار دائما ٠ لكن الأنهار مع ذلك كله عوامل وحدة أيضا ، لا سيما بعد زيادة السكان والتوسع فى الاستغلال الاقتصادى وتقدم الملاحة النهرية ٠ لكن الأنهار اذ كانت تجرى فى أقاليم مرتفعة وتعترضها أخاديد وشلالات أو مستنقعات كبيرة فقد تكون أصلح نوعا لأداء مهمة الحدود الفاصلة (٢٥٠) ٠ **وقد لعب نهر الفرات دورا هاما كمنطقة حدود بين الفرس والروم** ، أما بالنسبة للدولة الاسلامية فقد وقع جزء كبير من مجراه فى قلبها ، فى حين كانت مجاريه العليا عند حدودها ٠ ويقول Chapot : « **قد يكون الفرات حدا سياسيا ولكنه ليس حاجزا حربيا** ، فبين الصحراء ووادى النهرين يبدو هذا الشريط المائى طريقا لتموين الجش الغازى ، اذ يسير فى سهل تتشابه أجزاؤه ـ خاصة بعد أن يجتاز منطقته العليا ، وهو وسيلة يسيرة لنقل الانسان والبضائع لأن تياره ضعيف ٠ وكان **الفرس** قد وضعوا كثيرا من معسكراتهم على طول الفرات وفى الجزر التى فى وسطه

---

(٢٤٩) Chapot : La Frontière de l'Euphrate pp. 351-2, 380

(٢٥٠) الدكاترة دولت وغلاب والدناصورى : الجغرافية السياسية ص ١٠٩ ـ ١٠ ، فوست : جغرافية الحدود ـ ترجمة نصر ص ٤٦ : ٥٠

إذ كان هناك أقدم حد بين الامبراطوريتين الفارسية والرومانية ، كما كان هناك المسرح الرئيسي للعداء بينهما ، لكن الرومان ما لبثوا أن تجاوزوا الفرات وضموا منطقة Osrhoene وجزءا من بين النهرين وأخذوا يباشرون الدفاع عن حدودهم الجديدة » . وقد أشار شابو الى **اهمية موقع انطاكية كحلقة اتصال بين منطقة الفرات وبين البحر** « فان اقتراب الزاوية التى تقع فيها انطاكية تهيىء لقائد الجيش سبل المواصلات مع القيادة المركزية للاقليم ومع البحر ـ حيث يمكنه الاتصال بالامبراطورية » وكان لمنبج Hierapolis أهميتها الطبيعية في الناحية الشرقية . وفى منطقة (قورس) هذه Cyrrhestique كان الأباطرة وقوادهم يعدون خطط الحملات ووسائل التنفيذ . كذلك أشار شابو الى **المنطقة المجاورة للفرات الأعلى والتى تصله بالبحر الأسود عن طريق منطقة القوقاز** Transcaucasie وهى ما تسمى Colchide, Lazique وتتبع شابو خط القلاع النهرية عند الفرات وأشار الى الموقع الاستراتيجى لقلعة النجم التى تحتل حافة الجبل المطل على الوادى ، كما أشار الى أهمية مواقع الموصل (نينوى) ، والرها (ادسا) وحران Carrhae ـ كما كانت آمد Amida مركزا هاما جرى تعزيزه وما حوله من مدن لمتاخمة تلك المنطقة للحدود ، وعند بداية العنق تجثم ماردين Marida ، وقد وصف اميان مارسلين حوائط نصيبين المنيعة وذكر أنه « بدونها لا يمكن السيادة على الشرق » وهكذا أقام الفرات فى آسيا الصغرى الشرقية الحاجز الكبير للأمبراطورية وقد كانت ملطية فى موقع ممتاز حيث تتجه الطرق منها على شكل مروحة (٢٥١) .

(د) البحار :

البحر حد فاصل ، ولكنه بطبيعته قد لا يحمى الاقليم من الغزو والغارات .وقد أتيح لاقليم الثغور والعواصم أن يكون على اتصال بطرق تبلغ البحر المتوسط فى الغرب والجنوب الغربى والبحر الأسود فى الشمال ، ثم الخليج الفارسى فى الجنوب الشرقى .

ويقول فيرجريف : كان **البحر المتوسط** المدرسة الأولى لتعلم الملاحة البحرية ، اذ يقع وسط اليابس فهو داخلى يخلو من آثار العواصف التى تكثر فى عرض المحيطات كما يخلو من عنف حركات المد والجزر ، ويشارك البحر المتوسط فى هذه المزايا البحر الأحمر والخليج الفارسى ولكن الأول يبرزهما باتساعه ومرافئه « فهو بهذه المزايا يصبح المثل الأعلى لتربية

(٢٥١) Chapot : La Frontière de l'Euphrate. pp. 254 : 8, 281, 301 ; 18, 354

رجال البحر » . ولما عرفه الناس كطريق للاتصال تهيأت الفرص للفينيقيين قديما كي يلعبوا دورهم في تاريخ ذلك العالم الصغير ، وكانوا يسكنون أرضا هي همزة الوصل بين البلاد المختلفة وهي بمثابة لوحة القفز الى عرض البحار. وهكذا تغيرت وظيفة البحر المتوسط . لقد كان في الأيام الخوالي حاجزا ثم أصبح فيما بعد طريقا تجاريا عند الفينيقيين ، وكان بمثابة حصن دفاع عند اليونانيين ، ثم اتخذه الرومان قاعدة لأساطيلهم البحرية التي أخضعوا بها كل البلاد التي تحف بشواطئه . ثم ضعفت القوة البحرية بضعف روما ذاتها وما تحولت بلاد المغرب والأندلس الى الحكم العربي الا لأن الأساطيل البحرية للامبراطورية الشرقية لم تتوافر لها القوة الكافية لتسيطر على البحر كله ، ثم أضحت الحال شبيهة بالأيام الأولى التي استمر فيها النزاع بين روما وقرطاجنة ، وأصبح البحر المتوسط كالخندق الذي يفصل بين عدوين ، ورجحت كفة كل فريق حينا من الدهر، وتوالى على الجزر الواقعة بينهما الحكم الاسلامي تارة ثم الحكم المسيحي تارة أخرى، واستولى المسلمون على كريت وصقلية عدة قرون قبل أن يستعيدهما الحكم المسيحي الى حظيرته فيما بعد . أما **الخليج الفارسي والمحيط الهندي** فقد جدت عليهما ظروف جديدة اذ خلا الجو فيهما للأساطيل الغربية من كل منافس ، وقد كان لانتشار الحكم العربي في أول الأمر في مساحة واسعة تمتد من شواطيء المحيط الأطلسي الى البحر المتوسط والى الخليج الفارسي والبحر الأحمر والى المحيط الهندي كما كان للسيطرة العربية على مفاتيح الطرق بين الشرق والغرب ـ برية وبحرية ـ أكبر الأثر في احتراف العرب التجارة . وظلت التجارة العربية مزدهرة لم تتأثر بتمزق القوة الاسلامية ، الا أنه لما ضعفت الخلافة العربية في الأندلس في بداية القرن الحادي عشر الميلادي أخذت حكومات جنوا وبيزا تقوم على انقاض امبراطورية الروم وتستأثر بالتجارة البحرية وتبني الأساطيل التي مكنتها من نقل الحملات الصليبية . لكن التجارة العربية لم تلق منافسة في المحيط الهندي فترة أخرى لأن حاجزا من اليابس وقف يفصل بين الشرق والغرب ، وحين زال هذا الحاجز أخيرا ـ بكشف الأوربيين طرقا ملاحية في نهاية القرن ١٥ م ـ أدى ذلك الى انهيار التجارة العربية نهائيا (٢٥٢) .

ولقد بدأ العرب تأسيس دولتهم على غير علم بركوب البحر « ولم يزل الشأن ذلك ، حتى اذا كان زمن معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد

---

(٢٥٢) فيرجريف : الجغرافيا والسيادة العالمية ـ ترجمة د. الانصاري ص ٤٢ ، ١٠٩ ـ ١١٠

على أعواده . والسبب في ذلك : أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه ، والروم والافرنجة لممارستهم أحواله ومرباهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته . فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذى صنعة اليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته - استحدثوا بصراء بها ، فشرهوا الى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن فيه والشوانى وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته - مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس .. وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأمم النصرانية قبل أساطيلهم شيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزر المنقطعة عن السواحل فيه - مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج (٢٥٣) .

وهكذا كان البحر بالنسبة للمسلمين في أول دولتهم مصدر خطر لاحد أمان ، غير أن السياسة البحرية الأموية منذ ولاية معاوية للشام ما لبثت أن وطأت أكناف البحر للأساطيل الاسلامية حتى غدا البحر المتوسط بحيرة اسلامية كما يقال ، وصار حدا آمنا . ثم جاءت الدولة العباسية فكانت ذات نزعة مشرقية آسيوية، فمهد هذا لضعف البحرية الاسلامية في عهدها وانتقلت دفة السياسة البحرية الاسلامية الى أيدى المغاربة، وغدا المشارقة يواجهون خطر التهديد البحرى مرة أخرى (٢٥٤) .

أما بالنسبة للبحر الأسود ، فقد ذكر ابن حوقل أن طرابزندة كانت أجل ميناء تجلب اليها السلع من القسطنطينية في صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام ، وكانت هذه التجارة بيد الأرمن . ويبدو أن مهمة هذا البحر - الذى سمى ببحر طرابزندة أو بنطس - كانت بالنسبة للدولة الاسلامية تجارية أكثر منها حربية (٢٥٥) .

---

(٢٥٣) ابن خلدون : المقدمه - طبعة دكتور وافى حـ ٢ ص ٦٢٨ - ٩

(٢٥٤) دكتور مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط - المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو ١٩٥١ م

Cheira : La Lutte entre les Arabes et les Byzantins p. 85.

(٢٥٥) لى سترينج : بلدان الخلافة الشرقية - ترجمة فرنسيس وعواد ص ١٦٨

رابعا ـ التوجيه الجغرافي لمنطقة الحدود الاسلامية البيزنطية موقعها من الطرق التجارية ودورها في العلاقات الحضارية

كان موقع الثغور والعواصم فى أعالى الشام والجـزيرة يهيىء لها **سبل الاتصال بالمناطق المجاورة مثل : ارمينية والشام والجزيرة والعراق .** وكان الفرات طريقا للوصول الى **الخليج الفارسى** حيث ينفتح باب المحيط الهندى المطل على حاصلات الشرق الثمينة ، كما يتقترب الفرات فى زاويته الشمالية الغربية من **البحر المتوسط** فيمهد الطريق للوصول الى المناطق الواقعة على حضه اذ كانت مياه هذا البحر تدعو سكان ساحل الشام للتجارة والملاحة . وفى الشمال يمكن عبور ممرات جبال طوروس الى هضبة آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية . وفى الجنوب كان يكن الاتصال بمصر والحجاز . وهكذا كانت تلك المنطقة على اتصال بالعالم حولها ما بين آسيا وافريقيا وأوربا ، وحتى نهاية العصـــور الوسطي كان الطريق الكبير لخراسان وفارس والعراق يصـــل حلب وقنسرين ، ومنهـا تتفرع الطرق وأهمها تتجه الى انطاكية ، ومنها تسير طرق الى الاسكندرية وكيليكيا وأخرى الى موانى البحر المتوسط فى سلوقية Selucie de Pier . ومن قنسرين كان يمكن الوصول الى نهر العاصى عند جسر الشغر ومنـــه الى اللاذقية Laodicée عن طريق النهر الكبير او جبله عن طريق صهيون وبلاطنس (٢٥٦) .

---

(٢٥٦) Gaudefroy-Demombynes, Platonov : Le Monde Musulman et Byzantin pp. 40-2, Dussaud : Top. Hist. de la Syrie pp. 432-3.

(أ) الثغور والعواصم وعلاقاتها بالمناطق البرية المجاورة :

يقدم لنا ابن خرداذبة شبكة من الطرق التى تربط الثغور **بالعراق والشام وأرمينية** :

١ ـ **الطريق من بغداد الى الموصل الى نصيبين** : كانت الطرق تصل بغداد بالبصرة جنوبا حيث تأتى المتاجر الشرقية عن طريق الخليج الفارسى كما كانت تصلها بالجزيرة **شمالا** ومنها الى الثغور الجزرية ، ثم الى ثغور الشام وساحل البحر المتوسط من جهة أو الى أرمينية من جهة أخرى والطريق من بغداد الى ديار الجزيرة يذكره ابن خرداذبة على هذا النحو : من بغـــداد الى البردان ٤ فراسخ ، ثم الى عكبرا ٥ فراسخ ، ثم الى باجمشا ٣ ، ثم الى القادسية ٧ ، ثم الى سر من راى ٣ ، ثم الى الكرخ ٢ ، ثم الى جبلتا ٧ ، ثم الى السودقانية ٥ ، ثم الى بارما ٥ ، ثم الى السن وبها الزاب الأكبر ١٢ ، ثم الى بنى طميان ٧ ، ثم الى الموصل ٧ ٠ ويفصل قدامة الطريق بين السن والموصل على النحو التالى : من السن الى الحديثة برية يجرى فى وسطها الزاب الصغير ١٢ فرسخا ، ومن الحديثة الى طهمان ٧ ، ومن طهمان الى الموصل ٧ ٠

ويستأنف الطريق مسيره من الموصل الى بلد ٧ فراسخ ، ثم الى باعيناثا ٦ ــ وفى قدامه ٧ ، ثم الى برقعيد ٦ ، ثم الى أذرمة ٦ ، ثم الى تل فراشة ٥ ــ وفى قدامه ٣ ، ثم الى نصيبين ٤ ٠ وهنا يقول قدامه « **ومن نصيبين مفرق طريقين : أحدهما ذات اليمين الى نواحى الشام المقاربة لما ذكرنا من الطرق من المشرق اليها ، والآخر الى سائر نواحى المغرب** » ٠ فالطريق من نصيبين الى الرقة يمر أولا بدارا (وهى مدينة فى سفح جبل ــ كما يقول قدامة) ومن نصيبين اليها ٥ فراسخ ، ومن دارا الى كفرتوثا ٧ ، الى رأس عين ٧ (يجزئها قدامة : من كفرتوثا الى العرادة وهى منزل ٣ ، ومنها الى رأس عين وهى مدينة فيها عيون ٤) ، ومن رأس عين الى الجارود ٥ ، الى حصن مسلمة (قرية فيها صهريج كما يقول قدامة) ٦ ، الى باجروان ٧ ، الى الرقة ٣ ٠

٢ ـ **الطريق من نصيبين الى ارزن ذات اليمين (ارمينية)** : من نصيبين الى دارا ٥ فراسخ ، ثم الى كفرتوثا ٧ ، ثم الى قصير بنى نازع ٦ ــ وفى قدامة ٧ ، ثم الى آمد على دجلة ٧ ، ثم الى ميافارقين ٥ ، ثم الى ارزن ٧ « وهى مدينة تتاخم أرمينية » كما ذكر قدامة ٠

٣ ـ الطريق من آمد الى الرقة ذات اليسار ثم الى الثغور الجزرية أو الشامية وساحل الشام : كانت آمد نقطة التقاء عدة طرق ، وعن طريقها يعبر المجاهدون القادمون من أذربيجان وخراسان الى الثغور على الحدود الاسلامية البيزنطية مارين بأرمينية ثم ارزن وميافارقين فآمد ، ومن الأخيرة يسير طريق الى شمشاط « قرب ثغور الروم ـ كما ذكر قدامة » وبينهما ٧ فراسخ ، ثم الى تل جفر (تل جوفر عند قدامة) ٥ ، ثم الى جرنان (قرية آهلة كثيرة الأسواق كما ذكر قدامة) ٦ ، ثم الى بامقدا (وبها سور وأهلها قليل كما ذكر قدامة) ٥ ، ثم الى جلاب (قرية غناء على نهر كما ذكر قدامة) ٧ ، ثم الى الرها (وهى مدينة رومية فى سفح جبل كما ذكر قدامة) ٤ ، ثم الى حران ثم الى تل محرا ٤ ، ثم الى باجروان ٧ ، ثم الى الرقة ٣ - ومن الرقة الى عين الرومية ٦ فراسخ ، ثم الى تل عبدا ٧ ، ثم الى سروج ٧ ، ثم الى المزينية ٦ ، ثم الى سميساط ٧ (٦ عند قدامة ، وهى مدينة على الفرات من الجانب الشامى) ، ثم الى حصن منصور (ووصفها قدامة بأنها ثغر وعليها سور حجارة) ٦ ، **ثم الى ملطية** (ووصفها بأنها ثغر فى عقاب شديدة) ١٠ ، ثم الى كمخ (كانت ثغرا واستولى عليه العدو ـ كما ذكر قدامة ٤) ، ثم الى زبطرة (ويقول قدامة انها ذات اليسار واستولى عليها العدو) ٤ ، ثم الى الحدث (ويصفه قدامة بأنه ثغر فى نحر العدو) ٤ ، ثم الى مرعش (ويذكر قدامة بأنها ثغر ليس وراءه الا عمازات العدو) ٥ ، ثم الى عمق مرعش (والعمق كل مرج حوله جبال) ٠

والطريق من الجزيرة **الى ساحل الشام :** من الرقة الى دوسر ، ثم الى داقين ، ثم الى جسر منبج ، ثم الى منبج ، ثم الى حلب ، ثم الى الأثارب ، ثم الى عمق ، ثم الى انطاكية ، ثم الى اللاذقية ، ثم الى جبلة ، ثم لى طرابلس الشامية ، ثم الى بيروت ثم الى صيدا ، ثم الى صور ، ثم الى قدس ، ثم الى قيسارية ، ثم الى ارسوف الشامية ، ثم الى يافا ، ثم الى عسقلان ، ثم الى غزة ٠

وهناك طريق **من الرقة فى الجزيرة الى حمص ودمشق بالشام** مارا بالرصافة ، ومسافات من الرقة الى الرصافة ٢٤ ميلا (٨ فراسخ عند قدامة) ، ويسير طريق فى العمران الى الزراعة ٤٠ ميلا ، الى القسطل ٣٦ ، الى سلمية ٣٠ ، الى حمص ٢٤ ، الى شمسين ١٨ ، الى فارا ٢٢ ، الى النبك ١٢ ، الى القطيفة ٢٠ ، الى

دمشق ٢٤ • وهناك طريق فى البرية من الرصافة الى دمشق • ويسير طريق للبريد من حمص الى دمشق مارا بجوسية وبعلبك كما يخترق البادية طريق من الكوفة والحيرة الى دمشق مباشرة •

وبحكم الظروف الطبيعية لشمالى الشام كانت الطرق تتجه من قديم من الشمال الى الجنوب• وعلى طول الفرات وكان هناك طريق من سميساط الى الرقة ، لكن كان هناك كذلك طريق يعبر الفرات عند منبج Hierapolis ويصل ما بين الجزيرة عند (Zeugma قديما) والشام ، كذلك كان هناك طريق قورس حلب قنسرين (Chalcis) • لكن الطرق العسكرية الكبرى كانت تسير من انطاكية : فهناك طريق انطاكية نقابلس Nicapolis مرعش Germanicia ، وطريق انطاكية قورس Cyrrhus حمص Doliche وطريق انطاكية والفرات (عند موضع Zeugma) وطريق بين انطاكية ومنبج • وكانت الطرق التى تعبر الفرات فى مواضع متباعدة مثل سميساط وزيجما وكايكيليانا Caeciliana تتجه أخيرا الى الرها Edessa وقد كانت انطاكية والرها الدعامتين الرئيسيتين فى الاستراتيجية الرومانية •

ويذكر قدامة الطريق العادلة من الحصن الى الثغور الجزرية ـ على حران والرها : من الحصن الى حران ٣ سكك ، ومن حران الى الرها سكتان ، ومن الرها الى سميساط ٣ سكك ، ومن سميساط الى حصن منصور سكتان • والطريق العادلة أى المتجهة وعوادل الثغور التى عدلت عنها • أما السكك فيقول ياقوت : « هى الطريق المسلوكة التى تمر فيها القوافل من بلد الى آخر ، فاذا قيل من بلد الى بلد كذا سكة فانما يعنون الطريق • مثال ذلك أن يقال من بغداد الى الموصل خمسة سكك ، يعنون أن القاصد من بغداد الى الموصل يمكنه أن يأتيها من ٥ طرق • وحكى عن بعضهم أن قولهم سكك البريد يريدون منازل البريد فى كل يوم ، والأول اظهر وأصح » • ويقول Dozy : السكة المسافة بين محطتين من محطات البريد وقدرها ٤ فراسخ •

٤ ـ من حلب الى الثغور الشامية : من حلب الى قنسرين ٧ سكك (عند قدامة من منبج الى قنسرين ٩ ، من حلب الى قنسرين ٣) ، ثم الى انطاكية ٤ سكك ، ثم الى المصيصة ٧ ـ وجيحان يشقها (ولا يغفل ابن خرداذبة أن يشير الى تسميتها عند الروم : مابسبستيا) ، ومن

المصيصة الى أذنة ٣ ـ (واسم اذنه عند الروم اداثم) وهي على سيحان ، ثم الى طرسوس ٥ ـ (واسمها عند الروم تارسم) ومن المصيصة الى عين زربى سكتان ـ كما يزيد قدامة .

وقد ظل نظام الطرق الرئيسية في شمالى الشام على حاله حتى الحروب الصليبية ، فهناك طريقان يخرجان من قنسرين أو Chalcis يتفرعان الى ثلاثة أفرع تقصد أفامية وشيزر وحماة . والطريق الأكثر تطرفا نحو الغرب يسير من حلب الى قنسرين ويمر بكفر طاب وشيزر وحماه وحمص كما يقول المقدسى ، وهو يجتاز معرة النعمان مثل الطريق الآخر الذى يخرج من قنسرين Chalcis الى حماه Epiphania والذى يذكره Itineraire Antonius . والطريق الشرقي يذكره اليعقوبى ومراحله : حلب وقنسرين ، وتل منس ، حماة ، الرستن ، حمص . ويذكر ابن خرذابة صواره محل تل منس ـ وهي صوران . وهناك الطريق العرضي من البثنية الى انطرطوس (أرواد الداخلية) عن طريق حلب وقنسرين وتل منس Tuemenso وأفامية وقد ورد هذا الطريق فى Table de Peutinger . وهناك طريق من أنطاكية الى جسر الشغر وأفامية . وبقى الطريق بين أفامية وحماة مباشرة معروفا . وفى فترة رخاء انطاكية فى العصور القديمة والوسطى كانت القوافل تنحدر من مضيق بيلان وتمر ببغراس وجسر الحديد للوصول الى قنسرين وحلب وكان هذا أيسر الطرق وله ميزة المرور بأكثر المراكز اهمية . وهناك طريق آخر بعد الهبوط من مضيق بيلان يتجه الى الشمال من بحيرة أنطاكية وعند وصوله وادى عفرين يجتاز أحد تفرعاته هذا الوادى الى حمص Doliche والجزء الأول من هذا الطريق يليه طريق الاسكندرية حلب ويصل منه فرع الى عزاز .

هذا وقد اتيح لحلب بحكم موقعها الجغرافى أن ترث مكانة انطاكية قبل الاسلام وقنسرين فى صدور الاسلام ، فمنها كانت تتفرع الطرق التى تصلها بقنسرين وحماة وحمص ، وبانطاكية والاسكندرونة وقيليقية ، وبدلوك وسميساط ، وبمنبج ، وببالس والرقة والجزيرة ، بتدمر . وقد أدى ضعف الدولة العباسية ، وارتفاع مكانة حلب الى ظهور الحمدانيين على مسرح الأحداث فى قاعدة الشام الشمالية .

ويتتبع ابن خرداذبة بعد ذلك الطرق عبر آسيا الصغرى عن طريق

درب السلامة الى خليج قسطنطينية • وقد سبق عرض بعض هـــذه الطرق (٢٥٧) •

وهكذا ارتبطت الثغور والعواصم بما حولها بالطرق البرية ، وقد كانت بحكم موقعها قريبة من الطرق الرئيسية البرية والبحرية للتجارة الشرقية ، **وكان الهلال الخصيب بمثابة الجسر بين المحيط الهندى والخليج الفارسى من جانب (عن طريق نهر الفرات) وبين البحر المتوسط من الجانب الآخر ، وكان يمثل منطقة التقاء قوافل الصـــحراء القادمة من الجنوب (اليمن) بالسفن القادمة من البحر المتوسط • وهكذا قام عدد كبير من المرافىء البحرية على ساحل الشام ومن مدن القوافل التجارية على حافة الهلال الخصيب** • فالطريق التجارى الكبير يتفرع من شمال الشام الى البحر المتوسط بطريق الأبواب السورية فى جبل أمانوس ، ويتفرع الى الشمال الغربى بطريق الأبواب الكيليكية ليصل آســـيا الصغرى ، وهو فى الوقت نفسه يتحول الى الشرق بطريق الجسر الســـورى نحو الفرات ومنه الى الدجلة والخليج الفـــارسى • فالأراضى الكائنـــة بين خليج الاســـكندرونة ــ حيث يحدث البحر أعظم فجوة فى البر ــ وبين منحنى الفرات على مســـافة نحو مائة ميل : تشكل ممرا طبيعيا له أهميته التجـارية والحضـــارية • وبين الحاجز الجبـلى فى الشـــمال والغرب ، والحاجز الصحراوى فى الجنوب يمرق ممر واحد منخفض يؤدى الى واد من جهة والى بحر من جهة أخرى ، وهو الممر السورى ، وهذا الممر يرتبط بدوره بخطوط المواصلات العالمية ، وقد حاول البابليون والمصريون والاشوريون والكلدانيون والفرس والمقدونيون فى العصـــور القديمة السيطرة على تلك المنطقة الهـامة • وهـــكذا يصدق قول تشارلسورث Charlesworth : « **ان الطرق كانت تنبعث من انطاكية ــ فى عصر الامبراطورية الرومانية ــ فى جميع الاتجاهـــات** : غربا الى كيليكيا ثم بيزنطة ، وشرقا الى بالميرا والفرات وبابل ، وشمالا الى معـــابر الفرات الهامة عند سميساط (ساموساتا) وزيجما ومقالع الحجر ومناجم الحديد فى تلك المناطق ، وهناك كان مركز اقتضاء المكوس • كذلك ارتبطت انطاكية بمدينة الساحل سليوكيا (سلوقية) على مسيرة يوم فى الأرنط•

---

(٢٥٧) ابن خرداذبة ص ٩٣ : ١١٣ ، قدامة (ملحق بابن خرداذبة ص ٢١٤ : ٦ ، ٢١٨ ــ ٩ ، ياقوت : معجم البلدان حـ ١ ص ٣٨ ، دكتور يحيى الخشاب ضبط وتحقيق الألفاظ الاصطلاحية التاريخية فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى : المجلة التاريخية المصرية م ٧ سنة ١٩٥٨ م •

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. pp. 82, 83, 234-5, Duzsaud: Top Hist. de la Syrie. pp. 181-2, 234-5, 478-9.

وانفتح الطريق عبر جبال طوروس عن طريق الأبواب الكيليكية والسورية. ويرى فيرجريف أن قيام انطاكية لا فضل فيه للطريق البحرى ولكنه وثيق الصلة بالطريق البرى الى بابل أو مصر (٢٥٨) .

(ب) الاتصال بموطن العرب الرئيسي :

يرى السير هلفورد ماكندر Holford Mackinder الجغرافي البريطاني الكبير أن بلاد العرب تمتد من النيل غربا الى ما وراء الفرات شرقا ـ وهي مسافة تبلغ ٨٠٠ ميل ، ومن سفوح طوروس شمالا حتى خليج عدن ـ أى ما يبلغ ١٨٠٠ ميل ، وتمتاز هذه المنطقة بوجود ٣ طرق مائية : هي النيل ثم البحر الأحمر ثم نهر الفرات والخليج العربى .

وقد جعل ماكندر بلاد العرب طريقا بريا وجسرا موصلا بين القلبين الأرضيين اللذين تصورهما كمنطقتى ارتكاز للعالم : القلب الشمالى من حوض الفولجا الى شرقى سيريا ، والقلب الجنوبى فى افريقية جنوبى الصحراء الكبرى . وقد اتجهت الحركة الطبيعية للسكان العرب من قديم الى غزو الأقاليم الحضرية والاقامة فيها من قديم ، **فكانت بادية الشام حتى نهر الفرات تعد بالضرورة جزءا من المجال العربي ـ كما قال دوسو (٢٥٩)** فقد تحدث اراتستنيس Erathesthenes عن الجزء الصحراوى فى الشمال الواقع بين بلاد العرب السعيدة Arabia Felix وبين سوريا المجوفة Coele — Syria واليهودية Judaea حتى تجويف خليج العرب كمنطقة متجانسة . ويقول بلنيوس Plinius : لا تقل جزيرة العرب بالنظر لسعتها عن بلاد أية أمة أخرى فى العالم ، فأقصى ابعادها : المنحدر الممتد من جبل أمانوس باتجاه كيليكيا وكوماجين Cilicia, Commagene ، وقد هاجر بعضهم من تلقاء أنفسهم الى البحر المتوسط والساحل المصرى . وبلاد العرب تشبه ايطاليا من حيث الشكل والمساحة والاتجاه وبذا صارت لها ميزات مثل هذا الموقع الجغرافى . ويجاور البدو والقبائل الرحل الذين ينهبون بلاد الكلدانيين قوم يعرفون بالسنيتيين Scenitae وهؤلاء أنفسهم من الرحل ـ اشتق اسمهم من خيامهم المصنوعة من شعر المعز .

---

(٢٥٨) حتى : تاريخ سوريا حـ ١ ترجمة دكتور حداد ورافق ص ٦٥ ، ٧٥
فيرجريف : الجغرافيا والسيادة العالمية ـ ترجمة د. الانصارى ص ٥٨
Charlesorth : Trade Routes, Commerce of Rom. Emp. pp. 39-40.

(٢٥٩) فيفيلد ، برسى . الجيوبوليتيكا ـ ترجمة مجلى واسكندر حـ ١ ص ٣٠ : ٢ ، دوسو: العرب قبل الاسلام ـ ترجمة الدواخلى ودكتور زيادة ص ٢ ـ ٣ .

ويجاورهم النبطيون الذين يسكنون بترا (البتراء) وفيها يلتقي طريقان يأتيان من سوريا وبالميرا من ناحية ، ومن غزة من ناحية أخرى • والاقليم الممتد بين بترا وشراكس Charax في أقصى فجوة من خليج فارس ، كان مأهولا بالعمانيين Amani (٢٦٠) •

وقد ناقش الدكتور حزين مسألة **الظروف المناخية** وأثرها على هجرة العرب الى الشمال وعرض لنظرية مواسم الجاف Climatic Desiccation وخلص الى أن التغير في كمية المطر وان لم يكن كبيرا فان له آثاره البعيدة المدى على اقليم قاحل أو شبه قاحل مثل شبه جزيرة العرب • وتجمعت الى الى جانب ذلك عوامل أخرى من الفوضى وعدم الاستقرار في شبه جزيرة العرب منذ حوالى القرن الثالث الميلادى ، وزادت في بداية القرن السادس الميلادى ، كما بلغت أزمة الجفاف ذروتها قبل الاسلام بأكثر من قرن • لكن خفف من ضغط حركة التوسع نحو الشمال وسرعتها الانشغال بالتجارة ، وامكان اللجوء الى المناطق الخالية من سهول الوادى الخصيب بعيدا عن مراكز الحضارة الحقيقية في الأقاليم الشمالية للامبراطوريتين لفارسية والبيزنطية• وقد حددت ظروف التضاريس وتوزيع المياه والنبات في شمولى بلاد العرب المنافذ والمسالك التاريخية للتيارات الجنسية والثقافية عبر الحد الداخلى للهلال الممتد من رأس الخليج الفارسى الى رأس خليج العقبة (٢٦١) • وكانت أسواق العرب تنتقل من مكان الى آخر في شهور السنة ويحضرها عامة قبائل العرب من قرب أو بعد ، ومن هذه الأسواق ما كان عند دومة الجندل على سيف بادية الشام أول يوم من ربيع الأول وكان يعشوهم فيها أكيد دومة ــ وهو ملكها ــ وربما غلب على السوق كلها فيعشوهم بعض رؤساء كلب ، فيقوم سوقهم هناك الى آخر الشهر ثم ينقلون الى سوق هجر ــ كما ذكر القلقشندى • وروى القالى أن قريشا كانت تجارا ، وكانت تجارتهم لا تعدو مكة ــ حتى ركب هاشم بن عبد مناف الى الشام فنزل بقيصر وتمكن عنده ، وقال له : ان قومى تجار العرب فان رأيت أن تكتب لى كتابا تؤمن تجارتهم ، فيقدموا عليك بما يستظرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم • فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم ، فجعل هاشم كلما مر بحى من العرب في طريق الشام أخذ

---

(٢٦٠) بلاد العرب من جغرافية سترابون : ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ـ مجلة المجمع العلمى العراقى م ٢ سنة ١٩٥٢ ، بلاد العرب من تاريخ تلينوس ــ محمود شكرى محمد• مجلة المجمع العلمى العراقى م ٣ حـ ١ سنة ١٩٥١ •

(٢٦١) Huzzayen : Arabia, and Far East. pp. 2:11

من أشرافهم ايلافا ، **والايلاف أن يأمنوا عندهم في أرضهم من غير حلف — انما هو امان الطريق ، وعلى ان قريشا تحمل اليهم بضـــائع فيكفونهم حملها ويؤدون اليهم رءوس اموالهم وربحهم** ، فأصلح هاشم ذلك الايلاف بينهم وبين أهل الشام ، حتى قدم مكة فأتاهم بأعظم شيء بركة • فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج هاشم معهم يجوزهم يوفيهم ايلافهم الذى أخذه لهم من العرب حتى أوردهم الشام وأحلهم قراها • وقد مات هاشم بغزة اذ كان الروم يقيمون لهم ســوقا فيها في موسم معلوم وكانت قريش فى الجاهلية تحضره وتمتار منه • ورحلة الصيف انما كانت نحو الشام وبلاد الروم • وذكر اللغويون من جمـلة التخـريجات في اسم قريش ـ أنها سميت لتجرها وتكسبها وضربها فى البلاد تبتغى الرزق ، وقيل لكونهم أهل تجارة زرع وضرع ـ من قولهم : فلان يتقرش المال أى يجمعه • وكان الأنباط يحملون من الشام الى الحجاز الزيت والدرمك ويعودون الى الشام بحاصلات الحجاز ، وحين أسلمت قريش خافت انقطاع السفر الى الشام للتجارات لمخالفتهم أهل الشام بالاسلام ، فقال النبى : « اذا هلك قيصر فلا قيصر واذا هلك كسرى فلا كسرى » • فقويت نفوس العرب على الاتجار مع هذين القطرين • وكان العرب قبل الاسلام يملكون المزارع فى الشـــام (٢٦٢) ، ذكر ياقوت : نقنس من قرى البلقـاء من أرض الشـــام كانت لأبى سـفيان بن حرب أيام كان يتجر الى الشـــام ثم كانت لولده بعده ويسميها البلاذرى بقبش (٢٦٣) •

وكان ظهور الاسلام عاملا حاسما وحد بين الوطن الأم فى جزيرة العرب وبين امتداد المجال العربى فى الشام وعلى ضفاف الفرات وقـد اتبع **طريق الحاج الشامى** الذى يربط الشام بالديار المقدسة فى الحجـاز نفس طريق القوافل القديم المعروف بالتبوكية والذى ســـلكه الفاتحون المسلمون للشام ، وكان بنو أمية يسلكون هذا الطريق فى ذهابهم الى مكة والمدينة ، ويحكى ابن الفقيه أن الوليد بن عبد الملك حفر المياه فى مختلف المنازل الواقعة على هذا الطريق كما أنشأ البيمار ستانات للمرضى، فى حين أقام مروان بن الحكم علامات الأميال على حـدود الحرم فقط كما يفهم من ابن رســـتة ، ولو كانت هــذه العــلامات قد وضـــعت على الطريق كله لاهتم الجغرافيون بذكر مراحل الطريق مقدرة بالأميال كما فعلوا فى طرق أخرى (٢٦٤) •

---

(٢٦٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٥ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٣١٠
(٢٦٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٥ ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٣١٠ •
(٢٦٤) موزيل : شمال الحجاز ترجمة دكتور الحسينى ص ١٥٥

وبالنسبة للجزيرة استمرت موجات الهجرة والاستقرار في ديارها، ولئن كانت قد وجدت فرصا سانحة أثناء صراع الفرس والروم قبل الاسلام ، فقد وجدت فرصا أكبر بعد الفتح الاسلامى اذ استمر تدافع النازحين من الصحراء الى مناطق الاستقرار فى الشام والجزيرة ، وكان عهد ولاية معاوية للشام والجزيرة ايام خلافة عثمان فترة هامة في هذا الصدد وان لم تكن الفترة الأخيرة (٢٦٥) • وأشاع الاسلام ثقافته كما صهر الثقافات القديمة بالهلال الخصيب فى البوتقة العربية ، وهكذا أصبح هذا الاقليم وسطا جغرافيا بالنسبة للعالم الاسلامى من ناحية والعالم العربى من ناحية أخرى • ولئن كانت المساحات الصحراوية من عوامل الفصل التى أثرت فى خلق قوميات محلية عديدة ، الا أن التاريخ يثبت أنها كانت عامل ربط بين هذه القوميات ـ اذا أوجدت عملا ثابتا للعنصر البدوى المتحرك بين الجماعات الزراعية المستقلة وهو الاشتغال بالنقل ، ومع نقل التجارة كانت تنتقل الآراء وتشيع الحضارة والثقافة كما كانت تنتقل جماعات البدو وتهاجر وتستقر فى أطراف الريف العراقى أو السورى فى سهولة ويسر (٢٦٦) •

(ج) التوجيه البحرى :

غدت الدولة الاسلامية باستيلائها على فارس وريثة نشاط الفرس التجارى فى ميدان الشرق الأقصى ، كما غدت بفتح الشام ومصر مسيطرة على حوض البحر المتوسط الشرقى ـ وهكذا تحقق للعرب حلم الفرس القديم • على أن « هذا الوضع لم يغير الظروف والطرق التجارية فى المنطقة ، لكن تبدلت الدول المتنافسة وقام عهد تجارى جديد • وكان أمام الدولة الاسلامية الطريقان الرئيسيان اللذان احتكرهما الفرس قبيل زوال دولتهم : طريقا البر والبحر الى الهند والصين ، وقد دب النشاط التجارى الجديد عبر هذين الطريقين بانتظام واطراد » (٢٦٧) •

وأبدت الدولة الأموية عناية فائقة بسياستها البحرية فى البحر المتوسط ، فمعظم سواحل الشام من فتوح معاوية ، بل هو قد ذهب الى

---

(٢٦٥) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides. pp. 135-6
البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٨٦ أيضا ص١٥٧

(٢٦٦) الدكاترة دولت وغلاب والدناصورى : الجغرافيا السياسية ص ٣٦٧ ـ ٨ ، ٣٧٢ ، ٤١٨ •

(٢٦٧) دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ١١١ •

المخاطرة بغزو جزره • وهكذا رأينا الأمـــويين اذ نقلوا مركـــز الدولة الاسلامية من الحجاز الى الشام قد غيروا وجهتها بصورة واضحة تغييرا بدت بوادره منذ عملوا لأبى بكر وعمر فى فتح الشمال ومصر ، لكن هذا التغيير لم تستبين معالمه الا فى عهد معاوية الذى حرص على أن يوجه الدولة كلها وجهة غربية متوسطية ، وتابعه على ذلك خلفـــاؤه « فتحولت دولة الاسلام من دولة قارية صحراوية الى دولة بحرية •وكان الأمويون هم الذين كسروا الوحدة التاريخية القديمة لهذا البحر وحولوه من بحيرة داخلة فى نطاق العالم اللاتينى اليونانى الى حد بين ذلك العالم وعالم آخر جديد هو العالم الاسلامى المشرقى • غير أن انتقال الخلافة الى العباسيين كان نقلا للدولة الاسلامية من عالم البحر الأبيض حيث كان بناؤها يعلو ويتكامل فى محيط هيلينى رومانى وهدفها الحلول محل القســـطنطينية وروما والسيادة على البحر المتوسط ـ الى عالم آسيوى مخالف تماما فأصـــبح الخليفة كسرويا وهدف الدولة الجباية وانفصل الأندلس والمغرب وأهملت شواطىء الشام وصفى الجناح الغربى للدولة الاســـلامية • وكان الذين قاموا بفتح صقلية وكريد فى العصر العباسى من الأندلسيين ، فى حين نفضت الخلافة الاسلامية الشرقية يدها من البحر المتوسط وأخذت آسيا تبتلعها ، ونظرت الى الشواطىء على أنها حدود ونهايات ينبغى حمايتها لا أبواب وثغور يقفز منها الى ماوراء البحر من بلدان • وهكذا لم تنتقل الدولة الاسلامية من عهد التعرف على عالم البحر المتوسط أيام الأمويين الى عهد السيطرة الفعلية عليه والاستفادة منه كطريق للمواصلات والتجارة كما فعل الرومان ، وأوقف ذلك التطور ما حدث من تغير مفاجىء لسياسة الدولة الاسلامية على أثر قيام الخلافة العباسية (٢٦٨) » •

وقد ساعد موقع الثغور بالقرب من البحر المتوسط ، بل ومن الخليج الفارسى والبحر الأحمر والبحر الأسود ، على تأكيد أهمية الدور الذى يمكن أن تؤديه فى التجارة والحرب على السواء • وكانت بذلك مراكز أمامية على الحدود البرية ،تتعاون مع الجبهة البحرية على ساحل البحر المتوسط كما شغلت مراكز حساسة على خطوط مواصلات منتظمـــة تربطها بطرق التجارة العالمية برية وبحرية • وقد عرض ابن خرداذبة لطائفة من التجار العالميين هم **اليهود الراذانية** « الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والأندلسية والصقلبية ، وأنهم يسافرون من المشرق الى المغرب

---

(٢٦٨) دكتور مؤنس : المسلمون فى حوض البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ م •

Cheira : La Lutte entre les Arabes et les Byzantins P. 85.

ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا ، يحملون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ،وهم يركبون البحر المتوسط حتى ساحله فيخرجون ـ بالفرما **أو انطاكية** ، يصلوا الهند والصين فيجلبون من هناك (المسك العود والكافور والدار صينى وغيرها) ويعودون بهذه السلع فيبيعونها فى القسطنطينية أو أوربا ، **أما اذا نزلوا بانطاكية فيحملون معهم متاجر أوربا ثم يسيرون حتى الفرات** ، وفيــه يركبون حتى بغداد ثم يركبون دجلة حتى الأبلة فالخليج الفارسى • ومنه الى المحيط حتى يصلوا الهند والصين (٢٦٩) • وهكذا كانت الثغور حلقة هامة فى المواصلات بين البحار الشرقية والغربية •

د ـ العلاقات الحضارية بين المسلمين والروم :

يقول ارنست باركر E. Barker ان الساحل الشرقى لبحر الروم من القسطنطينية الى الاسكندرية كان لعدة أسباب جغرافية متنوعة منطقة زاخرة بكثير من المشاكل : ففى هذه المنطقة ـ سواء عن طريق البحر الأسود أو البحر الأحمر أو عبر الصحراء ـ كانت أوربا تتصـل بآسيا وما فيها من منتجات وأسرار ، وكانت هذه المنطقة أيضا مهـد المدنيات والديانات والفلسفات ، وكان لابد من وقوع كثير من التصادم فى منطقة كهذه : وبعض التصادم كان اقتصاديا وبعضه كان دينيا وبعضه كان سياسيا وبعضه كان صراعا بين أجناس مختلفة ، وبعضه كان خليطا من ذلك كله • ومن أكبر صور هذا التصادم وأجلها أثرا : ذلك الذى وقع بين كنيسة المسيحية الغربية وحضارتها وشعوبها من جهة ، وبين العقيدة الاسلامية وحضارتها وشعوبها من جهة أخرى • بدأ هذا النضال بهزيمة هرقل ـ الذى يمكننا أن نسميه أول المحاربين الصليبيين ـ على يد قوات عمر فى واقعة اليرموك سنة ٦٣٦م • وكان هذا النضال فى وقت من الأوقات دينيا قبل كل شىء ، ثم غلب عليه العنصر السياسى وقتا آخر ، كما كان نزاعا بين شعوب مختلفة • ونجا بين الرومان والسلاف من ناحية ، وبين العرب والترك من ناحية أخرى • لكنه ظل دائما نزاعا بين طرفين تتقابل فيه حضارتان وجها لوجه ، واحدى مظاهره الحروب الصليبية ١٠٩٦م التى فى وسعنا أن نقول انها اسـتمرت الى عهد السياحات البحرية البرتغالية وكشوف كولمب (٢٧٠) •

---

(٢٦٩) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٥٣ ـ ٤

(٢٧٠) باركر : فصل الحروب الصليبية ـ ترجمة أحمد عيسى من كتاب (تراث الاسلام)، جـ ١ ص ٨٢ ـ ٣

ولم يكن العداء بين الدولتين البيزنطية والاسلامية ليقيم بينهمه سدا منيعا ، فسبيل الاتصال قائم بحكم الظروف الجغرافية والتاريخية، ومسالك الثقافة يتعذر سدها وهكذا التقى المسلمون بالثقافة الهيلينستية فى الولايات البيزنطية وبعض الأراضى الفارسية التى بسطوا سلطانهم عليها ، فانتهلوا من الثقافة الزاهرة فى انطاكية وقيصرية وغزة • ولعب اقليم الثغور والعواصم دوره الحضارى كما لعب دوريه التجارى والحربى• فانتقلت مدرسة الاسكندرية الى مدينة انطاكية فى عهد عمر بن عبدالعزيز، وكانت انطاكية من قبل مركزا لثقافة يونانية زاهرة رعاها اليعاقبة قبل الاسلام ثم أدركها الاضمحلال قبل استيلاء العرب على أنطاكية ـ وذلك على أثر ما أصاب المدينة من نوازل الفرس وزلازل الطبيعة • لكن أتاح لها انتقال مدرسة الاسكندرية اليها على أيدى العرب أن تبعث من جديد • وعلى الرغم من وقوعها فى منطقة الأطراف القلقة بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية ، الا أن موقعها قد يسر جلب المخطوطات اليها من بلاد الروم فى آسيا الصغرى ، والاشراف على حركة تبادل الكتب خـلال فترات السلام بين الحروب • وظلت مدرسة انطاكية زاهرة نحو ١٣٠ سـنة أو أكثر ، ثم انتقلت الى حران بالعراق الأعلى فى عهد المتوكل على يد تلميذين من انطاكية وهناك ظلت زاهرة نحوا من أربعين سنة حتى ارتحل الفلاسفة والعلماء منها الى بغداد فى خلافة المعتضد (٢٧١) • اذا كانت مدرسة انطاكية قد قامت فى قاعدة اقليم العواصم من جهة الشام ، فان حران لم تكن بعيدة عن اقليم العواصم من ناحية الجزيرة •

***

هيئت الظروف الجغرافية الثغور الشامية والجزرية على هذا الوجه لأداء دورها التاريخى على الحدود الاسلامية والبيزنطية فى مختلف المجالات وكما يقول جوردون ايست Gordon East « ••• ليست التخوم الا منطقة انتقال ، فلا تعد فاصـلا حـادا صـارما واضح السمـات • ولما كانت هذه التخوم تمثل رقعة من سطح الأرض فانه يغدو من الواضح أن تقدر أهميتها الجغرافية •• فلا شك أن الظروف الطبيعية التى تسود التخوم مما يعنى الدول الملاصقة لهذه التخوم كثيرا ، لأن لها علاقة بما تمتاز به طرق المواصلات ووسائل النقل والدفاع من صعوبة ويسر » (٢٧٢) •

---

(٢٧١) دكتور العدوى . الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلاميه ص ١٣٨ : ١٤٢ •
(٢٧٢) جوردن ايست : الجغرافيا توجه التاريخ ـ ترجمة دكتور الدناصورى ص ٢-٩...

وقد أدت الثغور الشامية والجزرية دورها الحربى كأداة حجز ووقاية للدولة ، كما أدت دورها الحضارى كوسيلة اتصال بين الشعوب لتبادل المتاجر والثقافات » ولموقع الدول بالنسبة للكتل الأرضية أو المساحات المائية علاقة وثيقة بالسياسة الدفاعية أو الهجومية التى تنتهجها ، والموقع اما متوسط يسـهل اتصاله ببقية البلاد وامـا حدى تتعذر اتصالاته . والمواقع الاستراتيجية لها أهميتها لأنها تعمل فى ابان السلم على توجيه الحركة التجارية ، أما فى زمن الحرب فيستفاد منها فى انشاء القواعد الحربية (٢٧٣) » .

---

(٢٧٣) نيعمند – برسى . الجيوبوليتيكا – ترجمة مجل واسكندر حـ ١ ص ٦٣ – ٤

الفصل الثالث

منشأ الثغور والعواصم وتطورها عند المسلمين

أولا : العوامل المؤثرة فى التنظيم الادارى الحربى الاسلامى فى الشام والجزيرة الجغرافية ، التاريخية ، الدينية) .

ثانيا : الفتح الاسلامى يبرز اسس التنظيم

(الاحتكاكات الأولى ، جيوش الفتح ونواة التقسيم ، الفتوح فى : شمالى الشام ، الجزيرة ، ارمينية ، البحر المتوسط)

ثالثا : مرحلة نشوء التنظيم الادارى العسكرى الاسلامى فى أيام الخلفاء الراشدين

(الاصطلاحات ، الرباطات ، القوى البشرية ، الأجناد ، الشواتى والصوائف)

رابعا : مرحلة نضوج التنظيم الادارى العسكرى الاسلامى

(الأمويون وسياستهم البحرية ، العباسيون وافراد الثغور والعواصم بولاية خاصة)

كان ظهور اقليم الثغور والعواصم فى شمال الشام والجزيرة حلقة من حلقات تطور مر به النظام الادارى فى الدولة الاسلامية منذ فتح تلك الجهات • وفيما يلى عرض للعوامل التى أثرت فى هذا التنظيم وادت الى افراد الثغور والعواصم في ولاية خاصـــة ، وعرض للمراحل التى مر بها التنظيم الادارى الاسلامى حتى وصل الى هذه المرحلة •

أولا ــ العوامل المؤثرة في التنظيم الادارى العسكرى الاسلامى فى الشام والجزيرة

أ ـ الظروف الجغرافية :

كان خط سير الجيوش الاسلامية فى فتح الشام يســير فى طريق القوافل المعروف الذى يؤدى من مكة والمدينة الى دمشق ، ومن ثم كانت أولى المناطق خضوعا لنفوذ المسلمين هى المنطقة الواقعة شرقى نهر الاردن والبحر الميت ، ولم يتهيأ انجاز فتح منطقة الجليل والأراضي المنخفضة من اقليم الأردن وفلسطين حتى تم الاستيلاء على دمشق ونواحيها في الشمال أما اخضاع الاقاليم الواقعة في شمال دمشق بما فيهـا من مدائن كبرى مثل أنطاكية وحلب وحمص فقد أتبع ذلك مبـــاشرة وبذلك انتهى فتح الشام • **وان الخط الذى تحرك فيه جيش الفتح الاسلامى يفسر التقسيم الذى أجرى فى الاقاليم المفتوحة على يد عمر بن الخطاب ، اذ قسمت بلاد الشام الى أقاليم سمى كل منها جندا** • (١) وقد دارت رحى المعارك الحربية بين المسلمين والبيزنطيين فى الشام فى **جهات حددتها جغرافية الاقليم** ، اذ تمتاز تضاريس الشام بتتابع من أرض منخفضة وأخرى مرتفعة تمتد

(١) Le Strange : Palestine under the Moslems. p. 24.

متوازية من الشمال الى الجنوب مع ميل نحو الشرق ، فالساحل تليه أرض جبلية ثم وديان الأردن وأخيرا المنطقة المتصلة بالصحراء . **وقد بدأ المسلمون فتوحاتهم في المنطقة الأخيرة حيث ينتهي الشريان التجارى القديم ، بينما تأخر استيلاؤهم على المنطقة الساحلية التى كانت موضع تمركز البيزنطيين وكانت تأتي منها امدادهم لدفع المسلمين** (٢) ويظهر تأثير الظروف الجغرافية في توزيع القادة المسلمين على مناطق الشام وكان أبو بكر قد سمى لكل أمير من أمراء الشام كورة : فسمى لأبي عبيدة ابن عبد الله بن الجراح حمص ، وليزيد بن أبى سفيان دمشق ، ولشرحبيل بن حسنة الأردن ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة وبن مجزز فلسطين . (٣) وقد ذكر ابن رسته أن عمر كان اذا اجتمع عليه القادمون من أنحاء بلاد العرب أمر عليهم واليا وأمضاهم الى ناحية الشام ، **فجند عمر الشام أربعة اجناد متفرقة في أيدى عماله** : وهم أبو عبيدة بن الجراح وخالد ابن الوليد ويزيد بن أبى سفيان وعمر بن العاص ، **فبقيت الشام على ذلك التجنيد** حتى زاد فيها يزيد بن معاويةقنتشرين ــ وكانت منأرض الجزيرة فصارت أجناد الشام أربعة : جند فلسطين ــ وهي الرملة ، وجند الأردن ــ وهي الطبرية ، وجند دمشق ، وجند قنسرين (٤) .

وكان قيام **جبال طوروس** بممراتها المحدودة على حدود الدولتين الاسلامية والبيزنطية ظرفا طبيعيا ساعد على تكييف الدفاع وتأسيس المدن على نحو معين ، فاذا تأملنا الخط الدفاعي على امتداد جبال طوروس من الفرات الى حدود كيليكيا : فاننا نجد مدينة ملطية Melitene عند التقاء كثير من الطرق الكبرى المؤدية من سبسطية Sebastea (Siwas) وقيصرية Caesarea الى أرمينية ، وعلى الطريق من ملطية الى جرمانيكيا Germanicia (مرعش) عبر جبال طوروس ،نجد قلعتى زبطرة Zapetra والحدث Adata اللتين كثيرا ما تعرضتا لهجوم الروم وقد قام الرشيد بتحصين مرعش وعين زربى وابتنى قلعتى الكنيسة والهارونية بينهما في منطقة التلال التى يجتازها نهر جيجان الأعلى Pyrammus ، وكان الخط من ملطية الى عين زربة يمثل **تحصينات الدفاع عن الجزيرة** ، بينما حصنت الشام بخط آخر كانت مراكزه الرئيسية في المصيصة Mopsuestia وأذنه Adana وطرسوس Tarsus

---

(٢) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٤٧ ــ ٨

(٣) الطبرى جـ ٤ ص ٣٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١١٥ (رواية عن الواقدى).

(٤) ابن رسته : الاعلاق النفيسة ص ١٠٧.

وعند ما كان الطريق الساحلى يبرز من الأبوابالقيليقية (الكيكلية) ويطوف حــول خليج أســوس Isus كان يتجـول بعد ذلك البر متجها الى المصيصة ومنها يسير غربا الى طرسوس مارا بأذنه التى يدخلها عن طريق القنطرة القديمة التى شيدها جستنيان على نهر سارس Sarus ومن بين ممرات جبال طوروس اشتهرت الأبواب الكيليكية Cilician Gates التى استخدمها البيزنطيون والمسلمون فى حروبهم ، ثم الممر الذى يصل بين مرعش وعربســـوس Arabissos (لبســتان أو الأبلســتين) ٠ وكان ممر الأبواب الكيليكية يبدأ من النقطة التى ترتفع فيها الهضـــبة الوسطى لآسيا الصغرى فى ... ب طوانة Tyana الى النقطة التى تنتهى عندها السفوح الجنوبية لطوروس فى سهل كيليكيا ٠ وعند نهاية هذا الممر من الشمال توجد قمة منعزلة شاهقة تتحكم فى منطقة واسعة من سهول كبادوكيا الجنوبية ومنحدرات طوروس الشمالية ، وعلى هذا العلو الشاهق المنيع كانت تقع قلعة اللؤلؤة Lulon التى تداولتها أيدى المسلمين والبيزنطيين وكانت مفتاح الأبواب الكيليكية ، ويقول عنها الأستاذ بيورى Bury أنه عندما كانت فى أيدى الروم كان من العسير على جيش عربى أن يغزو كبادوكيــا ، وعند ما كان يستولى عليها العرب لم يكن فى وسع جيش امبراطورى أن يخاطر باقتحام منافذ الممر الضيقة ، وكان الطريق الشمالى الى طوانه والطريق الغربى الى هرقلة Heraclea يلتقيان بجوارها ٠ كذلك يصعد طريق الى البذندون وهو يجتاز بعدها وديانا ومنحدرة ٠ وضيقة الى نهايته وتتحكم فيه من الجانب الشرقى على ارتفاع شاهق قلعة محكمة البناء من الحجر الأسود تسمى حصن الصقالبة وهكذا كانت طبيعة ممرات جبال طوروس تحدد مواقع معينة يمكن عندها التحكم فى المسالك والمعابر ويبرز بيورى استراتيجية أحد هذه المنافذ الجبلية وهو المسمى بالابواب الكيليكية والذى اعطى اسمه للممر المسمى بها الاسم والذى يبلغ طوله حوالى سبعين ميلا ، بينما كان المنفذ الجبلى نفسه يبلغ طوله مائة ياردة ولا يزيد عرضه عن بضع ياردات قليلة وتكشفه جوانب صخرية عالية ترتفع عمودية من الناحيتين وتهيىء بهذا فرصة الدفاع عنها العدد قليل من رجال أولى عزم يواجهون قوة ضخمة ٠

وقد حرص المســلمون وقت ازدهار دولتهم واشـــتداد قوتهم على السيطرة على البذندون والممر وحصن اللؤلؤة ، وكان الأخير قد تداولته أيدى البزنطيين والمسلمين (٥) ٠

(٥) Bury : History of Eastern Roman Empire : pp. 244: 6

ب ـ السوابق التاريخية :

كانت سوريا فى نهـاية القرن الرابع تنقسم الى عدة مقاطعات :

١ ـ سوريا : وهى القسم الشمالى ، وتنقسم الى جزئين : **سـوريا الاولى** Syria Prima ومركزها أنطاكية ، ومن مدنها الرئيسية سليوكيا (سلوقية) Seleucia ولاودكيا (اللاذقية) Laedicea وجبلة Gabila وبيرويا (حلب) Beroea وخالكيس أدبيـــلوم Chalcis adBelum

وسوريا الثانية : Syria Secondaومركزها مدينة أفامية ومن المدن التابعة لها ابيفانيا (حماه) Epiphaniaوأريتوزه الرستن) Arethusa ولا ريسا (شيزر) Larissa

٢ ـ فينيقيا وقسمت قسمين : **فينيقية الاولى** Phoenicia Prima ومركزها صور Tyre وفى هذا القسم من المدن الرئيسية بتولمايس Ptolemais (عكا) وصـــــيدا Sidon وبيروت Berythusوجبيل Byblus وبوتريس Botrys وطرابلس Tripoli وعرقة Arka وأرواد Aradus · ثم **فينيقية الثانية** أو فينيقية المقابلة للبنان Phoenicia ad Libanum ومركزها دمشق Damascus وتضم مدن حمص Emesa وهوليوبوليس Heliopolis وتدمر Palmyraوفينيقيا الأولى وهى فينيقيا البحرية المعروفة فى التـاريخ ، أما الثانيةفكانت مقاطعة داخلية تضم مدنا لم يســـبق أن كانت تابعة لفينيقيـا أو لبنان ·

٣ ـ فلسطين : وقد قسمت الى ٣ أجزاء :

فلسطين الأولى Palestina Prima وكانت قيصرية مدينتها الرئيسية Caesarea وضمت بجانب ذلك أورشليم Jerusalem ونيابوليس (نابلس) Neapolis وجوبا (يافا) Joppa وغزة Gaza وعسقلان Ascalon وغيرها ·

أما فلسطين الثانية Palestina Secunda فمركزها سكيثوباليس (بيسان) Scythopolis ومدنهـا الرئيسية جدرة Gadara وطبرية Tiberias

وثم فلسطين الثالثة Palestina Tertia كانت مدينتها الرئيسية البتراء Petra وقد تشكلت من الولاية العربية السابقة (١) Arabia

وقد وجد المسلمون هذه التقسيمات البيزنطيـة أمامهم ، فاهتدوا بهار في ترتيب البلاد وادارتها ، كما اه متوحوا مقتضيات الأعمال الحربية للدفاع عن بلاد الشام ضد هجمات البيزنطيين • فقسم عمر بن الخطاب بلاد الشام الى أربعة أجناد : **جند دمشق** ، وفى الشمال **جند حمص** ، والى الغرب والجنوب الغربى **جند الأردن** ويشمل الجليل وغوطة الاردن حتى البحر لليت ، والى الغرب من ذلك **جند فلسطين** الذى يشتمل على الجهات الواقعة جنوبى سهل عكا ويحده البحر المتوسط من الغرب وصحراء التيه والطريق الى مصر من الجنوب • **ثم افرد جند قنسرين** عن جند حمص فى بداية أيام الدولة الاموية على يدى معـاوية أو ابنه يزيد • ويذكر الدكتور العدوى أن « **تلك الاسماء الجغرافية التى سـميت بها اجناد الشام تدل دلالة واضـحة على ان هذا النظام اخذ بأجمعه عن الدولة البيزنطية تشبها بأساليبها التى استعار المسلمون الشيء الكثير منها فى بناء صرح امبراطوريتهم • فالاجناد الاسلامية اقاليم استقرت فيها فرق من الجيش الاسلامية لحمايتها وقبض أعطياتهم فيها وهي تتفق مع التقسيم البيزنطي الذى وجده العرب قائما فى الشام عند فتحها** (٧) ولم تخف على المسعودى أوجه الشبه بين البنود البيزنطية والاجناد الاسلامية حيث يقول « أرض الروم واسعة فى الطول والعرض آخذة فى الشمال بين المشرق والمغرب مقسومة فى قديم الزمن على أربعة عشر قسما ـ أعمال مفردة تسمى البنود ، **كما يقال اجناد الشام** كجند فلسطين نجند الأردن دمشق وجند حمص وجند قنسرين • غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد واطول » (٨) •

ويشير لى سترينج Le- Strange معرض التدليل على هذا الرأى الى ما ورد فى قانون ثيودوسيوس Code of Theodosius الذى يرجع تاريخه الى القرن ٥ م من وصف لتقسيم الشام فى حكم الروم ، ويخلص الى هذه النتائج :

---

(٦) Hitti : History of Syria pp. 351: 3
والترجمة العربية للدكتور جورج حداد وعبدالكريم رافق جـ ١ ص ٣٨٨ ـ ٩ • وقد ذكر فى الترجمة العربية أن مركز فينيقيـة الثـانية حمص لا دمشق خلافا للأصل الانجليزى •

(٧) دكتور العدوى : دراسات فى التاريخ البيزنطى ـ المجلة التاريخية المصرية م ٢ ع ٢ اكتوبر ١٩٤٩

(٨) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٠

١ ـ **فلسطين الأولى** وقصبتها قيصرية وتضم اليهودية والسامرة Judea, Samaria صـــارت **جند فلســطين** وصارت القصبة الرملة .

٢ ـ **فلسطين الثانية** ـ وقصــبتها ســكيثو بوليس (بيســان Beth Shean) وتضم الجليلين والقسم الغـربى من البتراء Petraea صارت **جند الاردن** وصارت القصبة طبرية .

٣ ـ **فلسطين الثالثة ـ أو** Salutaris وتشمل أيدوميا (أدوم) Idumaea والبتراء العربية **ادخل جزء منها في جند دمشــق واعتبر جزء منهـا من جند فلسطين** .

٤ ـ **فينيقيا الأولى** وقصبتها صور ، **وفينيقيا الثانية** أو المقابلة للبنان : صارتا فى التنظيم الجديد مع كثير من الأراضى المتـــدة شرقى الأردن **جند دمشق** .

٥ ـ **سوريا الثانية** ـ الشمال وقصبتها افامية : **قسمها العرب بين حماة وحمص** .

٦ ـ **سوريا الأولى** وقصبتهـــا أنطاكية : صـــارت **جند حلب او قنسرين** أو بتعبير أدق ذلك الجزء من جند حلب أو قنسرين الذى جرى فصله نهائيا تحت اسم جند العواصم . (٩)

واستبقت الدولة الأموية التنظيم القديم للأجناد البيزنطية على هذا النحو themes byzantins باعتبارها تابعة لديوان الجند أو الجيش . وكانت هذه الأقسام أقساما عسكرية ومالية في الوقت نفسه ، وهى تضم المحاربين المقيمين فى كل اقليم ويكفل خراج الأقليم أرزاق جنوده (١٠) . وقد أدى تزايد اهتمام المسلمين بحدودهم مع البيزنطيين نتيجة الصراع المستمر بين الدولتين الى افراد الجزيرة وفصل اقليم قنسرين عن حمص فى صدر العهد الاموى ، ثم فصـــل اقليم الثغور والعواصـم عن جند قنسرين فى العصر العباسى . **وهكذا ادى تراث البيزنطيين في التقسيم الادارى من جهة ، وصراع المسلمين معهم من جهة أخرى الى تشكيل الأجناد الاسلامية على النحو الذى ظهرت به فى المراحل المتتابعه من تاريخها** . روى البلاذرى عن الواقدى « استشار عمر المسلمين فى تدوين الديوان

(٩) Le Strange : Palestine under the Moslems p. 26.

(١٠) Gaudefroy — Demombynes, Platonov: Le monde Musulman et Byzantin p. 216.

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : **قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جندا فدون ديوانا وجند جندا فأخذ بقوله** » (١١) .

وذكر ابن الشحنة تعليقا على تسمية أبى بكر كور الشام لأمراء جيوش الفتح « **فدل بذلك على أن الشام لما كان بأيدى الروم كان منقسما الى هذه الكور الأربع لا غير** • **ومما** يؤيد ماقدمنا ماذكره قدامة بن جعفر في كتاب الخراج أن أبا عبيده سار الى قنسرين وكورها يومئذ مضافة الى حمص ، ولم تزل كذلك حتى أفرد جندها يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج والثغور جندا وأفردها عن حمص وصير حمص وأعمالها جندا • ولما استخلف هارون الرشيد أفرد قنسرين بكورها وصيرها جندا وأفرد منبج ورعبان وقورس ودلوك وأنطاكية وتيزين والثغور وسماها العواصم • وقد قيل ان العواصم من حلب الى حماه سميت بذلك لأن المسلمين يعتصمون بها في الثغور فتعصمهم وقيل أن الذى جعل حلب وقنسرين جندا على حدة وأفردها عن حمص معاوية بن أبى سفيان وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا » (١٢) • وقد أعان على فصل اقليم الثغور والعواصم وجعله جندا مستقلا تحوله الى اقليم حدود بحت أيام العباسيين اذ أتسم عهدهم بالابتعاد عن مشروع فتح القسطنطينية وعن محاولة السيطرة على البحر المتوسط والقضاء نهائيا على دولة الروم • واتخذوا لدولتهم وجهة مشرقية آسيوية بدلا من ذلك •

ج ـ العامل الدينى :

جاء الاسلام يأمر بالجهاد كما يأمر بالرباط • ففى القرآن الكريم « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » ذكر ابن كثير في تفسيره: قيل المراد بالمرابطة مرابطة الغزو فى نحور العدو وحفظ ثغور الاسلام وصيانتها عن دخول الاعداء الى حوزة بلاد المسلمين • وأورد الآثار التى ترغب فى ذلك ، فمنها ما رواه البخارى رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » • وروى أحمد « من رابط فى شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة » « حرس ليلة فى سبيل الله افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها » • ونقل ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك أنه أملى هذه الأبيات بطرسوس فى رسالة منه الى **الفضيل بن عياض سنة ١٧٠ هـ وقيل سنة ١٧٧ هـ** •

---

(١١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٣٦

(١٢) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٩

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى غبار خيل الله في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

فانطلق حامل الرسالة فلقى الفضل بن عياض بهما في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبو عبدالرحمن ونصحنى(١٣)

وقد روى فى فضل انطاكية آثار غريبة منها « انطاكية أم الثغور ، وفضلها على الثغور كفضل الفردوس على سائر الجنان ، الساكن فيها كالساكن في البيت المعمور ٠٠٠ وهى معقل ورباط ، وعبادة يوم فيها كعبادة سنة ، ومن مات فيها كتب الله له يوم القيامة أجر المرابطين (١٤)

ومن هنا تتابع المجاهدون المسلمون على الرباط عند تخوم الدولة وسواحلها ٠ فيروى البلاذرى أن الزبير ابن العوام هم بالغزو وأراد اتيان انطاكية فقال له عمر : يا أبا عبد الله ، هل لك فى ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لى فيها ولكنى أخرج مجاهد وللمسلمين معاونا ، فان وجدت عمرا قد فتحها لم أعرض لأمره وقصدت الى بعض السواحل فرابطت به ، وان وجدته في جهاد كنت معه ، فسار على ذلك ٠

وروى الواقدى أن ابن هرمز الأعرج القارىء كان يقول : خير سواحلكم رباطا الاسكندرية فخرج اليها من المدينة مرابطا فمات بها سنة ١١٧هـ (١٥) فلا عجب اذا رأينا حفيد الرسول الحسين بن على يعرض على الامويين سنة ٦٠ هـ الخروج الى الثغور كحل لخلافه مع بنى أمية فهو يقول لعمر بن سعد بن أبى وقاص الذى ولاه عبيد الله بن زياد وطلب اليه أن يكفيه الحسين « اختر واحدة من ثلاث : اما أن تدعونى فانصرف من حيث جئت ، واما أن تدعونى فأذهب الى يزيد ، واما أن تدعونى فالحق بالثغور » (١٦) ٠

---

(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٤٤ : ٧
(١٤) الغزى : نهر الذهب فى تاريخ حلب جـ ١ ص ٣٩٠ ـ ١
(١٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٢٠ ، ٢٣٠
(١٦) الطبرى جـ ٦ ص ٢٢٠

ثم نجد الرشيد سنة ١٨٧ هـ « أغزى ا بنه القاسم الصائفة فوجبه الله وجعله قربانا له ووسيلة وولاه العواصم » (١٧) ٠

وقد خلف هذا المعنى الدينى أثره على كلمة الرباط من الوجهة اللغوية فغدت اصطلاحا للجهاد المقدس ٠ ففى اللسان « الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو أو الجهاد ، وأصله أن يربط فيه الخيل » وفى القاموس ، المحيط من معانى الرباط « ملازمة ثغر العدو كالمرابطة ، والخيل أو الخمس منها فما فوقهما ، وواحد الرباطات المبنية ٠ والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغرة وكل معد لصاحبه ، فسمى المقام فى الثغر رباطا والربيط الراهب والزاهد والحكيم » ٠ وفى أساس البلاغة : « ورابط الجيش أقام فى الثغر والأصل أن يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم ثم سمى الاقامة فى الثغر مرابطة ورباطا ، والغزاة فى مرابطهم ومرابطاتهم وهى موضع المرابطة ، ووقف ماله على المرابطة وهى الجماعة التى رابطت ومنها : اللهم أنصر جيوش المسلمين ومرابطاتهم ٠٠ »

وقد وردت الاحاديث فى فضائل الشام : منها ما رواه عبد الله بن حوالة وكان رجلا من الأزد مسكنه بالأردن ، قال رسول الله : انكم ستجندون أجنادا ـ جندا فى الشام وجندا فى العراق وجندا باليمن ٠ قال : قلت يا رسول الله : خر لى ٠ قال : عليكم بالشام ، فمن أبى فليحق بيمنه يستق من غدره ، فان الله قد تكفل لى بالشام وأهله ٠

وروى عن كعب الاحبار : أن الرأس الشام وان مصر الذنب وان العراق الجناح ٠ وعنه أيضا : خمس مدائن من مدن الجنة : بيت المقدس وحمص ودمشق وجبرين وظفار اليمن ، وخمس مدائن من مدائن النار القسطنطينية والطوانة وانطاكية وتدمر وصنعاء اليمن ٠ وعنه أيضا : لن تزالوا بخير مالم يركب أهل الجزيرة أهل قنسرين وأهل قنسرين أهل حمص فيؤمئذ تكون الجفلة ويفزع الناس الى دمشق ٠ والمعروف عن كعب الاحبار أنه ينقل عن التوراة ومأثورات بنى اسرائيل ٠ وحدث أبو الدرداء عن النبى : أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وامائهم الى منتهى الجزيرة مرابطون فى سبيل الله فمن أحتل منها مدينة فهو فى رباط ، ومن احتل منها ثغرا من الثغور فهو فى جهاد وفى رواية : فمن

---

(١٧) الطبرى جـ ١٠ ص ٨٩

احتل ساحلا من تلك السواحل فهو في جهـــاد ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو فى رباط • وحدث ابراهيم اليمانى قال : قدمت من اليمن فأتيت ســـفيان الثـــورى فقلت : يا أبا عبـــد الله انى جعلت في نفسى أن أنزل جدة فأرابط بهـــا كل ســـنة وأعتمر كل شـــهر عمرة وأحج فى كل ســـنة حجة ، أفأقرب من أهـــلى أحب اليـــك أم آتى الشـــام ؟ فقال لى : يا أخا أهل اليمن ، **عليك بسواحل الشـــام ، عليك بسواحل الشام ، فان أهل البيت يحجه فى كل عام مائة ألف وثلاثمائة ألف وما شاء الله من التضعيف ـ لك مثل حجهم وعمرتهم ومناسكهم (١٨) •**

ولئن كانت هذه الآثار متفاوتة فى قوة سندها وسلامة متنها فان ايحاءها واضح **ودلالتها بينه على تملك الرباط فى الثغور لمشاعر القوم •**

---

(١٨) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق الدكتور المنجد ص ٤٨ ، ١٨٠ ، ٢١١ ، ٢٣٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، البدرى : نزهـة الانام فى محاسن الشـام ص ١١ : ١٣ ، ابن العديم : بغية الطلب ـ مخطوط ص ١٠٦ : ٨

ثانيا ـ الفتح الاسلامى يبرز أسس التنظيم

(ا) الاحتكاكات الأولى مع اطراف الدولة البيزنطيـــة واحلافها ـ روم العرب : ـ

ارتبطت الحجاز والشـــام بروابط جغرافية وتجـارية من قبـل الاسلام ووجدت علاقات مبكرة بين الروم والعرب ، وقد كانت منازل ثمود تقع على حدود المنطقة المسماة ببلاد العرب الحجرية والتى سميت فيما بعد باسم فلسطين الآمنة ، ودفعت لهـم الامبراطورية الرومانية المـال كى يعترفوا بســلطان الامبراطورية الرومانى ثم البـــيزنطى الذين كانوا يؤجرون فى خدمته • على أن هذا لا يعنى أن تلك المنطقة وهى منطقة قبيلة جذام التى خلفتهم فيما بعد ، كانت تكون جزءا دائما من أجزاء الامبراطورية الرومانية يتبع سوريا ، فأن رئيس القبيـلة الذى كان معتبرا فى نفس الوقت موظفا رومانيا وحليفا ـ كان اذا تأخر تسليم الجزية اليه يرتحل بعيدا عن هذه الحدود ثم يشن الغارة على الرومان ، وهنـــاك كثرة من الوثائق الرومانية والسريانية تؤكد نصوصها ذلك ، واذا نجح الرومان أو البيزنطيون فى استمالة أحد رؤساء القبائل الخطرين امتدت حدود نفوذهم السياسى ، ففى عهد الفيلارخوس امرىء القيس امتد نفوذ الروم جنوبا حتى ضواحى المدينة ، وقد حدث نفس الشىء هذا الشىء فى عهد ملوك غسان الاقوياء اذ ساروا بحملاتهم التاديبية جنوبا حتى واحة العلا وخيبر وحائل • ويقول الزبير بن بكار السهيلى ان عثمـان حويرث عين ملكا على مكة من قبل الامبراطور البيزنطى ، ولكن نفوذ بيزنطة الحقيقى

الثابت لم يكن ليمتد وراء الحد الداخلى المحصن الذى كان يقع على طول السفح الجنوبى لجبل الشراه وقد كان هذا مشهورا عند المؤلفين العرب ، فاننا نستطيع اذن فى سهولة أن نشرح لماذا كان بعضهم يشير الى الحجاز السورية ومعنى ذلك الحجاز التى تتبع سوريا منالناحية السياسية(١٩)

وقد عرف العرب فى رحلاتهم التجارية الى الشام الغساسنة والبيزنطية وذهبوا الى بصرى التى كانت عاصمة الولاية العربية بالشام وفاوض عثمان بن عفان عمال الحدود البيزنطيين المقيمين فى بصرى (وهى من مناطق الاطراف البيزنطية) حين أراد البيزنطيون اجتذاب عرب الحجاز للقضاء على فلول الغساسنة (٢٠) وكان من الطبيعى أن تكون القبائل العربية الضاربة فى شمال الحجاز وعلى تخوم الشلم ذات صلة وثيقة بالروم ، ومن هنا اطلق عليهم العرب وصف (روم العرب) • وقد ظهرت هذه العلاقة الوثيقة بين روم العرب والروم عند فتح الشام، فيرى أن خالد بن الوليد حين قدم مغيثا لاهل اليرموك لقيه رجل من روم العرب ، فقال يا خالد ان الروم فى جمع كثير مائتى الف أو يزيدون فان رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل • فقال خالد أبا لروم تخوفنى ؟ فهزمهم الله على يديه • (٢١)

ولم يغفل المسلمون أمر هذه القبائل العربية المتاخمة للروم والمحالفة لهم • فهى تقف على طريق امتدادهم الى الشام ، ويحقق اتصالها بالروم خطرا كبيرا علىالاسلام فى الجزيرة العربية • وحينأرسل الرسول مبعوثيه يحملون كتبه الى الملوك أرسل شجاع بن وهب الى المنذر بن الحارث بن أبى شمر الغسانى سنة ٦ هـ وقد رفض الامير الغسانى رسالة الرسول وقال : من ينزع منى ملكى ، أنا سائر اليه (٢٢) كذلك روى أن الحارث بن عمير الازدى لما نزل مؤته بكتاب الرسول الى صاحب بصرى أخذه شرحبيل بن عمرو الغسانى وضرب عنقه (٢٣) • وقد وجه الرسول عمرو ابن العاص سنة ٨ هـ الى السلاسل من بلاد قضاعة ـ أرض بلى وعذرة ،

---

(١٩) موزيل : شمال الحجاز ترجمة دكتور عبد المحسن الحسينى ص ٣٠ ـ ٣١

(٢٠) دكتور العدوى : الاموين والبيزنطيون ص ٢٩ ، ٣٤ وقد استند الى عبارة لكمرر ولم يات هذا بمراجعه •

(٢١) الطبرى جـ ٤ ص ٣٦ ـ ٣٧ رواية سيف ، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق تحقيق دكتور المنجد المجلدة الاولى ص ٥٥٠

(٢٢) الطبرى جـ ٣ ص ٨٨ رواية ابن اسحق ، وفى امتاع الاسماع للمقريزى : الحارث ابن ابى شمر الغسانى ص ٣٠٧ ـ ٨

(٢٣) المقريزى : امتاع الاسماع ٣٤٤ ـ ٥

يستنفر الناس الى الشام « وذلك أن أم العاص بن وائل فيما ذكر كانت قضاعية ـ امرأة من بلى ـ فذكر أن رسول الله أراد أن يتألفهم بذلك » (٢٤) وقد تتابعت سرايا الرسول الى تلك المنطقة التى يقطنها روم العرب ومن ذلك سرية زيد بن حارثة الى حسمى وراء وادى القرى سنة ٦ هـ وسببها أن دحية الكلبى أقبل من عند قيصر بجائزة وكسوة فلقية **بحسمى** (الهنيد بن عارض) وابنه (عارض بن الهنيد) فى جمع من جذام **فأخذوا ما معه** » : ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف الى كلب بدومة الجندل ليدعوه الى الاسلام « وقال له رسول الله : ان أطاعوك فتزوج ابنه ملكهم » • وقد تحقق ذلك فهى أول كلبية تزوجها قرشى (٢٥) **وتظهر اهمية هذه الحملات المبكرة فيما ذكره الواقدى فى كتاب الصوائف** الذى صنفه من أن « **غزوة دومة الجندل أول غزوات الشام** • وهى من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ومن دمشق على عشر مراحل ، وهى مدينة عليها سور ولها حصن عادى مشهور فى العرب يدعى مارد • والثانية مؤته والغزوة الثالثة **تبوك** والغزوة الرابعة غزوة **اسامة بن زيد** » وفى مؤته سنة ٨ هـ أراد المسلمون الثأر لمبعوث الرسول الذى قتله شرحبيل بن عمرو الغسانى ومؤته من عمل البلقاء بالشام دون دمشق » •**وفيها تحالف روم العرب مع الروم ضد المسلمين** » فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء فى مائة الف من الروم وانضمت اليه **المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبلى** فى مائة الف منهم عليهم رجل من بلى » • وقد استشهد كثير من المسلمين فى تلك الغزوة • ثم كانت غزوة **تبوك** سنة ٩ هـ «وسببها أن أخبار الشام كانت بالمدينة عند المسلمين لكثرة من يقدم من الانباط بالدرمك والزيت ، فذكروا أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام ، وأن هرقل رزق أصحابه لسنة وأجلبت معه لخم وجذام وغسان وعاملة وزحفوا وقدموا مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بحمص ولم يكن ذلك ، انما ذلك شىء قيل لهم فقالوه » « فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم » (٢٦) ويبدو أن استخدام المؤرخين الاسلاميين لكلمة فى مثل هذه الغزوات والسرايا كان يقصد به

---

(٢٤) الطبرى جـ ٣ ص ١٠٤ رواية ابن اسحق •

(٢٥) الطبرى جـ ٣ ص ٨٣ رواية الواقدى ، المقريزى : امتاع الاسماع ص ٢٦٦ : ٨ •

(٢٦) ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق تحقيق دكتور المنجد م ١ ص ٣٨٥ ـ ٦ ، ٣٨٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٣ ، الطبرى جـ ٣ ص ١٠٧ : ١١٠ رواية ابن اسحق ، ١٤٢ وما بعدها رواية ابن اسحق ، المقريزى : امتاع الاسماع ص ٣٤٤ : ٩ ، ٤٤٥ ، ومابعدها

روم العرب (٢٧) • وقد كانت نتيجة هذه الجهود أن اسلمت عشائر من جذام ، وقدم زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه بعد سرية ابن حارثة الى حسمي وعاهد الرسول (٢٨) • وكانت المنطقة التي تسكنهـــا قبيلة جذام على طريق الشام ، وتأتي اليها من هناك ٣ طرق : الأول عن طريق ايلة والثـــاني عن طـريق معـان وتبوك والثـــالث عن طـريق الازرق وتيماءوبرد (٢٩) **وهكذا هيأت هذه الاحتكاكات الاولى للمسلمين خبرات مبكرة عن اطراف الدولة البيزنطية واحلافها وعرفوا الدور الذي تؤديه هذه الاحلاف والاطراف** • وقد كان خضـــوع صاحب أيلة واكيدر دومة الجندل وصلح أهل جرباء وأذرح نتيجة طيبـــة في هذا السبيل أعقبـت غزوة تبوك (٣٠) » وكانت غزوة مؤتة أول لقاء بين الاسلام وعالم البحر المتوسط ، وهو يدل « على اتجاه نظر الرسول الى الشمال والى أن الامتداد خارج الجزيرة العربية كان في حسابه قبل فتح مكة • وجاءت غزوة تبوك عظيمة الدلالة فهي آخر خطوات التوسع الاسلامي في حياة الرسول وهي كالاشارة الى الطريق الذي تعين على خلفائه اتباعه بالسير براية الاسلام •• ويبدو من دراسة أوليـــات اتجاه الحركة الاســـلامية نحو الشمال أن الهدف الأول كان السيطرة على روم العرب أو العرب المتنصرة عند حدود الحجاز الشـــمالية : وهي جذام وبلي وعـذرة وبهراء وكلب ولخم وعاملة ومجموعة من القبائل القضاعية التي تسمى عادة ببني غسان • ونحن نتبين أن اتجاه الرسول نحو اخضاع هذه القبائل من زمن مبكر جدا من سنة ٥ هـ هو الذي أفضى بالعرب الى الاشتباك بالروم بعد ذلك ، ومن ثم يبدو أن ذلك الاشتباك جاء مصادفة أو استرسالا طبيعيا غير مقصود ، غير أن للموضوع أصولا أبعد تتصل بعلاقات بعيدة بين فريق من العرب وبلاد الشام ـ اذ اتجه **فرع عبد شمس** من قريش الى شئون التجارة والاسفار وصرف جهوده نحو الشمال منافسة لفرع عبد المطلب • فاتصـــل بروم العرب أو العرب الضـــاحية وارتبط بهم بعلاقات مختلفة ما بين تجـــارة وصداقة وحلف ـ ثم اتصل بالشام وعربه ورومه لتيسير تجارتهم • ولما تنبه هؤلاء الى أن الاســـــلام يقتطع منهم أحلافهم من روم العرب ، (وقد

---

(٢٧) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins p. 21,

د• ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية جـ ١ ص ١٧٥ ،

(٢٨) المقريزي : امتاع الاسماع ص ٢٦٧ •

(٢٩) موزيل : شمال الحجاز ـ ترجمة عبدالمحسن الحسيني ص ١٣٣ : ٥

(٣٠) المقريزي : امتاع الاسماع ص ٤٦٣ : ٩ ، دكتور حميد الله الحيدر ابادي : مجموعة الوثائق السياسية ص ٧٤ : ٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٦٦ : ٧٠

عاهد النبى القبائل التى بين المدينة وساحل البحر مثل جهينة وضمرة وغفار وكانت ديارهم في طريق قريش في رحلتهم الصيفية وأراد أن يحيط مكة بقبائل مسلمة أو معاهدة) • ثم فتحت عليهم مكة وانهزموا جملة ، أسلموا له فنفعتهم خبراتهم التجارية والسياسية وعهد اليهم الرسول في العمالات والبعوث » (٣١) •

ويميل الدكتور شعيرة الى قصر العلاقات المبكرة بين المسلمين والروم فى حياة الرسول على العلاقات مع روم العرب النصارى القاطنين على مشارف الشام ، ويذهب الى استبعاد أى علاقات للمسلمين مع الروم البيزنطيين أنفسهم سواء فى الجانب الديبلوماسى أو العسكرى ، وهو يشكك فى روايات ايفاد الرسول لمبعوثيه خارج جزيرة العرب ذاتها ويرى أن مثل هؤلاء المبعوثين كان ينبغى أن يتميزوا بمعرفتهم العميقة للاسلام أو اخلاصهم للرسول ، ولكن دحية المبعوث الى قيصر لم يرو سوى ستة أحاديث ليس في احداها اشارة الى هذه المهمة • والمبعوث الى فيلارخوس بصرى لم يكن أكثر غيرة او حمية • أما اصطلاح الروم الوارد فى أخبار بعض العمليات العسكرية في عهد الرسول فهو ينصرف الى الروم المتنصرة الذين كانوا يعيشون على أطراف بلاد الشام ، ولقد اعتبر المسعودى فى (التنبيه) أن الحملة التى قصدت دومة الجندل سنة ٥ هـ أول حملة ضد الروم • وكذلك فان اصطلاح روم العرب قصد به ايضاح الصلات الوثيقة بين عرب الاطراف الشمالية وبين البيزنطيين • وكأن عامة العرب قد اعتبروا أولئك أقرب الى الروم وأبعد عن عرب الجزيرة • وقد اختفى هذا التعبير حتى تغيرت الظروف واصبحت الشام بعد الفتح الاسلامى مع بلاد العرب فى حكم دولة واحدة • ثم أن الشام كانت تبدأ في اعتبار العرب بعد خيبر وتيماء وفدك أقصى مدائن الحجاز شمالا ، وكان وادى القرى يعتبر خارج نطاق الحجاز وكذلك سهل تبوك ومواضع ذات السلاسل وذات اطلاح ودومة الجندل• **ومن هنا اعتبر روم العرب ساكنين في منطقة شامية تعلو حدود الحجاز** ، ومن هؤلاء : جذام وبلى وعذرة وبهراء وكلب ولخم وعاملة وسائر بنى قضاعة أو الغساسنة • وعلى هذا لا يوافق الدكتور شعيرة من ذهب من المؤرخين الى اعتبار العمليات المبكرة فى تلك المنطقة مرحلة أولى فى الصراع مع البيزنطيين مثل دى جويه DeJoete وكايتاني Caetani ، وان كان الأخير قد ترجم مرة كلمة (الروم) الى

(٣١) دكتور مؤنس : المسلمون في البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو ١٩٥١ ، د• حميدالله الحيدر ابادى ـ مجموعة الوثائق السياسية ـ المقدمة •

(العرب ذوى الصبغة الرومية Arabes Romanises) . ويرى الدكتور شعيرة أن العلاقات بين المسلمين في المدينة وبين دومة الجندل ـ حيث تسكن كلب ـ كانت تسير في طريق التفاهم السلمي والاتجاه لمعاهدة أهلها مع الاستناد لعمليات عسكرية محدودة ، وكذلك كانت الحال بالنسبة لجذام في المنطقة التي تسكنها . أما في شمالى تبوك على مشارف الشام حيث تسكن قضاعة وتوجد مؤتة ومعان وذات السلاسل وذات اطلاح فقد لقي المسلمون معارضة ، وقبيل وفاة الرسول انقسمت المنطقة بين المناوئين الذين أرسل لحربهم اسامة والموالين الذين أوفد من أجلهم عمرو بن العاص . وقد رجحت كفة أعداء الاسلام في دومة حتى غدت مقصد كل مناوىء للاسلام في المنطقة فكانت غزوة تبوك « التى كانت مجمعا لعمليات دبلوماسية وعسكرية متعددة » . وعلا نفوذ المسلمين من سهل تبوك وبين قضاعة فى الشمال وقدمت نواحى أيله ودومة ولاءها (٣٢) .

(ب) تسيير جيوش الفتح ونواة التقسيم الادارى العسكرى :

تبين المسلمون أن أشد الأخطار عليهم انما موطنها الشام حيث البيزنطيون وعمالهم الغساسنة . وقد كانت جهودهم موفقة فى تاليف قلوب العرب على الطريق بين الحجاز والشام حتى وقفوا على أطراف الدولة البيزنطية ودنت ساعة الاصطدام المباشر بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية وقد سير أبو بكر **بعث أسامة** الذى كان الرسول قد أعده ثم توفى دون انفاذه وذلك في سنة ١١ هـ ـ سنة ٦٣٢ م « وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين » « ويوطيء من آبل الزيت من مشارف الشام الارض بالاردن» (٣٣) . وكانت هذه الحملة اختبارا لنوايا البيزنطيين دون توغل فى أرضهم وقد استطاع أبو بكر أن يوطد شئون الدولة الاسلامية داخل جزيرة العرب بقمع المرتدين كما كانت الحيرة أول ماكسبه الاسلام خارج حدود شبه الجزيرة ، وكذلك استولى المسلمون على **عين التمر** ذلك المكان الحصين فى الصحراء الى الشمال الغربى من الكوفة وكان الاستيلاء عليها قبل الزحف الشهير الى الشام (٣٤) وقد انتصر خالد فى عين التمر على جمع عظيم من قبائل النمر وتغلب واياد وكانت فى حصن

(٣٢) Cheira: La Lutte entre Arabes et Byzantins pp. 14: 27.

(٣٣) الطبرى جـ ٣ ص ١٨٨ روايتا ابن اسحق وسيف

(٣٤) دكتور حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ٦ ص ١٨٣

عين التمر للأعاجم مسلحة عظيمة فخرج أهل الحصن فقاتلوا ثم لزموا حصنهم وحاصرهم خالد والمسلمون وافتتح الحصن عنوة » . ثم سار الى **دومة الجندل** ويقال ان اكيدر دومة لما منع فى خلافة أبى بكر ما كان يؤديه الى رسول الله أخرج من جزيرة العرب في دومة فلحق بالجزيرة بين دجلة والفرات فابتنى قرب عين التمر بناء سماه دومة (٣٥) . ولما بلغ أهل دومة مسير خالد الى أحزابهم من بهراء وكلب وغسان وتنوخ والضجاعم فأتاهم ابن الايهم فى طوائف من غسان وكان من رؤساء القوم أكيدر بن أكيدر بن عبد الملك . وقد واصل خالد المسير حتى وصل الى **الفراض « والفراض تخوم الشام والعراق والجزيرة** .. فلما اجتمع المسلمون بالفراض حميت الروم واغتاظت واستعانوا بمن يليهم من مسالح أهل فارس وقد حموا واغتاظوا واستمدوا تغلب وايادا والنمر فأمدوهم ثم ناهدوا خالدا » (٣٦) . **وهكذا طرق المسلمون ابواب الشام من الشمال الشرقي بعد ان وقفوا على مشارفه من الجنوب** .

وجاء فى أكثر الروايات أن خالد بن سعيد بن العاص هو أول من عقد له لواء ولكنها تذكر أن أبا بكرٍ عزله بعد ذلك وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبى سفيان ـ وبين الروايات رواية تزعم ان أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه جيوشا لمحاربة المرتدين وجعله **ردءا فى تيماء** ، أى عقد له قبل تجهيز الجيوش التى أرسلت للشام . وذكر ابن الأثير انه قيل ان أبا بكر سير خالد بن سعيد لما سير خالد بن الوليد الى العراق **ولعل أبا بكر ارسله الى تيماء بعد عودة جيش اسامة وقت ذهاب خالد لمقاتلة المرتدين « ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين اذ قد ينتهز الروم الحرب الداخلية فى بلاد العرب ويحرضونهم على الهجوم على ارض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة فى الانتصار للمرتدين** » (٣٧) . ولم يشأ أبو بكر أن تكون حملة خالد بن سعيد بن العاص اصطداما شاملا مباشرا مع الروم « قالوا : أمر أبو بكر خالدا بأن ينزل تيماء لا يبرحها ، وأن يدعو من حوله بالانضمام اليه والا يقبل الا ممن لم يرتد ولا يقاتل الا من قاتله حتى يأتيه أمره » فكانت مهمة خالد بن سعيد أن يستعين بالعرب الساكنين فى تلك المنطقة ممن لم يرتد على حرب الروم وأمر بالا يندفع فى الهجوم . وقد روى ان عبد الرحمن بن عوف أشار على أبى بكر حين دعا

---

(٣٥) المقريزى : امتاع الاسماع ص ٤٦٧ .

(٣٦) الطبرى ج ٤ ص ٢١ : ٦ رواية سيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٥٥ : ٩

(٣٧) طه الهاشمى : معركة اجنادين ـ مجلة المجمع العلمى العراقى م ٢ سنة ١٩٥٢ الطبرى : ج ٤ : ص ٣٨ ، ابن الاثير . ج ٢ ص ١٥٤

الصحابة للمشاورة في غزو الروم فقال : « انها الروم وبنو الأصفر حديد وركن شديد ، ما أرى أن تقحم عليها اقحاما ولكن تبعث الخيل فتغير في قواصي أرضهم ثم ترجع اليك ، فاذا فعلوا بهم ذلك مرارا أضروا بهم وغنموا من اداني أراضيهم فقووا بذلك على عدوهم • ثم تبعث الى الاراضى أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا اليك ، فان شئت بعد ذلك غزيتهم بنفسك وان شئت أغزيتهم(٣٨) » • ويبدو ان خالد بن سعيد قد وفق في مهمته « فاجتمع اليه جموع كثيرة •• ولم يقتحم واستجلب الناس فعز فهابته الروم فاحجموا عنه • فلم يصبر على أمر أبى بكر ولكن توردها فاستطردت له الروم •• » **فضرب الروم على العرب الضاحية البعوث بالشام** اليهم فكتب خالد بن سعيد الى أبى بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم ونفر اليهم من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان ، وقد رد أبو بكر « أقدم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك » • ولكن اندفاع خالد بن سعيد أدى الى معركة هزم فيها المسلمون في **مرج الصفر** • وبذلك صارت الدولتان البيزنطية والاسلامية وجها لوجه ، وتقدم موعد صدامهما المحتوم على غير مشيئة ابى بكر حتى انه « لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة كتب اليه أبو بكر : « اقم مكانك فلعمرى انك مقدام محجام نجاء من الغمرات لا تخوضها الى حق ولا تصبر عليه (٣٩) » •

وعند ذلك «**اهتاج ابو بكر للشام وعناه أمره**» • وقد كان أبو بكر رد عمر بن العاص على صدقات سعد هذيل وعذرة ومن لفها من جذام ، فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام الى عمرو «انى كنت قد رددتك على العمل الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاكه مرة وسماه لك أخرى •• وقد أحببت أبا عبد الله أن افرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه الا أن يكون الذى انت فيه أحب اليك » • فكتب اليه عمرو « انى سهم من سهام الاسلام وانت بعد الله الرامى بها والجامع لها فانظر أشدها واخشاها وافضلها فارم بها شيئا ان جاءك من ناحية من النواحى » • وكتب أبو بكر الى الوليد بن عقبة بنحو ذلك فأجابه بايثار الجهاد •• فأمد عمروا وأمره على فلسطين وأمره بطريق سماها له ، وكتب الى الوليد وأمره على الاردن وأمده ، ودعا يزيد بن أبى سفيان فأمره على جند عظيم ، واستعمل أبا عبيدة على من اجتمع وأمره على حمص •ولما قدم الوليد على خالدبن سعيد سانده، وقدمت جيوش المسلمين الذين كان أبو بكر أمده بهم وسموا « **جيش**

(٣٨) ابن عساكر م ١ ص ٤٤٣ : ٤

(٣٩) الطبرى جـ ٤ ص ٢٩ : ٣١ ، ٤٠ رواية سيف ، ابن عساكر م ١ ص ٤٥٩

البدال) • فأخذ عمرو طريق المعرقة وسلك أبو عبيدة طريقه وأخذ يزيد طريق التبوكية ، وسلك شرحبيل بن حسنة ـ الذى كان قد قدم من عند خالد بن الوليد فندب أبو بكر معه الناس واستعمله على عمل الوليد ـ طريقه • وسمى لهم أمصار الشام « **وعرف ان الروم ستشغلهم ، فاحب أن يصعد المصوب ويصوب المصعد لئلا يتواكلوا ، فكان كما ظن وصاروا الى ما أحب** » • وقال أبو بكر لعمرو : « **انى قد استعملتك على من مررت من بلى وعذرة وسائر قضاعة** ، ومن سقط هناك من العرب فاندبهم الى الجهاد فى سبيل الله ورغبهم فيه **فمن تبعك منهم فاحمله وزوده ووافق بينهم واجعل كل قبيلة منهم على حدتها ومنزلتها** » (٤٠) •

على هذا النحو سار أبو بكر على سنة رسول الله فى الاتجاه الى الشام والاهتمام بأمره ، وفى هذا يقول ابن كثير « واستهلت سنة ١٣ هـ والصديق عازم على جمع الجنود ليبثهم الى الشام وذلك بعد مرجعه من الحج عملا بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار » واقتداء برسول الله فانه جمع المسلمين لغزو الشام وذلك عام تبوك ثم بعث قبل موته أسامة بن زيد ليغزو تخوم الشام • ولما فرغ الصديق من أمر جزيرة العرب بسط يمينه الى العراق فبعث اليها خالد بن الوليد ـ ثم أراد أن يبعث الى الشام كما بعث الى العراق » (٤١) • ولم يفت أبا بكر أن يحاول ندب روم العرب لفتح الشام والافادة من خبرات الامويين وكفاءتهم ، فاستعمل عمرو بن العاص على من مر به من بلى وعذره وسائر قضاعة وأمره أن يندبهم الى الجهاد ـ كما تقدم ، وأمر يزيد بن أبى سفيان ـ وكان أبو سفيان نفسه فى جيش ابنه وأعقب معاوية أخاه كما أبلى نساء البيت الأموى فى معارك الفتح « فكان بنوا أبى سفيان وأحلافهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب فى القيادات والعمالات من أول الأمر وخاصة فيما يتصل بالشام منها • وقد كان الرسول أول من بدأ ذلك لأنه كان يعلم بما بين بنى أمية والكثير من قبائل عرب الروم مثل بلى من القرابة والرحم فهو الذى ولى عمر بن سعيد بن العاص على تيماء وخيبر وتبوك وفدك • فاذا استطردنا مع فتوح الشام وجدنا رجالا من بنى امية وأحلافهم فى القيادات من أول الأمر • فبعث ابو بكر يزيد بن أبى سفيان وأردفه بأخيه معاوية فكان هذا

---

(٤٠) الطبرى جـ ٤ ص ٢٩ : ٣١ ، ٤٠ رواية سيف ، ابن عساكر م ١ ص ٤٤٦ ، ٤٤٩ : ٥٢

(٤١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢

أول الفتح • ونجد يزيد بن أبي سفيان عاملا لعمر على معظم الشام بعد وفاة أبي عبيدة ثم يخلفه على عمالته أخوه الأصغر معاوية الذى تجتمع الشام كلها له في عهد عمر ، في الوقت الذى يتجه عمرو بن العاص السهمى لفتح مصر ـ أى لاجتذاب المسلمين خطوة أخرى الى شواطىء البحر المتوسط • وقد علق على ذلك المقريزى فى كتابه (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم) فيقول : (فانظر كيف لم يكن فى عمال رسول الله ولا فى عمال أبي بكر وعمر أحد من بني هاشم ، فهذا وشبهه هو الذى حدد أنياب بني أمية وفتح أبوابهم •• فاذا كان رسول الله قد أسس هذا الأساس وأظهر بنى أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح الله عليه من البلاد ، كيف لا يقوى ظنهم ولا ينبسط رجاؤهم ولا يمتد فى الولاية أملهم ؟) ولقد قيل (ما فتحت الشام كورة من كور الشام الا ووجد عنها رجل من بني سعيد بن العاص ميتا) • وبفضل خبرة بنى أمية بالشام وملكاتهم الحربية والسياسية تم فتح هذا القطر فى سرعة لم يكن يتوقعها أحد » (٤٢) •

وقد كانت فى تسمية الكور لقواد الفتح اشارة الى تقسيم الشام الادارى فى حاضره البيزنطى ومستقبله الاسلامى : « فدل بذلك على أن الشام لما كان بأيدى الروم كان منقسما الى هذه الكور الأربع لاغير » كما يقول ابن الشحنة (٤٣) • ويمكن أن نميز فى وقائع فتح الشام مرحلتين : اصطدامات متفرقة خاضها الامراء متفرقين بجندهم حين وطئوا أرض الشام أو حين تقدموا فيها • ثم معارك كبرى خاضها الجيش الاسلامى كله فى مواقع فاصلة انتهت به الى التغلب على الشام (٤٤) • وكان اللقاء الاول فى **وادى عربة** ذلك المنخفض العظيم فى جنوبى البحر الميت ، فانتصر فيه يزيد على سرجيوس حاكم فلسطين الذى كان مركز قيادته فى قيسارية ، وقد لقيت فلول الجيوش البيزنطية الضخمة أثناء تقهقرها هزيمة ساحقة عند **داثن** قرب غزة « **فاول صلح كان بالشام صلح مآب** وهى فسنطاط ليس بمدينة .مر أبو عبيدة بهم فى طريقه وهى قرية من البلقاء •• واجتمع الروم جمعا بالعربة من أرض فلسطين فوجه اليهم يزيد ابن أبي سفيان أبا امامة الباهلى ففض ذلك الجمع • قالوا : **فاول حرب**

---

(٤٢) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط • المجلة التاريخية المصرية م٤ ع١ مايو ١٩٥١ م ، د• العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ٣٥ : ٤٢

(٤٣) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٩

(٤٤) دكتور شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى ص ٢٠

كانت بالشام بعد سرية أسامة بالعربة • ثم أتوا الداثنة ويقال الداثن فهزمهم أبو امامة (٤٥) » • وأسرع هرقل ــ وقد دربته حملاته طوال ست سنوات أجلى فيها الفرس عن الشام ومصر من الرها ادمنا ــ تنظيم جيش جديد ويبعث به الى الجنوب تحت قيادة أخيه تيودور « وأوعب القواد بالناس نحو الشام وبلغ الروم ذلك فكتبوا الى هرقل ، وخرج هرقل حتى نزل بحمص فأعد لهم الجنود وعبى لهم العساكر **واراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله** • وأرسل الى عمر أخاه تذارق لأبيه وأمه فخرج نحوهم فى تسعين ألفا وبعث من يسوقهم حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلق باعلى فلسطين ، وبعث جرجه بن توذرا نحو يزيد بن أبى سفيان ، فعسكر بازائه ، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل ، وبعث الفيقار بن نسطوس فى ستين ألفا نحو أبى عبيدة فهابهم المسلمون » (٤٦) •

ازاء تطور الأحداث كتب أبو بكر الى **خالد بن الوليد** « أن سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فانهم قد شجعوا وأشجعوا » • وأمره بالخروج فى شطر الناس وأن يخلف على الشطر الباقى المثنى بن حارثة فاذا فتح الله على المسلمين الشام رجع خالد الى عمله بالعراق • وقد كانت رحلة خالد خلال الصحراء من العراق الى الشام مثار عدة أبحاث تاريخية وجغرافية لتباين الروايات عن أزمنة تلك الرحلة والطرق المسلوكة فيها وقد يكون بدأ من الحيرة سنة ١٣ هـ (مارس ٦٣٤ م) فاتجه غربا عبر الصحراء الى دومة الجندل (الجوف) الواقعة فى منتصف المسافة بين العراق والشام وكان فى طوقه أن يواصل زحفه عبر وادى سرحان (واسمه قديما بطن السر) الى بصرى أول مدخل يؤدى الى الشام ، **ولكن بعض الحصون تقع فى طريقه** ، لذلك سلك الطريق الشمالى الغربى من دومة الى قراقر (قلبان قراقر) على الحدود الشرقية لوادى سرحان ، ومنها اندفع شمالا الى سوى (قرب سبع بيار شمالى شرقى دمشق) المدخل الثانى للشام ، « فى طريق يأخذه الفذ الراكب ••• وأمر صاحب كل خيل بقدر مايسقيها » • وظهر خالد فجأة فى المنطقة المجاورة لدمشق وفى مؤخرة الجيش البيزنطى تماما ، فأغار على مضيح بهراء وأتى تدمر وحوارين وقصم ، وأتى مرج راهط (معسكر غسانى يبعد نحو ١٥ ميلا عن دمشق قرب عذراء) فأغار على غيسان فى يوم فصحهم ، ونزل بصرى

(٤٥) الطبرى جـ ٤ ص ٣٩ عن على بن محمد ، حتى تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ١ ص١٨١
(٤٦) الطبرى جـ ٤ ص ٣٦ رواية سيف ، حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨١

فكانت أول مدينة افتتحت بالشـــام على يدى خالد فيمن معه من جند العراق • وهكذا نجح خالد في الاتصال ببقية القوات العربية الأخرى التي أصبح الطريق أمامها مفتوحا الى كل فلسطين بعد انتصارها الباهر في معركة اجنادين (٣٠ يولية ٦٣٤) » (٤٧) • ويدور جدل كبير حول زمان معركة اجنادين ومكانها فهناك روايات تؤيد نشوبها سنة ١٣ هـ منها روايات ابن اسحق والواقدي والمدائني والبلاذري ويؤيد ذلك السيوطي وياقوت والذهبي وابن كثير والديار بكرى صاحب تاريخ الخميس وابن عساكر ، في حين أن سيف بن عمر يجعلها سنة ١٥ هـ ويخلص العميد طه الهاشمي من مناقشة المصادر العربية والرومية واللاتينية والسريانية الى حدوث الواقعة سنة ١٣ هـ • وهو يرى أن الجيوش سارت متعاقبة متتابعة ، وأن أول من تقدم كان جيش يزيد وآخر من بعث كان أبو عبيدة اما على رأس قوة قليلة واما وحده ليتولى امرة الشام • وقد ذكر البلاذرى « أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة فاستعفاه من ذلك ، وقد روى قوم أن قد عقد له وليس ذلك بثبت ولكن عمر ولاه الشام » • ويروى ابن عساكر بعث أمراء الشام دون ذكر اسم أبي عبيدة ويقول « فكان خالد مددا لعمرو وكان أمر الناس الى عمرو ••• » « ومع أن الجيوش كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة ففى الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع •• والمبادىء الحربية تتطلب من هذه الجيوش أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشـــمال ، وأن تسعى في زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب •• ويلوح لنا أن الروايات التي ذكرت أن هدف يزيد دمشق غير صحيحة • لهذا نجزم بأن البلقاء كانت هدفه وكانت فلسطين هدف عمرو ، ويظهــر أن شرحبيل استهدف الاردن فســار على طـــريق تبوك وراء جيش يزيد ثم انعطف نحو نهر الاردن فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ينحاز الى أحدهما عنـــد الضرورة •• فان كانت الجيوش العربية تقــدمت على ٣ طرق متوازية الى حد ما ووجهـــة حركاتها خط بصرى ــ غزة فكان ينبغي لها أن تتقدم في حذر وحيطة كلما توغلت في الشمال • وفي هذه الحالة ينبغي أن يقع أول اصطدام في الجنوب بين القدس والرملة لا في الشمال على ضفاف اليرموك • والروايات التي تزعم أن معركة اجنادين وقعت سنة ١٥ هـ تشير الى أن المسلمين فتحوا

---

(٤٧) الطبرى جـ ٤ ص ٣٩ : ٤٢ رواية سـيف ، ٤٤ ـ ٥ رواية ابن اسحق ، وابن عساكر م ١ ص ٤٥٨ : ٤٧٠ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١١٦ : ٩ ، حتى تاريخ تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٢ : ٤

دمشق وحمص فلما بلغهم ارسال هرقل الجيوش نحـــو الجنوب تركوا حمص الى أهلها وتسحبوا من دمشق وتوجهوا الى الجابية ثم اجتمعوا فى جنوبى فلسطين وتغلبوا فى أجنادين على الروم • ويعنى هذا أنهم جعلوا خطوط مواصـــلاتهم على جانبهم الأيسر وعرضوها للخطر لأنه مادامت فلسطين بيد الروم ففى استطاعة جيوشهم أن تتوجه جنوب الشرق وتقف بين جيوش المسلمين وبلاد العرب • • ان نشوب معركة اجنادين قبل نشوب معركة اليرموك يجعل سير الحركات العربية فى بلاد الشام ادعى للقواعد الحربية ، ولما كانت فلسطين الهدف الأقصى لم يكن بد من أن تقع أول المعارك فيها ، وفيها القيسيهن وبيت لحم (اللتان يقدسهما الروم) وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية » على أن ابن عساكر يروى أن أبا سفيان انتقد خطة الفتح فقال : « انى أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والاردن فيحـــولوا بينكم وبين مددكم من المدينة فارتحلوا حتى تجعلوا أذرعات خلف ظهوركم » • ويناقش الهاشمى موقع اجنـادين مستعينـا ببحث دى جويه فى هذا الصدد ويرجح انهـا فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين ، على أن تكون جرش هى الواقعة جنوب اللطرون لا القصبة المعروفة • كما تقع أجنادين قرب خربة يرموث الواقعة الى شمال بيت نتيف ويذهب دى جويه أيضا الى ان معركة اجنادين اختلطت بموقعة اليرموك » ولذلك جعل سيف بن عمر معركة (اليرموك ـ الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التى وقعت فى سوريا بدلا من معركة اجنـــادين استـــنادا الى روايات قديمة ••• وقد وقعت معركة الياقوصـــة فى المكان الذى ينصب فيه نهر الياقوصة فى وادى اليرموك ومن أجل ذلك سميت تارة باسم النهر وتارة باسم الوادى ، ولأجل أن يحافظ البلاذرى والمدائنى على تاريخ وقائعها من جهة ويظلا متمسكين الى حد ما بالروايات القديمة سوغا لانفسهما أن يجعلا من معركة واحدة معركتين وأن يسميا كلا منهما بأحد الاسمين » وأدى هذا الخلط نفسه الى القول بعزل خالد فى معركة اليرموك سنة ١٣ هـ فى حين أن هذه كانت معركة اجنادين وقد كان العزل فى اليرموك سنة ١٥ هـ واخيرا يرجح الهاشمى ما تراءى لدى جويه حين قال « كنت أرى قبلا أنه من الجائز أن اجنادين اسم جنس صيغ من تثنية جمع جند ، مضاف الى واقعة أو يوم فيوم اجنادين قد يعنى المعركة التى جرت بين الجيشين المجتمعين جيش الشام وجيش العراق » وهو يعزز هذا الرأى بما عرف عن العرب من تسمية بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محـــل كيوم داحس والغبراء فى الجاهلية ويوم ارماث فى الاسلام• وهو يرد على ماثار من اعتراضات على ذلك فيقول «فمتى أصبحت

اجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النساخ أهملوا كتابة حرف التعريف . ولا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه فيقال : اجنادين فى فلسطين ـ كما أورد اليعقوبى » . وعلى هذا التخريج تكون اجنادين تسمية راجعة الى أن « **العرب اشتركت بأجنادها : أجناد خالد وعمرو ويزيد وشرحبيل ، والروم اشتركت بأجنادها جند قيسارية وجند غزة والجند الذى جهزه هرقل بقيادة تيودور** . ولاشك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل » (٤٨) . وهذا التعليل لاسم الموقعة يقدم بداية مبكرة لاستعمال اصطلاح (الاجناد) فى فتح الشام .

— **ويرى الدكتور شعيرة فى اجنادين البداية الحقيقية للتوسع الاسلامى** ، فقد كان أبو بكر فى أول الأمر يتابع سياسة الرسول التى تجمع بين الملاينة والشدة مع روم العرب فأنفذ بعث أسامة كما سير خالد بن سعيد . غير أن **هدف** أبى بكر فى أول الامر ـ عند الدكتورة شعيرة ـ كان محدودا مقصورا على **استعادة الارض التى فقدها الاسلام فى الشمال بعد ردة أهلها** . وكان لابد من متابعة فتح طريق الشمال لأهميته التجارية واخضاع قبائل روم العرب دون أن تكون هذه العمليات مرحلة مبكرة لفتح الشام نفسها ، فلم تكن هناك خطة للفتح أو رغبة فى تحويل روم العرب للاسلام أو السيطرة على بلادهم ، وانما كان هناك فقط اتجاه لغزوة ناجحة . ثم تولد التفكير لدى المهاجمين وأعدائهم بعد أن تتابعت المعارك . **ويردد البعض خبر اتفاق سرى بين المسلمين وروم العرب** ـ من لخم وجذام وشتى بطون قضاعة ـ كان من شأنه تيسير العمليات الحربية الاسلامية ، ولا يستند هذا القول الا الى نص غير محدد لسيبيوس Sebeos . وان كانت قضاعة قد دخلت فى حلف المسلمين منذ أواخر حياة الرسول . وربما كانت رواية سيبيوس صدى **لخيبة أمل الروم فى حلفائهم** من العرب . على أن بطريق قيصرية عندما هبط جنوبا لغزو العرب وانهزم وجدت بيزنطة نفسها لأول مرة قد انزلقت الى حلبة الصراع ، فقد غدا الامر منذ ذلك الحين أمر هيبتها ونفوذها ، وأدت الظروف الى **تعميم النزاع** الأول حتى صار شاملا . وأرسل أبو بكر جيوشه **مددا** للمسلمين الذين تحفز لهم عدوهم . وكانت مراقبة الاحداث من اختصاص **قائد القوات**

---

(٤٨) طه الهاشمى : معركة اجنادين ، مجلة المجمع العلمى العراقى م ٢ سنة ١٩٥٢ م ، د. جورج حداد : فتح العرب للشام ص ٤٣ : ٥٢ ، ابن عساكر : م ١ ص ٤٤٧ ـ ٥٣٢ ، ٨

البيزنطية في المشرق المقيم في أنطاكية ، ولكن الامبراطور تولى بنفسه زمام الموقف لاهتمامه بأحداث الشرق منذ توليه العرش • **وكانت بيزنطة قد اهملت اسلوبها في الاعتماد على الحالفين او المعاهدين** F_0ederati وقد تبين أنها كشفت بذلك حدودها للمخاطر • ولكن الامبراطور قدم بنفسه ليعالج الامر ولم يكن في وسعه إن يقدر العلاج بأكثر من توجيه حملة تأديبية واعادة امارة الغساسنة الى ما كانت عليه • ولكن بدأ الفتح الاسلامي بانتصار اجنادين « الذى لا يعد بالنسبة للعرب واقعة أيا كانت **ولكنه حيث ولد فيهم شعورا جديدا بالعزم على بناء امبراطورية** • فقد كان الامر بالنسبة لهم في البداية مقصورا على توطيد نفوذهم في شمالى بلاد العرب ومعاودة استمالة روم العرب الى جانبهم ولم تكن وجهتهم وقتذاك هي الفتح وكان الامر بالنسبة لبيزنطة من الوجهة المقابلة : معاودة اقرار الامن على الحدود السورية برد هجوم لم يستشعر فيه البيزنطيون المدى اللازم لاعتباره فتحا • ولكن العرب بانتصارهم في أجنادين واجهوا على الفور امكان اضطلاعهم بفتح كبير وليس هذا معناه فقط أنهم استغلوا النصر من حيث الاستراتيجية والتكتيك ولكن هذا يعنى أيضا انبعاث **روح النصر** كما كانت أيام النبى •• وقد استبان قصد الفتح عند العرب فور هذا النصر • ويروى كايتاني ان هـذا القصد قد تميز فقط بعد اجنادين بشهور عندما تقدم المسلمون نحو دمشق ، وقد أبطأت الحركة بين هاتين المعركتين • وكان الزحف على دمشق في نظر كايتانى حدثا جديدا يكون بداية مرحلة جديدة • وانه لمن الضرورى في الحقيقة أن يحدد التاريخ الذى أخلص فيه العرب وجهتهم الى فتح الشام •• ونرى نحن ان مولد تلك اللحظة كان قبل الوقت الذى حدده كاتياني بشهور قليلة ، لقد ولدت على الفور بعد انتصار أجنادين » (٤٩) •

وبمجىء خالد بن الوليد وشهوده اجنادين بدا الاتجاه الى توحيد القيادة ، وهو احتمال قدره أبو بكر منذ تسيير جيوش الى الشام « وذكر أبو مخنف أن أبا بكر قال للأمراء ان اجتمعتم على قتال فأميركم ابو عبيدة والا فيزيد ••• وروى الواقدى أنه قال اذا كان بكم قتال فأميركم الذى تكونون في عمله • وروى أيضا أنه أمر عمروا مشافهة أن يصلى بالناس اذا اجتمعوا واذا تفرقوا صلى كل أمير بأصحابه • وأمر الأمراء أن يعقدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم » (٥٠) فلما أرسل هرقل قواته لمهـاجمة العرب

(٤٩) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins pp. 27 : 40

(٥٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١١٤ ـ ٥

« وأراد اشتغال بعضهم عن بعض لكثرة جنده وفضول رجاله ... ففزعوا خنيفل بالكتب وبالرسل الى عمرو ، فكاتبهم وراسلهم أن الرأى الاجتماع .. وقد كتبوا الى أبى بكر بمثل ما كاتبوا به عمروا فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو » . وبهذا الرأى نفسه أشار خالد حين أتى الشام «ان أبابكر لم يبعثنا الا وهو يرى انا سنتياسر .. فقر أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لاحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه ان دانوا له .. فان هؤلاء قد تهيئوا وهذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا لنتعاور الامارة ... ودعونى اليكم اليوم . فأمروه وهم يرون انها كخرجاتهم وان الامر أطول مما صاروا اليه . فخرجت الروم فى تعبية لم ير الراءون مثلها قط ، وخرج خالد فى تعبئة لم تعبها العرب من قبل ذلك » (٥١) . وهكذا « أحس كل من خالد وعمرو أن الجيوش الاسلاميه لا يمكنها أن تخطو خطوات بعيدة وهى على حالها من الغارات التى لا خطة لها ولا تدبير ، ولذلك صار كل يفكر فى احتلال منظم للبلاد السورية . وشعر عمر بن الخطاب بسداد هذه الفكرة فساعدها ، وكنت ترى فى تلك الآونة عائلات كبيرة تؤم هذه البلاد بشكل قبائل » (٥٢) . وقد سجل البلاذرى تطور أسلوب المسلمين فى القيادة أثناء فتحهم للشام « لما قدم المسلمون الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية يغزوها ويبث غاراته فيها فكان عمرو يقصد لفلسطين وكان شرحبيل يقصد للاردن وكان يزيد يقصد لارض دمشق . وكانوا اذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه واذا احتاج أحدهم الى مساندة صاحبه وانجاده سارع الى ذلك . وكان أميرهم عند لاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر وعمرو ، **حتى قدم خالد فكان أمير المسلمين فى كل حرب** . ثم ولى أبو عبيدة أمر الشام كله وأمرة الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر » (٥٣) .

ويعزى ما لقيه المسلمون من صعاب ومقاومة خلال عمليات فتح الشام الى نظام البنود أو الاجناد البيزنطى Thema الذى جعل المناطق الادارية العسكرية وحدات قائمة بنفسها قادرة على رد أى عدوان أو انهاك مهاجمها حتى يأتيها المدد من جهات أخرى تجاورها (٥٤) . فلما انتصر المسلمون

(٥١) الطبرى جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٣ رواية سيف ، ابن عساكر ص ٥٤٨

(٥٢) د. جورج حداد . فتح العرب للشام ص ٥٢

(٥٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٢

(٥٤) دكتور العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٣٩

في أجنادين اندفعوا الى جنى ثمار هذا الانتصار ، وجرب البيزنطيون أن يتخذوا ماوراء مستنقعات بيسان مركزا لهم ، ولكنهم عبروا الاردن عندما هوجموا وقابلوا المسلمين في فحل وهو مكان منيع وله أهمية جغرافية (واسمه باليونانية Pella) وهو يقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة طبرية ويهيمن على معبر الاردن كما يقع في الطريق الى دمشق وذلك في ذي القعدة سنة ١٣ هـ (يناير سنة ٦٣٥ م) « فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها وهي أرض سبخة فكانت وحلا . ونزلوا فحل وبيسان بين فلسطين وبين الاردن فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم وحلت خيولهم ولقوا فيها عناء ثم سلمهم الله ، وسميت بيسان ذات الردغة لما لقي المسلمون فيها . ودخل المسلمون فحل ولحقت رافضة الروم بدمشق وقد اجتمعت الى باهان » . ووجد البيزنطيون أنفسهم غير قادرين على حفظ كيانهم في مرج الصفر في أول المحرم سنة ١٤ هـ (فبراير سنة ٦٣٥ م) وهو سهل يبعد عشرين ميلا جنوبي دمشق ، فانهزم الروم الى دمشق واغلقوا أبوابها . وظهر المسلمون قرب حصون المدينة بعد أسبوعين ، وقد حوصرت دمشق حصارين الأول قبل اليرموك والثاني بعد اليرموك التي وقعت سنة ١٥ هـ . « وقدم خالد وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخيل عياض وعلى الرجل شرحبيل ،فقدموا على دمشق وعليهم نسطاس فحصروا أهل دمشق ونزلوا حواليها ، وهرقل يومئذ بحمص ومدينة حمص بينه وبينهم . فحاصروا أهل دمشق نحوا من سبعين ليلة حصارا شديدا بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون الغياث ، وهرقل منهم قريب ـ وقد استمدوه ، وذو الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق كأنه يريد حمص ... وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك اذا هجم البرد قفل الناس ... » (٥٥) ويذكر بعض المؤرخين أن أباعبيدة وخالد ذهبا الى بعلبك وحمص بعد سقوط دمشق وانهما تركا يزيد وشرحبيل قرب الساحل . ويستبعد دي جويه أن يقع هذا في تلك الآونة ، فان المؤرخين قد يكونون مخطئين في عدم التفريق بين الحصار الأول والثاني ، وعلى كل حال اذا كان خالد وقواده قد فعلوا هذا فانما يكون فعلهم اجراء مؤقتا فحسب (٥٦) .

وبينما كان المسلمون يديرون عملياتهم الحربية في الجنوب ويتحركون

(٥٥) الطبري جـ ٤ ص ٥٥ : ٦٠ روايتا ابن اسحق وسيف ، ابن عساكر م ١ ص ٤٨٥ : ٧ ، ٥١٤ : ٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٢١ ـ ٢ ، ١٢٤ : ٨

(٥٦) د. جورج حداد : فتح العرب للشام ص ٩٦

نحو وسط الشام ، كانت القيادة البيزنطية تواجه الموقف من الشمال • فيروى ابن عساكر أن الروم « **سارت من أنطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلك** » • ويروى البلاذرى نبأ **تحرك هرقل من حمص الى أنطاكية** (٥٧) • وهالت هرقل تلك الانتصارات المتتالية فاستجاش الجند من كل شعوب امبراطورية الروم والصقالية والارمن ومن العرب المتنصرة بقيادة جبلة بن الايهم ، ساعيا فى ذلك بنشاط **بين أنطاكية والرها** ، محاولا انقاذ سورية الجنوبية وفلسطين وممنيا نفسه بطرد العرب من الشام بعد ذلك ، بل وغزو الجزيرة العربية نفسها • وقاد المجموع باهان وقيل تيودور ، فقرر العرب الانسحاب الى مكان يسهل منه استقبال المدد عبر الصحراء وعزموا على الصمود الى النهاية • وكان من قول بعضهم : « كيف ندع هذه الاعين المتفجرة والانهار والزرع والاعناب والذهب والفضة والحرير ونرجع الى قحط الحجاز وجدوبة الارض وأكل الشعير ولباس الصوف ؟ » وتراجع العرب بناء على نصيحة خالد ونزلوا واديا يعرف **باليرموك** وهو الفرع الشرقى لنهر الاردن ويصفه الجغرافيون بأنه سهل فسيح على سيف صحراء الاردن يصلح لأن يكون معسكرا لجيش كبير وهذا الموقع « من أشد بقاع الارض قيظا ، وقد أحسنت القيادة العربية الاختيار دون نزاع » وقد أدت أبحاث الرحالة Seetzen سنة ١٨٠٦م الى اكتشاف مكان المعركة ، فقد رأى القرية التى أعارت اسمها الى السهل القريب منها وهى الياقوصة (الواقوصة) • وروى أن الروم حاولوا صرف العرب عن القتال وعرضوا عليهم الاموال ولكنهم أبوا الا القتال • « وكان هرقل قد نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير ، ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك • فلما نزلها اقام بها وبعث الصقلار خصيا له فسار بمائة ألف مقاتل معه من أهل ارمينية اثنا عشر ألفا عليهم جرجه ، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاعة اثنا عشر ألفا عليهم جبلة بن الايهم الغسانى وسائرهم من الروم ، وعلى جماعة الناس الصقلار ، وسار اليهم المسلمون وهم أربعة وعشرون ألفا عليهم أبو عبيدة •• ولزم الروم خندقهم عامة شهر يحضضهم القسيسون والشمامسة والرهبان وينعون لهم النصرانية ، حتى استبصروا فخرجوا للقتال الذى لم يكن بعده قتال مثله ••• فخرجت الروم فى تعبية لم ير

---

(٥٧) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق م ١ ص ٤٦٠ ـ ١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٠

الرواون مثلها قط وخرج خالد بتعبية لم تعبها العرب قبل ذلك ، فخرج في ستة وثلاثين كردوسا الى الاربعين ، وقال ان عدوكم قد كثر وطغى وليس من التعبية تعبية أكثر للعين من الكراديس ٠٠ واقتتل الناس قتالا شديدا حتى دخل عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حتى سابقن الرجال ٠ وقد كان انضم الى المسلمين حين ساروا الى الروم ناس من لخم وجذام فلما رأوا جد القتال فروا ونجوا » ٠ وفي المدة التى أعقبت معركة اليرموك الى بداية سنة ١٦ هـ ، توجه العرب الى أمكنتهم التى أتوا منها ، واسترجعوا المدن التى افتتحوها قبل المعركة ، متيقنين ان تلك المدن كانت دائما تحت ادارتهم و لم تفلت يوم تركوها ليحاربوا البيزنطيين فى اليرموك ٠ **ومن هنا لم يشر المؤرخون العرب الى سير المسلمين نحو دمشق وحمص بعد اليرموك بل قالوا ساروا نحو انطاكية وقنسرين** « فخرج الى خالد أهل دمشق فقالوا : نحن على عهدنا وصلحنا ؟ قال : نعم ٠٠ ثم ساق وراءهم الى حمص » ٠ وحصر أبو عبيدة **بيت المقدس** فطلب أهله منه ان يصالحهم على صلح أهل مدن الشام وان يكون المتولى للعقد عمر بن الخطاب ، فكتب اليه بذلك فسار عن المدينة » ٠ وهكذا انفتح أمام المسلمين طريق الغزو الى جبال طوروس وسلم هرقل على الشام سلام مودع قائلا:«عليك ياسوريا السلام ،ونعم البلد هذا للعدو »(٥٨)٠
Vale Syria et ultimatum vale

ويبدو من ايثار أبى بكر للشام على العراق بايفاد سيف الله المسلول خالد بن الوليد اليها **مدى اهتمام المسلمين بالشام** « فارسل الى خالد وهو بالعراق وكتب : أن انصرف بثلاثة آلاف فارس قاصدا اخوانك بالشام ، والعجل العجل ٠٠٠ فوالله لقرية من قرى الشام يفتحها الله على المسلمين أحب من رستاق العراق » (٥٩) ٠ وقد سأل عمر جمع بجيلة : أى الوجوه أحب اليكم ؟ قالوا : الشام فان أسلافنا بها ، فقال : بل العراق فان الشام فى كفاية ٠ فلم يزل بهم ويأبون عليه (٦٠) ومن هنا صح قول الدكتور فيليب حتى « **ان الغارة على العراق تقف من ناحية التوقيت**

(٥٨) الطبرى جـ ٤ ص ٣٣ : ٦ رواية سيف ، رواية ابن اسحق ص ١٣٦ ، ١٥٩ ، ابن عساكر م ١ ص ٥٣١ وما بعدها ، د٠ ماجد التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ١ ص ١٨٤ : ٧ ، حتى : تاريخ العرب : ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٥ ـ ٦ ، د٠ حداد : فتح العرب للشام ص ١٠٠ ، ١٠٢ ـ ٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ١٤، البلاذرى فتوح البلدان ص ١٤١ : ٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٣٥ ـ ٦
(٥٩) تهذيب ابن عساكر (بدران) جـ ١ ص ١٤٧
(٦٠) الطبرى جـ ٤ ص ٧١ ـ ٢ رواية سيف

التاريخي على رأس اعمال المسلمين الحربيـــة ولكن من وجهة نظر المدينة والحجاز كانت بلاد الشام المجاورة هي محل الاهتمام الاكبر » • وقد جاءت بلاد الشام محققة لآمال المسلمين فيها « فقد كانت السرعة واليسر اللذان تم بهما الحصول على اقليم ذى أهمية استراتيجية عظيمة من أعظم دولة في ذلك العصر من العوامل التى أكسبت دولة الاسلام الناهضة حديثا نفوذا في أعين العالم ، والأهم من هذا أنها جعلت أبناء تلك الدولة على ثقة مما يخبئه القدر لهم • فمن الشام زحفت الجموع الى مصر ، ومن ثم سلكت سبيل النصر الى كل شمالى افريقية ، **واتخذت الشام كقاعدة بدأت منهـا الهجمات على أرمينية وشمالى العراق وجورجيا واذربيجان • كذلك كان من السهل ان تتخذ ايضا قاعدة لغارات السنين المتوالية على آسيا الصغرى** وبفضل جنود الشام كان من الممكن أن تنطوى اسبانيا الواقعة في الطرف الاقصى من أوربا ــ قبل أن يمر على وفاة الرسول مائة سنة ــ في دائرة الاسلام المتزايدة الى الابد في الاتساع » (٦١) •

(ج) فتح شمالى الشام :

كان شمالى الشام قريبا من الاراضى الأصلية للدولة البيزنطية ، وفيه انطاكية المدينة العريقة • ولم يخف على مؤرخى العرب اهمية تلك المنطقة الشمالية من بلاد الشام بالنسبة للروم ، فيروى بعضهم ان هرقل لما بلغه أمر رسول الاسلام على أثر رسالته اليه سنة ٦ هـ عرض على قومه أن يصالحه ويقاسمه « فهلم فلأصالحه على ان اعطيه ارض سورية ويدعنى وأرض الشام • وكانت أرض سورية أرض فلسطين والاردن ودمشـــق وحمص ــ وما دون الدرب من أرض سورية ، **وكان ما وراء العرب عندهم** الشام فقالوا له : نحن نعطيه أرض سورية وقد عرفت انها الشام ؟ والله لانفعل هذا أبدا » • (٦٢) وقد أعاد مؤرخو العرب ذكر هذا العرض مرة أخرى عند استهلال فتوح الشام « قالوا : وقد كان هرقل حج قبـــل مهزم خالد بن سعيد بيت المقدس ، وبينما هو مقيم به اتاه الخبر بقرب الجنود منه ، فجمع الروم وقال : أرى من الراى الا تقاتلوا هؤلاء القوم أو تصالحوهم ــ فو الله لأن تعطوهم نصف ما اخرجت الشام وتأخذوا نصفا وتقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم • فتنخر أخوه ونخر ختنه وتصدع عنه من كان حوله » (٦٣)

(٦١) حتى : تاريخ العرب ــ ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٢ ، ١٨٩
(٦٢) الطبرى جـ ٣ ص ٨٨ رواية ابن اسحق
(٦٣) الطبرى جـ ٤ ص ٣٧ رواية سيف

ومهما كانت قيمة هذه الروايات من الوجهة التاريخية فانهـا تدل على استشعار اهمية خاصة لمنطقة شمال الشام . وقد تأيد هـذا عند فتح الشـام اذ كان هرقل يدير المعركة متنقلا ما بين حمص وانطاكيـة «فكتبوا الى هرقل وخرج حتى نزل بحمص فأعد لهم الجنود وعـين لهم العساكر .. وانتهت الهزيمة الى هرقل وهو دون مدينة حمص ، فارتحل فجعل حمص بينه وبينهم وأمر عليها أميرا فخلفه فيها .. ونزل المسلمون حوالى دمشق وهرقل يومئذ بحمص ومدينة حمص بينه وبينهم» . وسار هرقل فيه الروم حتى نزل انطاكية ومعه من المستعربة ومن أهل ارمينية (٦٤). ولم يغفل المسلمون عن مناوشة المنطقـة الشـمالية فى أول الفتوح فهم فى حصارهم لدمشق جعلوا «ذا الكلاع بين المسلمين وبين حمص على رأس ليلة من دمشق» . ولما جاء كتاب أبى عبيدة الى عمر بن الخطاب يسـأل عن الذى ينبغى أن يبدأ به كتب اليه : «أما بعـد ، فابدأوا بدمشـق فانهدوا لها فانهـا حصن الشـام وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم فى نحورهم وأهل فلسطين وأهل حمص فان فتحها الله قبل دمشق فذاك الذى نحب ، وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من يمسك بها ويدعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد الى حمص ودع شرحبيل وعمروا وأخلهما بالأردن وفلسطين وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من امارته» ، فلمـا انجز المسلمون فتح دمشق وفحل «انصرف أبو عبيدة بخالد من فحل الى حمص سنة ١٣ هـ» (٦٥) ، وهكذا بدأ فتح شمالى الشام .

ففى سنة ١٥ هـ خرج أبو عبيدة بخالد فحل الى حمص ، و انصرف الى الروم بمن أضيف من اليرموك فجرت واقعة بينه وبين الروم فى مرج الروم وكان على الروم توذرا البطريق ، وقدم عليه شنس الرومى فى مثل خيله امدادا له وردءا لأهل حمص ، وقد هزم المسلمون الروم وواصـلوا سيرهم الى حمص . وأراد الروم أن يستعينوا على حربهم ببرودة الجو التى لم يألفها العرب «ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهـل المرج أمر أمير حمص بالسير والمضى الى حمص ، وقال انه بلغنى أن طعامهم لحوم الابل وشرابهم ألبانها وهذا الشتاء فلا تقاتلوا الا فى كل يوم بارد .. وارتحل من عسكره ذلك فاتى الرهاء وأخذ عامله بحمص . واقبل أبو عبيدة حتى نزل حمص

---

(٦٤) الطبرى جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٧ ، ٥٧ رواية سيف ، ١٣٦ رواية ابن اسحق

(٦٥) الطبرى جـ ٤ ص ٥٦ ـ ٧ ، ٦٠ رواية سيف ، ابن عساكر م ١ ص ٤٨٧ ، ٥١٤

وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يغادرون المسلمين ويراوحونهم في كل يوم بارد ، ولقى المسلمون بها بردا شديدا والروم حصارا طويلا ؛ فأما المسلمون فصبروا ورابطوا وأعقبهم النصر .. فنادى أهل حمص : الصلح الصلح ، فأجابهم المسلمون وقبلوا منهم على أنصاف دورهم وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنيانهم ولا ينزلون عليهم ، فتركوه لهم . فصالح بعضهم على صلح دمشق : على دينار وطعام على كل جريب أبدا — أيسروا أو أعسروا ، وصالح بعضهم على قدر طاقته ان زاد ماله زيد عليه أو نقص نقص ، وكذلك كان صلح دمشق والاردن .. وولوا معاملة ماجلا ملوكهم عنه » . وأمنهم أبو عبيدة على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وأرحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد ، وكان قد صالح بعلبك على نحو ذلك . ثم صالح **حماه وشيزد ومعرة حمص** (التى نسبت أيضا الى النعمان بن بشير فقيل معرة النعمان) **وفامية أيضا** « وأذعنوا بالجزية والخراج واستتم أمر حمص » (٦٦) .

وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد **الى قنسرين** فالتقوا بجيش الروم وعليه ميناس فهزموه . وأرسل أهل حاضر قنسرين الى خالد « انهم عرب وانما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه » . فقبل منهم وسار حتى نزل على قنسرين ، فتحصنوا منه ثم طلبوا الصلح على صلح حمص ولكن خالد قدر أهمية المدينة العسكرية وتحصيناتها ومقاومة أهلها فاشترط اخرابها « واتطأت حمص وقنسرين ، فعند ذلك خنس هرقل » ورحل أبو عبيدة الى **حلب** وعلى مقدمته عياض بن غنم الفهرى ، فتحصن أهلها ثم طلبوا الصلح « وقال بعضهم : ان أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحدا ، وذلك أن أهلها انتقلوا الى أنطاكية وأنهم انما صالحوه عن مدينتهم وهم بانطاكية ، وراسلوه في ذلك فلما تم صلحهم رجعوا الى حلب . وقيل ان أبا عبيدة لما بلغ حلب بلغه ان أهل قنسرين نقضوا فوجه اليهم السمط بن الاسود الكندى فحصرهم وفتحها » . وصولح عرب حاضر حلب على الجزية وسار أبو عبيدة من حلب **الى انطاكية** وقد تحصن بها خلق من أهل جند قنسرين « فلما صار بمهرويه قرب فرسخين من انطاكية لقيه جمع للعدو ففضهم والجأهم الى المدينة وحاصر أهلها من جميع أبوابها ، وكان معظم الجيش على باب فارس وباب البحر ثم صالحوه على الجزية والجلاء فجلا بعضهم وأقام بعضهم فأمنهم . ثم نقضوا العهد فوجه اليهم أبو عبيدة

---

(٦٦) الطبرى جـ ٤ ص ١٥٣ — ٤ رواية سيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٧ — ٨ ، ابن عساكر م ١ ص ٥٢٠ ، ابن الاثير جـ ٢ ص ٢٠٨ .

عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة ففتحاها على الصلح الأول ٠٠ ويقال بل نقضوا بعد رجوعه فلسطين فوجه عمرو بن العاص من ايلياء ففتحها » وتتابعت انتصارات أبي عبيدة وقواده ومصالحاتهم في معرة مصرين وتوقا والجومة وسرمين ومرتحوان وتيزين وتل اعزاز ودير طايا وخناصره «وفتح أبو عبيدة جميع ارض قنسرين وانطـاكية » وقورس وبالس وقاصرين وجسر منبج وصالح الجراجمةوكذلك منبج ودلوك ورعبان • ووجه أبوعبيدة وهو بمنبج خالد بن الوليد الى ناحية مرعش ففتحها ، وفتح حصن الحدث حبيب بن مسلمة من قبل عياض بن غنم وكان معـاوية يتعهده بعد ذلك • (٦٧)

وهكذا لم يجد المسلمون صعوبة في فتح مدن شمالي الشام بوجه عام ، حتى روى عن أهل حمص قولتهم المشهورة للمسلمين « لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم» • وانضم الى قائمةالفتوح بسرعة أنطاكية وحلبوغيرهما من مدنالشمال • واذكانت قنسرينCholcis هي التي لاقوا في فتحها بعض المشقة ، فانه يمكن القول عموما أنه « لم تحدث مقاومة خطيرة في طريق الجنود العربية التي واصلت انتصاراتهـا حتى انتهت الى حدود سورية الطبيعية وهي جبال طوروس » • (٦٨) وتابعت جماعات من جيش المسلمين فلول الروم الهاربة حتى السفوح الشرقية لجبل اللكام Amanus ونهر الفرات عند نيكوبوليس Nicopolis (أصلاحية) • واستولى الفاتحون على الاقليم ، ويسجل الدكتور شعيرة هنا تباطؤ الروم وفتورهم ، ومن ناحية أخرى عدم مقاومة أهل الشام أنفسهم ـ عدا مدن الساحل والقليل من مدن الداخل • وقد لقى الفاتحون المسلمون في أفريقية وأرمينية مقاومة مرجعها الى سكان البلاد الأصليين وتمكن روح الاستقلال منهم مما يبين أهمية التغلغل العربى البطيء بين أهل الشام قبل الاسلام • وكان فتح الشام خطوة ضخمة في اقامة صرح امبراطورية جديدة تتحدى بيزنطة في البر والبحر « لقد خلق فتح الشام عالما جديدا تماما ، ومن أجل حراسته كان ينبغي دفع كل محـاولة من السادة القدماء للعودة ٠٠ وفي الصراع بين البيزنطيين والعرب كان فتح الشام نقطة فاصلة ، واساسا وقاعدة اضيفت اليها الفتوح التالية • فان

(٦٧) الطبرى جـ ٤ ص ١٥٤ رواية سـيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥١ ـ ٢ ، ١٩٦ ، ١٨٩ ، ابن الأثير جـ ٢ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٥ : ٩

(٦٨) حتى : تاريخ العرب ـ ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٣ ـ ٤

القنوع بالشام كان معناه فقدها بعد قليل ! وقد كان اهتمام العرب بتأمين ممتلكاتهم هو الذى أدى بهم الى بسط رقعتها توخيا لحماية أفضل لها ، وكانت قاعدة عامة أن يجد كل توسع عربى جديد فى هذا الاهتمام سببا لوجوده ... وكان من الممكن فتح سوريا من الجزيرة أو من مصر ، ولنتيجة لهذا كان فتح هذين الاقليمين ضروريا للمسلمين .. وهذه السياسة الهجومية التى تستهدف تأمين الدولة عرضت وتقررت فى الجابية بالشام عند قدوم عمر وتشاوره مع قواده » • (٦٩)

(د) فتح الجزيرة :

بين الجزيرة والشام ارتباط جغرافى طبيعى عن طريق نهر الفرات • وقد تحدث الجغرافيون المسلمون عن « رصيف يمتد بين صرخند والعراق فى البرية يقال انه من عمل سليمان بن داود ، وينصل فى مواضع وينقطع فى أخرى ، يتوصل السالك معه من الشام الى العراق ، ومن العراق الى الشام فى أقرب مدة » • (٧٠) ولقد كان النزال المتجدد بين اللخميين والغساسنة يدور حول الارض الممتدة جنوبى تدمر Palmyra والتى تصل بين الامارتين المتعاديتين وتسمى Strata (٧١) • وقد بدأ ارتباط الجزيرة بالشام منذ بداية الفتوح الاسلامية فيروى البلاذرى « ان هرقل لما صار الى أنطاكية استنفر الروم وأهل الجزيرة وبعث عليهم رجلا من خاصته وثقاته من نفسه فلقوا المسلمين بفحل من الاردن » • (٧٢) ويروى الطبرى أنه على أثر اتجاه المسلمين لمهاجمة حمص « ارتحل هرقل من عسكره فأتى الرهاء وأخذ عامله بحمص •• وكتب أبو عبيدة الى عمر فأخبره خبر هرقل وأنه عبر الماء الى الجزيرة ــ فهو بالرهاء ينغمس أحيانا ويطلع أحيانا » • (٧٣) ويروى أن المسلمين لما هزموا الروم فى اليرموك « بعث أبو عبيدة عياض بن غنم فى طلبهم فسلك الاعماق حتى بلغ ملطية فصالحهم أهلها على الجزية ثم انصرف • ولما سمع هرقل بذلك بعث الى مقاتلتها ومن فيها فساقهم اليه وأمر بملطية فحرقت • والاكثر على أن الجزيرة من فتوح أهل الشام لا العراق » • (٧٤) وذكر أن خالدا حين قتل ميناس

(٦٩) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins, pp. 46-7

(٧٠) العمرى : مسالك الأبصار جـ ١ ص ٢٣٠

(٧١) Bury : Hist. of Later Rom. Emp. Vol., II pp. 91 — 2.

(٧٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢١

(٧٣) الطبرى جـ ٤ ص ١٥٣ ــ ٤ رواية سيف.

(٧٤) الطبرى جـ ٤ ص ١٣٧ رواية ابن اسحق ، ابن الاثير جـ ٢ ص ٢٢٥

ومات الروم على دمه وعقد لأهل الحاضر وترك قنسرين طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قرقسيا وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل والوليد بن عقبة من بلاد بنى تغلب فى تغلب وعرب الجزيرة **وطووا مدائن الجزيره على نحو هرقل** ، وأهل الجزيرة فى حران والرقة ونصيبين وذواتها لم يغرضوا غرضهم حتى يرجعوا اليهم الا أنهم خلفوا على الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم . فأدرب خالد وعياض مما يلى الشام وأدرب عمروعبد الله مما يلى الجزيرة ولم يكونوا ادربوا قبله ثم رجعوا فهى أول مدربة كانت فى الاسلام سنة ١٦ هـ .. ولما خرج هرقل من الرهاء واستتبع أهلها قالوا نحن ههنا خير منا معك وابوا أن يتبعوه وتفرقوا عنه، وعن المسلمين وكان أول من انبح كلابها وأنفر دجاجها زياد بن حنظلة وكان من الصحابة وكان مع عمر بن مالك مساندة » . (٧٥)

وقد دعا العرب الى فتح الجزيرة عاملين : الميزات الاستراتيجية التى يكفلها هذا الفتح لتأمين الشام من الشرق ، ثم سهولة هذا الفتح بالنسبة لقوة مقيمة فى الشام ومسيطرة على مصبات دجلة والفرات . ولم يعد الفرات بعد فتح الشام حدا خطيرا اذ هو سهل الملاحة فى مختلف الجهات والاوقات وقدكان خير طريق للغزو عرف قيمته الفرس . ويطلق الجغرافيون لفظ الجزيرة على السهل الذى يحوطه منحنى الفرات ويحده : فى الشرق خط يسير من جزيرة ابن عمر صوب الجنوب الى الفرات ، أما الحد الشمالى فليس نهر دجلة وانما هو خط اداري يمر بمواضع برجك وأورفا (والاخيرة هى الرها أو ادسا) وماردين ونصيبين ، ويطابق بصورة قاهرة الحافة الجنوبية للكتلة الارمينية ،والى الشرق والجنوب من السهل السورى الطويل الممتد بين جبل اللكام (أمانوس) والفرات ليس هناك من عقبة جغرافية تعترض الولوج الى الجزيرة . **وهذا السهل الى جانب اقليم انطاكية يكونان مجالا لا مثيل له للحشود العسكرية اذ تنتهى هذه الرقعة من الارض فى كل الاتجاهات الى مناطق غنية** . وحين جلت بيزنطة عن هذه الرقعة لم تلبث أن تخلت عن الجزيرة أيضا . وأثبت نظام الدفاع البيزنطى بوساطة القلاع المتوالية المنعزلة أو المتقاربة فشله ، اذ أن هذه المواقع المحصنة لم يكن لها قيمة فى الحقيقة الا حين تكون مشحونة بقوات حسنة التدريب والاعداد ، أما وقد تركت هذه المعاقل لتدافع عن نفسها بنفسها فان سقوطها كان محتوما . وان كان شابو Chapot يؤكد أن

---

(٧٥) الطبرى جـ ٤ ص ١٥٥ رواية سيف .

الاقليم نفسه كان رغم نزعات اليهود والحرانيين Carrhaens كان مواليا تماما لبيزنطة (٧٦) •

غير أن الجزيرة لم تتعرض لهجوم جاد منظم من قبل المسلمين الى سنة ١٧ هـ ٦٣٧ م ، وذلك حين تعرض المسلمون لخطر محاولة بيزنطية ترمى الى تأليب أهل الجزيرة لطعن جيش المسلمين فى الشام من الخلف فى الوقت الذى تهاجمه القوات البيزنطية من الامام عن طريق البحر ـ وبخاصة وأن معظم ثغور الشام على البحر المتوسط كانت ما تزال تقاوم المسلمين « **فتكاتبوا هم وأهل الجزيرة يريدون أبا عبيدة والمسلمين بحمص** • فضم أبو عبيدة مسالحه وعسكروا بفناء مدينة حمص ، وأقبل خالد من قنسرين حتى أنضم اليهم فيمن انضم من أمراء المسالح فاستشارهم أبو عبيدة فى المناجزة أو التحصن الى مجى الغياث » • واستقر رأى هذا المؤتمر الحربى على التحصن وطلب المدد خلافا لرأى خالد وقطز **وأبحرت الجيوش البيزنطية من الاسكندرية بقيادة قسطنطين بن هرقل نفسه ، وانزلت الجند فى أنطاكية** وظفر البيزنطيون بمظاهرة القبائل المتمردة فى شمالى الشام «وكتب أبو عبيدة الى عمر بخروجهم عليه وشغلهم أجناد أهل الشام عنه ، **وقد كان عمر اتخذ فى كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين عدة لكون ان كان ،** فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس فلما وقع الخبر لعمر كتب الى سعد بن مالك بندب الناس الى حمص مع القعقاع بن عمرو فان أبا عبيدة قد أحيط به •• **وسرح سهيل بن عدى الى الجزيرة فى الجند وليات الرقة فان اهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على** أهل حمص وان أهل قرقيسياء لهم سلف ثم لينفضا حران والرهاء ، وسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرح عياضا فان كان قتال فقد جعلت أمرهم جميعا الى عياض بن غنيم) » وكان عياض من أهل العراق الذين خرجوا مع خالد بن الوليد ممدين لأهل الشام وممن انصرف أيام انصرف أهل العراق ممدين لأهل القادسية • فمضى القعقاع نحو حمص ، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على الفراض وغيره وتوجه كل أمير إلى الكورة التى مر عليها • فأتى سهيل الرقة ، وخرج عمر مغيثا لابى عبيدة حتى نزل الجابية • ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وأثاروهم ـ وهم معهم مقيمون ـ عن حديث من بالجزيرة منهم

---

(٧٦) Cheira : La Lutte entre arabes et Byzantins pp. 47-8, 50

بأن الجنود قد ضربت من الكوفة ولم يدروا الجـزيرة يريدون أم حمص ــ تفرقوا الى بلدانهم واخوانهم وخلوا الروم • ورأى أبو عبيدة أمرا لما انجلى هذ الخطر وعزم على انجاز فتح الجزيرة فافتتحت سنة ١٧ هـ فى رواية سيف ويذكر ابن اسحق انها افتتحت فى سنة ١٩ هـ حين كتب عمر الى سعد بن ابى وقاص « ان الله قد فتح على المسلمين الشام والعراق، فابعث من عندك جندا الى ا لجزيرة ••• » •

وتتابعت انتصارات المسلمين ومصالحاتهم فى مدن الجزيرة الكبرى مثل الرهاء والرقة وحران ورأس العين ثم ميافارقين وسـنجار وآمد وكفرتوثا وماردين ودارا وسميساط ••• الخ « وقالوا ــ أهل الجزيرة ــ فيما بينهم : **أنتم بين اهل العراق واهل الشام ، فما بقاؤكم على حـرب هؤلاء وهؤلاء** » • وخرج الوليد بن عقبة حتى قدم على بنى تغلب وعرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا اياد بن نزار فانهم ارتحلوا فاقتحموا أرض ال روم فكتب بذلك الوليد ا لى عمر فكاتب عمر ملك الروم فى اخراجهم فأخرجهم « فتم منهم على الخروج أربعة آلاف مع أبى عدى بن زياد وخنس بقينهم فتفرقوا فيما يلى الشام والجزيرة من بلاد الروم » • وذكر الواقدى أن أبا عبيدة مات فى طاعون عمواس سنة ١٨ هـ ــ ٦٣٩ م واستخلف عياضا فورد عليه كتاب عمر **بتوليته حمص وقنسرين والجزيرة « فلم يبق بالجزيرة موضع قدم الا فتح على عهد عمر على يد عياض بن غنم »** « فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمرا وأيسره فتحا » • ولما استخلف عثمان كتب الى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الانصارى الجزيرة ، ثم عزله **وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما** ، وهكذا ارتبطت الجـزيرة بالشام اداريا وحربيا منذ الفتح الاسلامى « **وذكروا أن الجزيرة كانت الى قنسرين حتى جندها عبد الملك بو مروان اى افردها** » • وقد تتابع عياض بن غنيم ومعاوية على فتح ملطية ، كما امتد الغزو الاسـلامى الى نواحى أرمينية • وأوضح فاتح الجزيرة بلغة الشعر القيمة العسكرية التى حققها الفاتحون :

جمعوا الجزيرة والغياث فنفسوا ... عمـا بحمص غيـابة القـدام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا ... عن غزو من يأوى بلاد الشام(٧٧)

---

(٧٧) الطبرى جـ ٤ ص ١٩٥ : ٨ روايتا ابن اسحق وسيف ، ابن الاثير جـ ٢ ص ٢٢٥ ــ ٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٩ : ١٨٩ ، ١٩٢ ــ ٣ ، ١٣٨ ، دكتور العدوى: الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٤٢ : ٤ ، ابن العديم زبدة الحلب جـ١ ص ٣٠ : ٢

هـ ـ فتح أرمينية :

تحتل ارمينية وضعا جغرافيا متميزا كمنطقة حاجزة من قديم « فبنى قباذ بأران مدينة البيلقان ومدينة برذعة وهى مدينة الثغر كله ومدينة قبلة وهى الخزر ، ثم بنى سد اللبن فيمابين أرض شروان وباب اللان ، وبنى على سد اللبن ٣٦٠ مدينة · وملك ابنـــه أنوشروان فبنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ثم بنى مدينة الباب والابواب ، وانمـا سميت أبوابا لأنها بنيت على طريق في الجبل · وأسكن ما بنى من هــذه المواضع قوما سماهم السياسيجين · وبنى بأرض جزران سغدبيل،وأنزلها قوما من السغد وابناء فارس وجعلها مسلحة وبنى مما يلى الروم فى بلاد جرزان قصر يقال له باب فيروز قباذ وقصرا يقال له بارقة وهو على بحر طرابزنده » ·

وانقسمت ارمينية قبيل الفتح الاسلامى بين الفرس والبيزنطيين ، وكان القسم الاصغر في يد الاخيرين · وأدى اعتماد الفرس على ولاة محليين وتطلع هؤلاء للبيزنطيين شركائهم فى الدين الى الاضرار بالفرس ، كما أدى الاختلاف المذهبى ومحاولة البيزنطيين فرض مذهب بعينـه على رعاياهم المسيحيين الى الاضرار بمركزهم أيضا بين الارمن اذا رفض هؤلاء اعتناق المذهب الخلدونى وتعرضوا لاضطهادات الدولة لهم · وجاء الاسلام فاتصلت فتوح الجزيرة بفتوح أرمينية كما اتصلت فتوح الجزيرة بفتوح الشام ، وأبلى فيها جنود الشام بلاء حسنا · فقد اخترقت احدى الحملات أرمينية من الجنـوب حتى بدليس وبدا العـرب كبيرى الاهتمـام بالاستيثاق من حدود الاقاليم المفتوحة · **وكانت ثغور الجزيرة فى مقدمة الاقليم غرب منحنى الفرات ومواجهة لآسيا الصغرى وهى تقابل ارمينية الثالثة (ويسمى الاقليم نفسه ارمينية الاولى حسب تقسيم الامبراطور موريس) ، وتجاور ثغور الجزيرة بند الارميناق (الذى جرى تاسيسه سنة ٦٢٦ م/٥ ـ ٦هـ) والذى كانت جبهة الجزيرة الامامية جــزءا منه قبل الفتــح العربى** وتقع بينه وبين أرمينية الكبرى · ولكى يؤمن المسلمون ثغور الجزيرة فى موقعها الحساس لم يكن أمامهم سوى انتزاع أرمينية من بيزنطة ودفع الحـدود الى الأمام · وفى مستهل حكم عثمان جمعت لمعاوية ولاية الشام والجـزيرة وغدت مسائل الحدود تعالج بنشاط كبير ، **فوجهت حملات عدة من الثغور الجزرية الى شمشاط** Arsamosate **وكمخ وقاليقلا** Theodosiopolis **قاصدة أرمينية الكبرى من بند الارميناق** وهو هدف اتجه اليه عثمان أو واليه معاوية ·

وقد ذكر أن عياض بن غنم وجه عثمان بن أبى العاص سنة ١٩هـ

الى أرمينية الرابعـــة فكان عندها قتـــال أصيب فيه صفوان بن المعطل السلمى ثم صالح أهلها على الجزية . كما ذكر أن عثمان بن عفان لما جمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما أمره ان يغزو **شميشاط وهى أرمينية الرابعة** أو يغزيها منذ سنة ٢٣ هـ / سنة ٦٤٢ م ، فوجـه اليهـا حبيب بن مسلمة الفهرى وصفوان ففتحاها على مثل صلح الرها وأقام صفوان بها حتى توفى ، ولم يستطيعا فتح حصن كمخ . وقيل أن معـاوية اشـترك فى غزو شمشـاط ، وأيا ما كانت الروايات المتباينـة عن حملات أرمينية فالواضح أن مثل تلك البلاد بطبيعتها الجبلية وسكانها كان لابد أن تحتاج الى جهود متتابعة .

وكما برز عياض بن غنم فى فتوح الجزيرة برز اسم حبيب بن مسلمة فى فتوح ارمينية « وكان حبيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام وغزو الروم ، وقد علم ذلك منه عمر ثم عثمان . فنهض اليها فى ستة أو ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة » وبعـــد أن أذعنت له قاليقلا خرج اليه بطريق أرميناقس فى جمع عظيم تحالفه قوات من الخزر . فكتب الى عثمان يسأله المدد سنة ٢٥هـ « فكتب الى معاوية يسأله أن يشخص اليه من أهل الشام والجزيرة قوما ممن يرغبون فى الجهـــاد والغنيمة ، فبعث اليه معاوية الفى رجل . وكتب الى سعيد بن العاص عامله على الكوفه يأمره بامداده بجيش عليه سلمان بن ربيعة الباهلى وهو سلمان الخيل ، وكان خيرا فاضلا غزاء ـ فسار اليه فى ستة آلاف من أهل الكوفة . وقد أقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفرات وقد أبطأ عـلى حبيب المدد فبيتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم » . ويروى أبو مخنف رواية مبهمة تقول ان معاوية بن أبى سفيان هو الذى طلب المـدد من عثمان لأن الروم « قد أجلبت المسلمين بجمـــوع عظيمة » . وهناك رواية تذكر أن انتداب أهل الكوفة كان بمكاتبة الوليد بن عقبـة ، وأنهم مضوا « حتى دخلوا مع أهل الشام الى أرض الروم وعلى جند أرض الشام حبيب بن مسلمة وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة فشنوا الغارات على أرض الروم فأصاب الناس ما شـاءوا من سبى وملأوا أيديهم من المغنم وافتتحوا بها حصونا كثيرة » وأبو مخنف هنا لا يذكر بالتحديد أن اجلاب الروم على المسلمين كان فى أرمينيـــة ، مما قد يظن معه احتمال أن يكون الهجوم على أهل الشام عند حدود الشـام مع الدولة البيزنطية ، ولكن البلاذرى يذكر الروايتين ثم يقول « والخبر الاول اثبت . »

وقد تتابعت انتصارات المسلمين فى أرمينية فصالحوا **خلاط وارجيس**

ودبيل والنشوى وتفليس • وكانت آخر حملات حبيب فى أرض ارمينية سنة ٣١ هـ / سنة ٦٥٢ م « ولما فتح حبيب ما فتح من أرض ارمينية كتب به الى عثمـــان بن عفان فهم ان يوليه جميـــع ارمينيـــة وقد نعى اليه سلمان ابن ربيعة الباهلى •• ثم رأى ان يجعله غازيا لثغور الشـام والجزيرة لغنائه فيما كان ينهض له من ذلك ... وسار حبيب راجع الى الشام ، وكان يغزو الروم • ونزل حمص فنقله معاوية الى دمشـق فتوفى بها سنة ٤٢هـ » وقد كان خضوع ارمينية للعرب يعتمد على معاهدات الصلح اكثر من اعتماده على حاميـاتهم ، وقد حققت به الدولة الاسلامية تأمين حدود بلادها وتضييق الخناق على دولة الروم • وكانت ثمرة حملات المسلمين وسـياسة الاضطهاد الدينى التى جرى عليهـا قسطانز الثانى ان مال قائد أرمينية Theodore Rochtouni الى توقيع صلح مع معاوية سنة ٣٢ هـ / ٦٥٣ م ، وتتابع أمراء الاقليم على الاعتراف بالصلح والانحياز لمعسكر العرب • ولكن الارمن ما كادوا يستشعرون وطأة النفوذ العربى حتى استرجعوا آلامهم القديمة ضد بيـزنطة ، وقد حاولوا التأرجح بين القوتين المتجاورتين ، ولكن النفوذ الاسلامى استمر منذ سنة ٦٥٣م ، وان كان نفوذا مؤقتا على حد تعبير لوران Laurant وقد اوقفت الفتنة أيام عثمان كل نشاط خارجى ، فجلا العرب عن قاليقلا ولكن بقوا فى شمشاط Arsamosate وهكذا اتخذت قوات الجزيرة قواعد اربعة : ففى أول الأمر لم يكن هنـاك سـوى حـامية سميساط Samosate ، أما عند نهاية هذه الفترة فقد كانت هناك حاميات شمشاط وملطية وقاليقلا الى جانب سميساط • وشهدت الحدود ارتفاع سور بين بيزنطة وأرمينية يعز اختراقه ، ووجدت منطقة حدود أرمينية فى الوقت نفسه ، ولكن الكتاب الاقدمين دأبوا على اطلاق ثغـور الجزيرة على الجبهة كلها ، ولم يرغب معـاوية فى أن يقيم جبهتـين • ومن أجل هذا نظم القاعدة الوسطى فى ملطية على بعدين متساوين من الجبهتين الجديدة والقديمة (٧٨).

و ـ البحر المتوسط :

انتصر المسلمون فى الشام على طول الطريق القديم الذى ارتادته قوافلهم التجارية فى رحلة الصيف تاركين المنطقة السـاحلية التى فصلتها

(٧٨) البلاذرى : فتوح البلدان ٢٠٢ ، ٢١٢ ، الطبرى جـ ٥ ص ٤٦ روايتا ابى مخنف والواقدى ، دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ١١٢ : ٧ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ص ٢٤٩ ،
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins. pp. 49, 70 : 5

سلسلة جبال لبنان عن داخل البلاد • وهذه المنطقة الساحلية كانت موضع اهتمام البيزنطيين، اذ أقاموا بمدنها المعاقل للدفاع عنها، وخصصوا لذلك حاميات كبيرة منها حاميات قيسارية وعسقلان وغزة ويافا، وهي نقط قريبة من أماكن يمكن عندها اجتياز الحاجز الجبلي الذي يفصل الساحل عن داخل البلاد • وأدرك المسلمون أثناء فتوحهم في اقليم الاردن خطورة بقاء المدن الساحلية ـ ولاسيما صور وعكا ـ في أيدي البيزنطيين ، اذ جاءت الامداد البيزنطية من هذه المنطقة الساحلية لدفع المسلمين وعرقلت تقدم عمرو بن العاص • وقد فتح شرحبيل عكا وصور وصفورية ، ووجه أبو عبيدة عمرو بن العاص الى سواحل الاردن « فكثر الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية ، فكتب الى أبي عبيدة يستنجده فوجه أبو عبيدة يزيد أبي سفيان فسار وعلى مقدمته معاوية أخوه • ففتح يزيد عمرو سواحل الاردن ، فكتب أبي عبيدة بفتحه لها • وكان لمعاوية بلاء حسن وأثر جميل » • وهكذا شهد الشام فاتحة جهود بني أمية البحرية ، وحسن بلائهم في افتتاح الثغور والمواني ثم تحصينها خلال عهدي عمر وعثمان وقاموا عن العرب بعبء كثيرا ما يثار عزوفهم عنه بحكم بيئتهم ، وهو ركوب البحر ثم القتال فيه • **وقد استخدم البيزنطيون ثغور الشام على البحر المتوسط في هجومهم عليه سنة ٦٣٨ م بقيادة قسطنطين بن هرقل ، وكما ادى هذا الهجوم البيزنطي الى اتجاه المسلمين الى فتح الجزيرة فارمينية ليحموا ظهورهم ، فانه قد أدى أيضا الى اهتمامهم بفتح مواني الشام على البحر المتوسط** • فيذكر بن اسحق في أعقاب روايته عن فتح الجزيرة : « ثم كان فتح قيسارية من من فلسطين وهرب هرقل » ، « وجعل الروم لا يزاحفون معاوية مرة الا هزمهم وردهم الى حصنهم ثم زاحفوه آخر ذلك فاقتتلوا في حفيظة واستماتة » • واختلف في تاريخ فتح قيسارية في الفترة ما بين سنة ١٦ هـ و ٢٠ هـ ، وقيل انها حوصرت سبع سنوات ، وأنها حين فتحت وجد بها من المرتزقة ٧٠٠ ألفا ومن السامرة ٣٠ ألفا ومن اليهود ٢٠٠ ألفا ـ ومهما يكن في هذه الارقام من مبالغة ظاهرة فهي تدل على اهتمام الروم بشحنها • وقيل انه وجد بها ٣٠٠ سوق قائمة مكانها ، وكان يحرسها كل ليلة على سورها ١٠٠ ألف وقد دل المسلمين على طريق فتحها أحد اليهود وبلغ سبي قيسارية ٤٠٠٠ رأس • وهناك روايات أخرى تختلف في هذه الاحصاءات (٧٩)

---

(٧٩) الطبري جـ ٤ ص ١٥٦ ، رواية سيف ، ١٩٧ ، ٢٢٥ روايات أبي معشر والواقدي وابن اسحق ، ابن الاثير جـ ٢ ص ٢٢٥ ، العدوي : الأمويون والبيزنطيون ص ٤٨ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٥ •

وتعددت هجمات المسلمين على ساحل الشام من شماله الى جنوبه ، فبينما نري علقمة بن مجزز يحصر الفيقار بغزة ، نرى يزيد ومعاوية بن أبي‌عبيدة يبليان بلاء حسنا في مهاجمة مواقع أخرى من الساحل « لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان بعد فتح دمشق ، وسار الى فحل سار يزيد الى مدينة **صيدا وعرقة وجبيل وبيروت** وهى سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسيرا وجلا كثير من أهلها » . وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولاية يزيد « ووجه يزيد معاوية الى سواحل دمشق سوى أطرابلس فانه لم يكن يطمع فيها فكان يقيم على الحصن اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالا غير شديد وربما رمى ففتحها » ... ولما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الازدى الى **أطرابلس** وهى ثلاث مدن مجتمعة ، فبنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره وحاصرهم فكتبوا الى ملك الروم فوجه اليه بمراكب كثيرة فركبوها ليلا وهربوا . وبذل معاوية جهدا كبيرا فى **فتح عسقلان** التى كانت منيعة التحصين «وكتب عمر الى معاوية يأمره بتتبع ما بقى من فلسطين ففتح عسقلان صلحا بعد كيد ، ويقال ان عمرو كان فتحها ثم نقض أهلها وأمدهم الروم ففتحها معاوية وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة » ./وكان لعبادة بن الصامت الانصارى جهاد فى فتح **اللاذقية** « فلما رأى صعوبة مرامها عسكر على بعد من المدينة ثم أمر أن تحفر حفائر كالاسراب يستتر الرجل وفرسه فى الواحدة منها ثم انهم أظهروا القفول الى حمص فلما جن عليهم الليل عادوا الى معسكرهم وحفائرهم وأهل اللاذقية غارون يرون أنهم قد انصرفوا عنهم ، فلما اصبحوا فتحوا بابهم » ففاجأهم المسلمون بالهجوم . « وورد عبادة والمسلمون السواحل ففتحوا مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة ، وأنشأ معاوية جبلة وكانت حصنا للروم جاوا عنه » كما فتحت فى المنطقة المجاورة لساحل البحر انطرطوس وبلنياس وانطاكية وسلوقية (٨٠) . وبفتح الشام غدا المسلمون من قوى البحر المتوسط وقد علمتهم الاحداث المتتابعة ان الشام مهددة من جانبين : آسيا الصغرى ومصر . ومن هنا جاءت فكرة فتح مصر والعرب بفتحها يشغلون من سواحل المتوسط الشرقى ما يعادل ما كانت تشغله بيزنطة ، والعداوة المحدمة بين الفريقين استلزمت من المسلمين تشييد الاسطول (٨١) .

---

(٨٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٣ ، ١٣٣ ـ ٤ ، ١٣٩ ـ ٤٠ ، ١٤٧ : ٩ ، ١٥٤ـ٥ ،

(٨١) Cheira : La lutte entre Arabes et Byzantins p. 84.

وقد استمر الاندفاع الاسلامى نحو شواطىء البحر المتوسط بصورة متصلة ، فأتم المسلمون فتح مصر سنة ٢٢ هـ ، ٦٤٢ م « وكانوا يستطيعون التصعيد مع مجرى النيل الى النوبة والسودان ليجدوا بلادا واسعة ، لكنهم استطردوا مع ساحل البحر نحو برقة متحملين مخاطر الصحراء ، وتابعوا سواحل طرابلس الطويلة حتى وصلوا الى افريقية وهى ما يعرف اليوم بتونس ومن هناك خاضوا معارك حامية فى مفاوز بلاد المغرب وشعابها » (٨٢) ٠

ولم يغفل المسلمون عن أهمية جزر البحر المتوسط ، فألح معاوية على عمرو فى غزو البحر وقرب الروم من حمص وقال : ان قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم ، ولكن عمر خشى على المسلمين ركوب البحر ٠ فلما ولى عثمان « لم يزل معاوية به حتى عزم على ذلك وقال : لا تنتخب الناس ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ففعل » ٠ وقد ذكر الواقدى ان فتح قبرص على يد معاوية كان سنة ٢٧ هـ ، وجعل أبو معشر ذلك سنة ٣٣ هـ وقال بعضهم انه كان سنة ٢٧ هـ ، ويبدو أن الجزيرة تعرضت لعدة حملات متعاقبة ٠ ولما غزا معاوية قبرص صالح اهلها « على جزية ٧٠٠٠ دينار يؤدونها الى المسلمين فى كل سنة ويؤدون الى الروم مثلها ، ليس للمسلمين أن يحولوا بينهم وبين ذلك ، على ألا يغزوهم ولا يقاتلوا وراءهم من ارادهم من خلفهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم وعلى أن يبطرق أمام المسلمين عليهم منهم » ٠ وقد تعاونت مصر والشام على هذا الغزو ، فكان عبد الله بن سعد بن أبى سرح على أهل مصر حتى لقوا معاوية فكان على الناس ، وحمل معاوية فى البحر زوجته وكذلك فعل عبادة بن الصامت ٠ فلما كانت سنة ٣٢ هـ أعان أهل قبرص الروم فى البحر بمراكب على غزو العرب ، فغزاهم معاوية سنة ٣٣ هـ فى ٥٠٠ مركب ففتح قبرص عنوة ، ثم اقرهم على صلتهم وبعث اليهم باثنى عشر الفا لسكنهم هناك وبنى بها مدينة وقيل ان هذه الغزوة الثانية كانت سنة ٣٥ هـ ٠ وغزا معاوية بن حديج صقلية أيام معاوية ٠ وغزا جنادة بن أمية الازدى رودس سنة ٣٣ هـ / سنة ٦٥٤ م ٠ وذكر ان معاوية هاجم أرواد (قرب ساحل الشام بين جبلة وطرابلس وليست هى الواقعة قرب القسطنطينية) سنة ٢٨ ، ٢٩ هـ / ٦٥٠ م ٠ وقد هوجمت كريت حوالى ذلك الوقت ، فان العرب الذين ذهبوا يبسطون سيادتهم على

---

(٨٢) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ م ٠

قبرص لم يقنعهم ارتياد مياه هذه المنطقة من البحر المتوسط فحسب بل ادركوا أهمية الفتح الشامل لهذه المراكز الاستراتيجية بالنسبة لتأمين دولتهم ذاتها ولتدعيم نفوذهم فى الشرق . وكان على بيزنطة سيدة البحر المتوسط القوية نظرا لمصالحها الاقتصادية والسياسية ولهيبتها وسطوتها ان تقاوم بعنف ، وقد تتابعت العمليات الحربية فى هذه الجزر فى عهد الامويين ، وكان حاكم قيسارية التى قاومت معاوية مدى طويلا قد اتخذ مقره فى جزيرة صقلية . وقد قامت من الشام حملة اسلامية سنة ٦٥٢ م الى صقلية وحملت أهلها على الانسحاب داخل الجزيرة (٨٣) .

ويظهر أن هذا النشاط المتزايد من قبل العرب قد استثار بيزنطة . فما كادت تفيق من الفوضى الداخلية التى أصابت البيت الحاكم بعد هرقل حتى بذل قنسطانز الثانى عدة محاولات للهجوم على المسلمين برا فى أرمينية وبحرا فى مصر . وفى سنة ٦٥٥ م ترامت اليه أنباء استعدادات بحرية وبرية هائلة يعدها معاوية لضرب القسطنطينية ، فأراد أن يبادر الاساطيل الاسلامية فى الشام بالهجوم . وعمل شخصان مسيحيان فى طرابلس على تسهيل فرار بعض الاسرى البيزنطيين ومهاجمة دار الحاكم الاسلامى واحراق العدة والعتاد . وما كاد معاوية يسير على رأس قواته البرية سنة ٦٥٥ م (٣٤ هـ) الى قيصرية فى كبادوكيا بآسيا الصغرى وترسو أساطيل الشام ومصر الاسلامية مرساها قرب ساحل ليكيا (عند Phoenix) حتى جاء النبأ باقتراب الاسطول البيزنطى على رأسه الامبراطور « فى جمع لم يجتمع للروم مثله منذ كان الاسلام حتى سنة ٣١ هـ » وهى سنة الواقعة فى احدى الروايات . فكانوا فى ٥٠٠ مركب ، فالتقوا بالمسلمين الذين كانوا تحت قيادة عبدالله بن سعد ابن أبى سرح . وقد نقل الطبرى عن مشارك فى هذه المعركة التى سميت **بذات الصوارى** من المسلمين قال : « كنت معهم فالتقينا فى البحر فنظرنا الى مراكب ما رأينا مثلها قط ، وكانت الريح علينا فأرسينا ساعة وارسو قريبا منا وسكنت الريح عنا فقلنا الأمن بيننا وبينكم ، قالوا : ذلك لكم وان شئتم فالبحر . قال : فنخروا نخرة واحدة وقالوا : الماء . فدنونا منهم فربطنا السفن بعضها الى بعض حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم ، فقاتلنا أشد القتال ووثبت الرجال على الرجال

(٨٣) الطبرى حـ ٥ ص ٥١ : ٤ روايتا سيف والواقدى ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٩ : ١٦١ ـ ٢٤٤ : ٥ ، دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ٨٧ : ٩٢ ، فازيليف : العرب والروم ، ترجمة دكتور شعيرة ص ٦٢ ـ ٣
Cheira : La lutte entre Arabes et Byzantins. pp. 99: 101

يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجئون على الجنـــاجر حتى رجحت الدماء الى الســـاحل تضربها الامواج وطرحت الامـواج جثث الرجـال ركاما » . وانتصر المسلمون واقام عبد الله بذات الصوارى اياما بعد هزيمة القوم ثم رجع . وتنكر الامبراطور البيزنطى حتى استطاع الفرار متجها الى صقلية • وحطمت معظم سفن الاسطول البيزنطى وقتـل من رجالها عشرون الفا وغدا الناس جميعا مرعوبين من المسلمين كما يروى ميشيل السورى • أما تيوفان فيقارن هذه الواقعة باليرموك • وقد أكد هذا النصر للعرب نفوذا فى البحر المتوسط ، ولكن شغلهم الصراع الداخلى منذ فتنة عثمان عن الافادة منه • وقد تحول العرب منذ ذلك الوقت من قوم يجهلون تماما شئون البحر الى سكان لهذا البحر قد ارتبطوا بظروفه وأحداثه . « وتعتبر هذه الواقعة البحرية من المعارك الحاسمة القلائل التى غيرت مجرى التاريخ البحر المتوسط مثل معركة اكيتوم سنة ٣١ ق.م التى جعلت البحر المتوسط بحيرة رومانية ، ومعركة ابى قير البحرية سنة ١٧٩٨ م فقد قضت معركة ذات الصـوارى على وصف البحر المتوســـط بأنه بحر الروم وجعلته حريا بأن يدعى بحـر المسلمين • وجاءت أولى النتائج الهامة لهذه المعركة الفاصلة عنـدما **تخلى الامبراطور قنسطانز ومن جاء بعده عن فكرة طرد المسلمين من البلاد التى استولوا عليها فى شرقى البحر المتوسط ، ولو لم يحـدث ذلك لكانت الاضطرابات التى حدثت فى الدولة الاسلامية منذ مقتل عثمان فرصة سانحة للبيزنطيين • لكن الدولة البيزنطية رات أن الأجدى لها هو تصفية علاقاتها مع العناصر الضارية على حدودها الشمالية من** السلاف بالبلقان الذين كانوا قد انتهزوا فرصة انتهاز البيزنطيين بحرب المسلمين ، فى حين اكتفى البيزنطيون بتأمين اراضيهم فى الجبهة الجنوبية من آسيا الصغرى لدرء ما يقوم به المسلمون من نشاط حربى جديد ، كما اتجه معاوية الى حدود الشام الشمالية وعمد الى تحصينها ليقيها من أخطار البيزنطيين » • « وأثبتت المعركة ــ فعلا ــ أنها يرموك أخرى اذ حطمت القوى البيزنطية تحطيما تاما » • ورأى الامبراطور قنسطانز أن يستغل فترة الهدوء فى العلاقات الحربية بين الروم والمسلمين على أثر مقتل عثمان فنقل مقر حكمه الى صقلية : ليربط الدولة البيزنطية بالبقية الباقية

لها فى شمالى افريقية ، ويصد الزحف الاسلامي عليها من مصر ، ويحفظ ممتلكاته فى الغرب • (٨٤) •

وقد كانت السواحل بالنسبة للمسلمين فى أول الامر حدودا ونهايات لا يتجاوزونها ، فى حين كانت بالنسبة للبيزنطيين نقطا للوثوب والانطلاق ـ على حد تعبير الدكتور شميره • وكان الروم يتخذون السواحل درعا يتقون به هجمات الداخل بينما كانت السيادة الاسلامية على الشواطىء تميل الى الضعف سواء فى مصر أو فى الشام وكان الساحل بالنسبة للبيزنطيين حدا يسهل عليهم ان يهاجموه فى حين كان الساحل بالنسبة للعرب خط دفاع عرضة للغزو الى حد كبير . وقد كان الاسطول البيزنطى ـ على حد قول دييل Diehl ـ احدى القوى الكبرى فى الامبراطورية وكان يتحكم فى البحار الشرقية ، بل كان قبل أن يبدو العرب على مسرح الاحداث القوة الوحيدة فى البحر المتوسط، وكانت هذه ميزة بيزنطية الى جانب ميزة أخرى هى تأثر أهل السواحل بالصبغة الرومية أكثر من تأثر الداخل ، ومن هنا كانت مدن السواحل أصعب فتحا على العرب . وقد جعل الروم يستفيدون من ميزاتهم وأقبل العرب يعالجون أوجه النقص لديهم • واستهل العرب جهودهم بتحصين مدن السواحل وتقوية استحكاماتها وشحنها بالمقاتلة • « وان عدد المدن التى جرى تحصينها على سواحل الشام يشير الى الخطر المتوقع ، ويشهد فى الوقت ذاته باتخاذ نظام محكم للدفاع » • وبجانب المدن التى ذكرت روايات المؤرخين اخبار تحصينها « يمكن الظن بصفة عامة ان كل المدن الساحلية قد وضعت فى حالة دفاع طبقا لأوامر عمر وعثمان » • واستفاد العرب تماما فى تحصيناتهم المبكرة من التحصينات البيزنطية السابقة باصلاحها وصيانتها • وكان ساحل الشام غنيا بالمدن المحصنة ، ويفوق فى ذلك ساحل مصر بحكم اختلاف الظروف الطبيعية •• ولم تتهاون الحكومات الاسلامية فى تنظيم الدفاع الساحلى عن دار الاسلام، وقد كان يتركز بصفة خاصة فى الشام ومصر • (٨٥) •

---

(٨٤) الطبرى جـ ٥ ص ٦٩ : ٧٠ رواية الواقدى ، د• العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ٩٤ : ٩ ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٥٤ : ٥ ، كرد على خطط الشام حـ ١ ص ١٤٢ ـ ٣ ، أيضا الدبس : تاريخ سوريا حـ ٥ ص ١٦ ـ ٧ نقلا عن تيوفانس ، حتى تاريخ العرب ـ ترجمة جـ ١ ص ٢٥٠ ـ ١

Cheira: La Lutte entre Arabes et Byzantins. pp. 102-3.

(٨٥) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins pp . 85: 8

على ان بعض المؤرخين مثل جلزر Gelzer يذكران سقوط مصر والشام بأيدى المسلمين خفف عن الدولة البيزنطية عبئا ثقيلا ، وحقق لونا من التجانس بين سكان الجزء الباقى من الامبراطورية فى الثقافة والعقيدة فقد تكون من الاجزاء الخاصة للدولة فى آسيا الصغرى والبلقان كتلة بيزنطية متماسكة مخلصة فى رقعة محدودة تسهل ادارتها والدفاع عنها . كذلك أدى ضياع الاجزاء المفقودة من الدولة البيزنطية الى اجراء مضاد يستهدف بناء نظام عسكري جديد فى آسيا الصغرى ، فمنحت الاراضى للزراع مقابل التزام وراثى بالخدمة فى الجيوش الامبراطورية ، كما كان لابد من اجراء التعديلات اللازمة على نظام الدفاع الامبراطورى . وكان هذا كله ايذانا بتبلور الشخصية البيزنطية للدولة الرومانية الشرقية (٨٦) . وهكذا كان امتداد الدولة الاسلامية الى الشام ايذنا باستهلال نظام عسكرى دفاعى اسلامى — هو نظام الاجناد والثغور ، كما أدى فى الوقت نفسه الى تبلور واحكام النظام العسكرى الدفاعى البيزنطى — نظام البنود أو الثيما .

---

(٨٦) Vasiliev : Hist. de L'Emp. Byz. Vol. 1 p. 282 - 3, Byzantium p. XV-XVI, XIX

ثالثاً ـ مرحلة نشوء التنظيم الادارى الحربى الاسلامى في أيام الخلفاء الراشدين

١ ـ اصطلاحات :

ما كادت الفتوح الاسلامية تستقر حتى شرع المسلمون فى تنظيم البلاد المفتوحة مستفيدين فى ذلك من النظم السابقة التى كانت قائمة فى تلك البلاد عند الفتح ، وجرت عندهم الاصطلاحات المتعددة فى هـذا الشأن ٠

فالكورة « كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها » ٠ وأما **المصر** « فيجىء فى قولهم : مصرت مدينة كذا ٠٠ **والمصر فى الاصل الحد بين الشـيئين** » ٠ ويذكر المقدسى « وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الاعظم وجمعت اليه الدواوين وقلدت منه الاعمال وأضيف اليه مدن الاقليم مثل دمشق والقيروان وشيزار ٠ وربما كان للمصر أو للقصبة نواح لها مدن مثل **طخارستان لبلخ والبطائح لواسط والزاب لافريقية** » ٠

وأما **الجند** « فيجىء فى قولهم : جند قنسرين وجند فلسطين وجند حمص وجند دمشق وجند الاردن ، فهى خمسة أجناد وكلها بالشام ، ولم يبلغنى انهم استعملوا ذلك فى غير أرض الشام ٠٠ قال أحمد بن يحيى بن جابر : اختلفوا فى الاجناد ، فقيل **سمي المسلمون لكل صقع جندا بجند**

عينوا له يقبضون اعطياتهم فيه منه ، فكانوا يقولون هؤلاء جند كذا حتى غلب عليهم وعلى الناحية » (٨٧) ٠

ولم يكن اصطلاح **الثغور** مقصور الاستعمال على الثغور الجزرية والشامية ، بل استعمل فى فتوح العراق أيضا « فكانت الثغور فى زمن خالد بن الوليد بالسيب ٠٠٠ بعث ضرار بن الازور وضرار بن الخطاب والمثنى بن حارثة فهؤلاء أمراء ثغور خالد ٠٠ ورفق سواد الابلة على سويد بن مقرن وحسكة والحصين وأقر المسالح على ثغورهم ٠٠٠ وكان المثنى على ثغر من الثغور التى على المدائن ٠٠٠ وسوى يزد جرد الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر فسمى جند الحيرة والانبار والمسالح والابلة » ٠ (٨٨) وقد كانت كلمة مرزبان فى اصطلاح الادارة الفارسية معناها صاحب البلد وبخاصة الثغر لأن **المر زا هى الثغر** (٨٩) ٠ لذلك كان من الطبيعى أن ينتقل هذا النظام الى المسلمين عن طريق فتوحهم فى العراق وفارس فضلا عن انتقاله عن طريق ممتلكات الروم، ومن ثم يعملون على تطبيقه عند انشاء ادارتهم الجديدة ٠ « فكانت الثغور الكوفية أربعة : حلوان عليها القعقاع بن عمر ، وما سيذان عليها ضرار بن الخطاب الفهرى وقرقيسيا عليها عمر بن مالك أو عمرو بن نوفل بن عبد مناف ، والموصل عليها عبد الله بن المعتم ٠٠٠ فلما اختطت الكوفة نقل الناس أبوابهم من المدائن الى الكوفة فعلقوها على مابنوا وأوطنوا الكوفة ، وهذه ثغورهم وليس فى أيديهم من الريف الا ذلك » (٩٠) ٠

ويقول ياقوت : « الثغر كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من الثغرة وهى الفرجة فى الحائط وهو فى مواضع كثيرة منها ثغر الشام » ٠ وقد أطلق على هذه الثغور عند قنسطنطين بورفيروجنيتس De Caerim ors واسماها ميشيل السورى أقاليم Tagra (٩١) ٠

وقد استعملت كلمة **الفروج** أيضا : « فلما فرغ خالد من أمر اليمامة كتب اليه أبو بكر أن سر الى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند وهى الأبلة ... وهو أعظم فروج فارس شأنا وأشدها شوكة وكان صاحبه وكان صاحبه يحارب العرب فى البر والهند فى البحر » ٠ وخطب عمر

---

(٨٧) ياقوت معجم البلدان ج ١ ص ٣٦ : ٩ ، المقدسى : أحسن التقاسيم ص ٤٧ ٠
(٨٨) الطبرى ج ٤ ص ١٧ ، ١٩ ، ٨١ وكلها رواية سيف
(٨٩) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ج ١ ص ١٩٨ هامش
(٩٠) الطبرى ـ ج ٤ ص ١٩٤ ـ ٥ رواية سيف
(٩١) معجم البلدان ج ٣ ص ١٦ ٠ Encyc. de l'Isl. art. Thughur.

عند زيارته للشـــام قال « .. فجنــدنا لكم الجنـــود وهيــأنا لكم الفروج » (٩٢) .

وكان هناك **الرباط** وهو مكان محصن قد يكون على الساحل أو على الحدود لمراقبة العدو ومحاربته « فكتب عمر الى أبي عبيدة أن رتب بانطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة » . وفي كل هذه المعسكرات كان العرب يعيشون معيشتهم القبلية فى **خطط او قطائع** وكان لا بد أن يكون لهم فيها مسجد (٩٣) .

ثم نشأ اصطلاح **العواصم** « والعاصم هو المانع ، والعواصم حصون وموانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية ، و قصبتها انطاكية (وقيل منبج) وقد بناها قوم واعتصموا بهامن الاعداء وأكثرها في الجبال ،فسميت بذلك . وربما دخل فى هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحى » واختلف فى انتماء حلب اليها (٩٤) **وقد فرق قدامة بين العواصم والثغور** بقوله « وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاســــلام . وانما سمى كل بواحد منها عاصما لأنه يعصم الثغر ويمده فى أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل أنطاكية والجومة والقورس » كذلك قسم قدامة الثغور باعتبار أنواعها ومواقعها الى أقسام « منها برية : تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية : تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الامران : وتقع المغازى من أهله فى البر والبحر . والثغور البحرية على الاطلاق سواحل الشام ومصر كلها ، والمجتمع فيها الامر ان غزو البر والبحر الثغور المعروفة بالشامية .. ثم يلى هذه الثغور عن يمينها وجهة الشمال منها الثغور المعروفة بالجزرية .. ويلى هـــذه الثغور عن يمينها أيضا وفي جهة الشمال ، الثغور المسماة بالبكرية» (٩٥)

وكانت مناطق الحدود التىيتركها الطرفان المتحاربان خالية ويقومون بنقل السكان منها تسمى **الضـــواحي** ويظهر ذلك الاصـــطلاح فى كلام الطبرى وابن الاثير (٩٦) .

---

(٩٢) الطبرى جـ ٤ ص ٢ ، ٥ ، ٢٠٤ رواية سيف

(٩٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ص ٢٣٢ ـ ٣

(٩٤) ياقوت معجم البلدان جـ ٦ ص ٢٣٧ .

(٩٥) قوامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج ـ ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ٢٥٣ ـ ٥

(٩٦) Encyc. de l'Islam art. Awasim.

وقد جرى استعمال اصطلاحات أخرى مثل مسلحة ومن ذلك «أقبل خالد حتى دنا من الحيرة فخرجت اليه خيول صاحب خيل كسرى التى كانت فى مسالح ما بينه وبين العرب .. وكتب أبو بكر الى خالد أن يدخل العراق من أسفلها ، والى عياض بن غنم أن يدخلها من أعلاها وقال : اذا اجتمعتا بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليكن أحدكما ردءا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر .. وقال خالد : انما لا بد أن أستفرغ المسالح التى أمر بها عياض فنسكنها العـرب فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم » « وكان فيما بين الاسكندرونة وطرسوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التى يمر بها المسلمون اليوم ... وكانت قورس كالمسلحة لانطاكية بانيها كل عام طالعة من جند أنطاكية ... فصالح الجراجمة أبا عبيدة على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح فى جبل اللكام ... » (٩٧) .

استعملت كلمة **مرقب** « وهو اسم الموضع الذى يرقب فيه ، والمرقب بلد وقلعة حصينة على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس » . « قال أبو الفرج عن دير القائم الاقصى على شاطىء الفرات من جانبه الغربى فى طريق الرقة : قد رأيته ، وهو مرقب من المراقب التى كانت بين الروم والفرس على أطراف الحدود » (٩٨) **والمناظر** « جمع منظرة وهو الموضع الذى ينظر منه وقد يغلب هذا على المواضيع العالية التى يشرف منها على الطريق وغيره . وقال أبو منصور : المنظرة رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو ويحرس منه . وهو موضع فى البرية الشامية قرب عرض وقرب هيت أيضا » (٩٩) .

والمطامير « جمع مطمورة وهى حفرة أو مكان تحت الارض وقد هيىء خفيا يطمر فيه الطعام أو المال .. وذات المطامير بلد بالثغور الشـامية وذكره فى الفتوح كثير » وهى الكهوف الارضية التى كانت ملجأ لأهالى أقاليم كبادوكيا خاصة فى الجند المتاخم لكليكيا (١٠٠) .

ومن الاصطلاحات العسكرية المألوفة لأماكن الجنـد **الثكن** « وهى

---

(٩٧) الطبرى جـ ٤ ص ٣ ، ٥ ، ١٩ رواية سيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٨ ، ١٥٤ ، ١٦٤ .

(٩٨) ياقوت : معجم البلدان ص ٢٧ ، العمرى : مسالك الابصار جـ ١ ص ٢٦٩ .

(٩٩) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ١٦٥ .

(١٠٠) ياقوت : معجم البلدان جـ ٨ ص ٨٤ ، فازيليف : العـرب والروم ـ ترجمة الدكتور شعيرة ص ٩٤

مراكز الاجناد على راياتهم ومجتمعهم على لواء صاحبهم وعلمهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم ، ومفردها الثكنة • وقد أنشأ الراشدون والامويون ثكنا ومعسكرات متعددة لاقامة جيوشهم الزاخرة ، وتأمين استراحتهم ولحماية المدن التى تم الاستيلاء عليها فى صدر الاسلام » (١٠١) •

وبعد اتمام مراحل الفتح العسكرى لبلاد الشام كان على المسلمين أن يواجهوا مهام التنظيم الادارى والحربى :

— فكان عليهم أن يزودوا المراكز الاستراتيجية الهامة **بالتحصينات المعمارية** التى تدفع عنها غارات العدو •

— وكان عليهم أن يعبئوها **بالسكان المحاربين** •

— وكان عليهم أن يستلهموا ظروف البلاد فى **تقسيم الوحدات الادارية وترتيب الجهاز الادارى** •

فلما استقرت أقدامهم فى داخل البلاد تزايد اهتمامهم **بحدودها** وثغورها وتطلعوا الى ايفاد **الحملات العسكرية وراء الدروب** الى أرض الروم•

وفي خلال هذه المراحل كلها تبلور وضع الثغور والعواصم ، وتأهلت لأن تشغل مكانها الخاص على تخوم الدولة الاسلامية للقوة المنافسة الكبرى : قوة الدولة البيزنطية • وفيما يلى **عرض لهذه المراحل التي أعانت على تحديد شخصية الثغور وظهور نظام العواصم لدى المسلمين** •

ب ـ الرباطات على السواحل :

« كان الساحل بالنسبة للبيزنطيين حدا تسهل مهاجمته بينما كان بالنسبة للمسلمين خط دفاع بالغ التعرض للخطر ، وقد أتاح خلو يد المسلمين من أسطول عربى ميزة كبرى لعدوهم عليهم • وبينما اتجه البيزنطيون الى الانتفاع بما عندهم من المزايا اجتهد المسلمون فى تلافى نواحى الضعف من جيهتهم وسد ثغراتها » (١٠٢) •

وقد اندفعت الدولة الاسلامية نحو البحر المتوسط منذ شرعت تجوس خلال ديار الشام ، **واعتبرته حدودا ينبغى تحصينها ضد غارات البيزنطيين** الذين ما فتئوا يستخدمونه لصد الفتح الاسلامى أولا ، ثم

(١٠١) نعمان ثابت : الجندية فى الدولة العباسية ص ١٩ ـ ٢٠

(١٠٢) Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins p. 85

محاولة استعادة ما فقدوه ثانيا • فالبلاذري يروى بعد فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي سواحل غلب الروم على بعضها فى آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان أن معاوية قصد لهم حتى فتحها « ثم رمها وشحنها بالمقاتلة » • كذلك نقضت عسقلان بعد فتحها وأعانتها الروم فأعاد معاوية فتحها « وأسكنها الروابط ووكل بها الحفظة » (١٠٣) •

وكان لمعاوية فى العناية بالسواحل بلاء مشكور « وفى أعماله تتجلى كل هذه الخصائص السياسية العملية التجارية التى امتاز بها البيت الاموى ، فعمل من أول الامر على أن يصبح الشام قطرا أمويا ، ثم اجتهد فى أن يجعل الدولة الاسلامية كلها دولة أموية • ولم يكن ذلك ميسورا الا بنقلها الى الشام وجعلها دولة شامية بحرية ••• وكانت خطة المسلمين فى السيطرة على البحر تتفق مع طبيعتهم وهى الاستيلاء على الشواطىء والموانى ومن هنا كانت محاولتهم العديدة للاستيلاء على القسطنطينية ليكفوا انفسهم غائلة الاساطيل الرومية • **وبينما نجد ثغور الشام البرية المفضية الى آسيا الصغرى من فتوح رجال كابى عبيدة وميسرة بن مسروق وعياض بن غنم وغيرهم نجد سواحل الشام كلها عدا القليل من فتوح معاوية** • وكان أول ما فعلته الدولة الاسلامية لتلافى ضعفها فى الحروب البحرية اتجاها الى تحصين السواحل وتعمير محارسها ومسالحها وشدها بالرجال • **فنجد المسلمين يضعون نظاما دقيقا لحراسة السواحل وينقلون اليها اقواما من القادرين على الحرب ويقيمون على السواحل وفى كبار مدنها معسكرات منظمة معدة ويقسمون هذه القوات الى عرافات ويقيمون المناظر على السواحل ويقتبسون من البيزنطيين فكرة اعطاء الاشارات بايقاد النيران فى المواقيد** • وبلغ عدد حاميات السواحل فى الشام ١٦ وفى مصر ١٠» (١٠٤) • وعندما خرج عمر الى الشام سنة ١٧هـ : سد فروج الشام ومسالحها واستعمل عبد الله بن قيس على السواحل ، كما انه وضع فى اواخر سنة ١٦ هـ مسالح مصر على السواحل كلها لغزو هرقل مصر والشام من البحر (١٠٥) • وقد نقل البلاذرى عن أحد رواته « قال : ادركت الناس وهم يتحدثون ان معاوية كتب الى عمر بعد موت اخيه يزيد يصف له حال السواحل فكتب له فى مرمة حصونها وترتيب المقاتلة فيها

---

(١٠٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٣٣ ، ١٤٩ •

(١٠٤) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط م ٤ ع ١ مايو سنة ١٩٥١ ، ابن عبد الحكيم

(١٠٥) الطبرى جـ ٤ ٢٠٣ ، ٢٣١ رواية سيف

واقامة الجرس على مناظرها واتخاذ المواقيد لها » . « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتـــاج بها اليه من المسلمين ، فان حدث فى شىء منها حدث من قبل العدو سربوا اليهـــا الامداد ... فلما استخلف عثمان كتب الى معاوية يامره بتحصـــين السواحل وشحنها واقطاع من ينزله اياها القطائع ففعل .. ولما اذن عثمان لمعاوية بالغزو بحرا امره ان يعد فى السواحل اذا غزا أو أغزى جيوشا سوى من فيها من الرتب ، وأن يقطع الرتب أرضين ، ويعطيهم ماجلا عند أهله من المنازل ويبنى المساجد ... ثم ان الناس بعد انتقلوا الى السواحل من كل ناحية ... وكانت **انطاكية** عظيمة الذكر والامر عند عمر وعثمان فلما فتحت كتب عمر الى ابى عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء . ثم ولما ولى معاوية كتب اليه بمثل ذلك ، ثم ان عثمان كتب اليه يأمره أن يلزمها قوما وان يقطع قطائع ففعل . » وقام معاوية بتحصين **جبلة** « فبنى حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم ، وكان سكان الحصن الرومى رهبانا وقوما يتعبدون فى دينهم » . وبنى معاوية **انطرطوس** ومصرها واقطع بها القطائع وكذلك فعل **بمرقية وبلنياس** . ومنذ فتح **اللاذقية وجبلة وانطرطوس** على يدى عبـــادة بن الصامت « كان يوكل بها حفظة الى انغلاق البحر ، فلما كانت شحنة معاوية السواحل وتحصينه اياها شحنها وحصنها وأمضى امرها على ما أمضى عليه امر السواحل . » ورم معاوية **عكا وصور** (١٠٦) .

وجرى منح **القطائع** لأجل ربط العرب بالسواحل ، ولم يكثر هذا زمن عمر بل اقتصر على ناحية انطاكية وحدها . ولكن جاء تعميم الاقطاع فى عهد عثمان حيث غدا قاعدة مقررة . ولم يكن منح القطائع لتكوين طبقة من المزارعين ، بل لتدعيم شأن المحاربين المرابطين فى الثغور الخطرة واتبع الجند النظاميين متطوعة اقبلوا على الجهاد والرباط ... وهكذا وانحلت مشكلة اسكان السواحل وشحنها بالمقاتلة .

غير أن هذه التنظيمات الدفاعية كلها مع عدم وجود **اسطول اسلامى** ـ كما يبدو أول الامر ـ لم تكن لتدفع اضطراب الحاميـــات البرية أمام هجوم مفاجىء من العدو ، كما انها جعلت القوات الاســـلامية فى حالة مقاومة مستمرة لمنع العدو من اقامة رؤوس جسور قوية ودائمة فى أى موضع على الساحل ، ومع هذا فان اعمال التحصينات قد أثمرت أثرا

---

(١٠٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٤ ، ١٣٤ ـ ٥ ، ١٤٠ ، ١٥٤

قويا في تامين المسلمين ، لأنها تطلبت تحركات مستمرة للقوات الحربية بدون انقطاع ، وقد بدأت هذه التحصينات سنة ١٦ هـ وعممت سنة ١٨هـ وظل الاعتماد عليها وحدها قائما حتى خلق أول اسطول اسلامي ـ أي طيلة عشر سنوات تقريبا ، وبالطبع استمرت التحصينات والحاميات بعد ذلك • وتضخم عبء تامين الدولة ضد الخطر الخارجي ، ولم يكن أمام حكام المسلمين المتتابعين سوى الجد في تطبيق الاساليب التي جرى عليها العمل في ذلك العصر رغم ما كانت تتطلبه من جهد شاق و تكاليف باهظة • فقد كان المسلمون يواجهون حكم بلاد بحرية ارتبطت بما أرساه الروم فيها من تقاليد ، فضلا عن جنوح سكنها دوما الى التمرد (١٠٧) •

وكانت نتيجة هذه الجهود المتواصلة ان استطاع المسلمون ركوب البحر في اسطول اسلامي لفتح قبرص في حملتهم الاولى بقيادة معاوية « ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها » ولم تكن قد نشأت دور الصناعة الاسلامية في ذلك الوقت المبكر فلم يبق الا التسليم بما ذهب اليه هيد وبيرين من ان المسلمين استعملوا سفن اهل البلاد او السفن التي خلفها الروم أو عهدوا الى أهل السواحل في ابتناء السفن لهم ، ويلاحظ أن كلمة أسطول نفسها يونانيه Sotolos • ويقول فازيلييف « ومن الثابت تقريبا أن الاسطول العربى الاول انما كان في الحقيقة روميا سوريا عربيا، وكان بحارته من أهل المدن المفتوحة فيسورية ومصر ، وكان رؤساء البحارة كالبحارة معظمهم من المسيحيين او حديثي العهد بالاسلام • وكانوا يتقاضون على تجنيدهم أجرا أو يكون أجرهم غنائمهم • فهؤلاء كانوا أول من علم العرب شئون البحر » • وقد ورد في سياق غزوة الصوارى أن محمدين أبي حذاقة « ركب في مركب وحده مامعه الا القبط » • « ولما كانت سنة ٤٩ هـ وخرجت الروم الى السواحل وكانت الصناعة بمصرفقط فامرمعاوية بجمع الصناع والنجارين فجمعوا ورتبهم فيالسواحل ، وكانت الصناعة في الاردن بعكا » وهكذا اخذ المسلمون في انشاء اسطول خاص بهم يتولى مقاتلة الروم في البحر ويعين المسلمين على ما يريدون غزوه من الجزر وغيرها من شواطيء الروم • وقد كان معظم استعمال الاسطول الاسلامي لنقل الجند لا للاشتباك في القتال في عرض البحر • ونحن نجد المسلمين في غزوة الصوارى يعرضون القتال على الشاطيء بدلا من البحر « ثم قلنا : ان أحببتم فالساحل حتى يموت الأعجل منا ومنكم » •

---

(١٠٧) Cheira : La Lutte entre Byzantins et Arabes p. 89, 91

فلما اختار الروم قتال الماء ربطت السفن بعضها الى بعض فغدت المعركة وكأنها معركة برية « حتى كنا يضرب بعضنا بعضا على سفننا وسفنهم » كما استعملت سفن الاسطول الاسلامى فى البداية لنقل الغلال من مصر الى الحجاز (١٠٨) ٠

واجتذبت الرباطات البحرية الاتقياء المتحمسين الحريصين على الجهاد فى سبيل الاسلام ٠ وكان البيزنطيون أيضا قد عرفوا من قبل نظـــام الاديرة المسلحة ، وهى الاماكن التى انقطع فيها الرهبان للعبادة واجتمعوا فيها سويا لخدمة مطالبهم مبتعدين عن زخرف الحياة الدنيا ولكن لا توجد شواهد قاطعة على اشتراكهم فى حروب الدولة البيزنطية « وكان ســكان الحصن الرومى لجبلة رهبانا وقوما يتعبدون فى دينهم ٠ » وقد نزع الزبير ابن العوام الى الرباط فى أحد السواحل فقال لعمر : « ٠٠٠ ان وجدت عمروا قد فتحها لم أعرض لأمره ، وقصدت الى بعض السواحل فرابطت »٠ وقال سفيان الثورى لرجل يمنى : « عليك بسواحل الشام ، فان هـذا البيت يحجه كل عام مائة ألف ومائتا ألف وثلثمائة ألف وما شاء الله من التضعيف لك مثل حجهم وعمرهم ومناسكهم » (١٠٩) ٠

(ج) القوى البشرية :

١ ـ **السكان الاصليون :** فتح المسلمون كثيرا من فتوحهم فى الشام والجزيرة صلحا « قال ابو عبيد القاسم بن سلام ، **وهكذا سائر مدن الشام كانت صلحا دون ارضيها** ، وافتتح شرحبيل بن حسنة الاردن كلها عنوة ماخلا طبرية فان اهلها صالحوه ، وبعث ابو عبيدة خالدا فغلب على أهل البقاع وصالحه اهل بعلبك وكتب لهم كتابا » (١١٠) ٠ وهذه المصالحات مع عرب الشام دفعت بعض المؤرخين مثل كيتانى Caetani الى القول بانه كان هناك اتفاق بين عرب الروم وعرب الحجاز للغارة على الشـــام وخاصة أن بيزنطة كانت قد منعت الجعل السنوى عنهم نتيجة للاضطرابات الناجمة عن الهجوم الفارسى الاخيرة عليها ٠ ولكن لم تصل مايؤيد مثل هذا

---

(١٠٨) دكتور مؤنس : المسلمون فى البحر المتوسط ـ المجلة التاريخية المصرية م ٤ ع ١ مايو ١٩٥١ ، فازيلييف : العرب والروم ـ ترجمة د. شعيرة ص ١٩٢ ، الطبرى جـ ٥ ص ٦٩ ـ ٧٠ رواية الواقدى ٠

(١٠٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٠ ، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق المنجد م ١ ص ٢٧١ ، دكتور العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ٧٥ ـ ٧٦

(١١٠) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٢٤ ـ ٥ ٠

الاتفاق الا من الاسقف الارمنى سيبيوس Sebeos (حوالى القرن ٧م) وهو متحامل على العرب • وعلى العكس من ذلك لم تغب دلالات العداء بين عرب الحجاز وعرب الشام فى عهدى النبى وأبى بكر مما اقتضى من المسلمين جهودا سياسية وعسكرية مستمرة فى تلك المنطقة • فقد **قاوم عرب الشام حملات الفتح الاسلامى مع البيزنطيين** ، (١١١) وقتل المبعوث الذى حمل رسالة النبى فى بصرى ، ولقى المسلمون فى مؤتة مقاومة شديدة • وفى مستهل فتح الشام سنة ١٣ هـ « ضرب الروم على العرب الضاحية البعوث بالشام الى المسلمين ••• ونفر اليهم من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وغسان » واصطدم خالد بن الوليد حين قدم الى الشام بغسان فى مرج راهط يوم فصحهم ، ونزل هرقل انطاكية « ومعه من المستعربة لخم وجذام وبلقين وبلى وعاملة وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير » (١١٢) • فلم يكن الطريق امام المسلمين سهلا ، وقد واجهوا فى المعارك الكبرى فى اجنادين واليرموك عرب الشام يقاتلون بجانب البيزنطيين ، وكذلك كان الامر فى المعارك الاولى بجنوبى الشام والمعارك الاخيرة بسواحله• ويذكر الدكتور حتى أن أهل الشام لم يكونوا متجاوبين مع حكامهم البيزنطيين ، « فسكان الريف والفلوات ما برحوا يذكرون الخلافات الطائفية فهم مونوفيزيون ، فى حين أن الدولة أخذت تفرض مذهب الارادة الواحدة (المونوثوليت) كمحاولة للتوفيق بين مذهبى الطبيعة الواحدة والطبيعتين ، وبالنسبة لسكان المدن كانت الثقافة الاغريقية التى فرضت منذ فتح الاسكندرية سطحية » • ويصعب قبول هذا الرأى كحكم عام شامل ، لأن الروم مافتئوا يستثيرون الحمية الدينية ويؤكدون الطابع الدينى للقتال ، فكانوا يقدمون أمامهم الشمامسة والرهبان ، ولا يعقل أن تكون كل جموع نصارى الشام مرحبة بالفتح الاسلامى ترحيب أبى الفرج الذى كتب كموفيزي سورى « ولما شكا الناس الى هرقل لم يحر جوابا • ولهذا أنجانا الله المنتقم من الروم على أيدى العرب ــ فعظمت نعمة الدنيا ان أخرجنا من ظلم الروم وخلصنا من كراهيتهم الشديدة وعداوتهم المرة، على أن كنائسنا لم ترجع الينا لأن العرب أبقوا كل طائفة من المسيحيين على ما كان فى يدها عند فتحهم البلاد » • ولو كان هذا شعورا عاما لما لقى المسلمون ما لقوا من المقاومة ، حتى آثر فريق من عرب الجزيرة من

---

(١١١) دكتور ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية جـ ١ ص ١٧٦ •
Cheira : La Lutte entre Arabes et Byzantins pp. 30, 34-35

(١١٢) الطبرى جـ ٤ ص ٢٩ رواية سيف ــ ٣٩ عن على بن محمد ــ ٤٧ رواية سيف • ١٣٦ رواية ابن اسحق ، دكتور شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى ص ٢٦ ــ ٨

اياد بن نزار أن يسيروا الى الروم ويتفرقوا فيما يلي الشام والجزيرة منها، كما سلك الدرب مستعربة من غسان وتنوخ واياد للحاق بهرقل (١١٣).

غير اننا نجد من عرب المناطق الشمالية رغبة في المسالمة بشكل أوضح «وكان حاضر قنسرين لتنوخ منذ أول ما تنخوا بالشام - نزلوه وهم في خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل ، فدعاهم ابو عبيدة الى الاسلام فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية بنوسليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ... وكان بقرب مدينة حلب حاضر تدعى حاضر حلب يجمع اصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم ، فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم انهم أسلموا بعد ذلك» . «وأرسل أهل حاضر قنسرين الى خالد انهم عرب وانهم انما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم » (١١٤) .

ولكن لاننسى ان الروم قد استفادوا من سكان مناطق شمالي الشام في هجومهم الذي هدد المسلمين في حمص سنة ١٧ هـ . على أن البعض ينسبون مقاومة بيت المقدس وقيسارية الطويلة الى أن العنصر البيزنطي هو العنصر الرئيسي في تلك البلدان ، في حين كان العرب أو الآراميون العنصر الرئيسي في المدن الاخرى (١١٥) .

ومن نماذج عهود الصلح في الشام ماذكر من أن أهل حمص صالحوا أبا عبيدة « على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم وارحائهم واستثنى عليهم ربع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخروج على من أقام منهم » . وذكر أن صلح حلب كان على هذا النحو ، وزعم بعض الرواة ان اهلها « صالحوا على حقن دمائهم وان يقاسموا أنصاف منازلهم وكنائسهم » . وصالح أهل أنطاكية على الجزية والجلاء « فجلا بعضهم وأقام بعضهم فأمنهم ووضع على كل حالم منهم دينارا وجريبا » (١١٦) .

وقد تتابعت اخبار متفرقة عن جلاء بعض سكان الشام على أثر الفتح الاسلامي ، ومن ذلك ما حدث في جبلة وبلدة على فرسخين وانطرطوس . وفي فتوح الجزيرة ارتحلت ايادبن نزار الى أرض الروم ورجع بعضهم وتفرق الباقون « فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم » (١١٧) .

(١١٣) حتى : تاريخ العرب ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٧ ، دكتور فيصل : حركة الفتح الاسلامي ص ٣٢ : ٤ ، بتلر : فتح العرب لمصر ترجمة فريد أبو حديد ص ١٤١

(١١٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧١ ، ١٥١ : ٣ ، الطبري جـ ٤ ص ١٩٧ ، ١٥٤ - ٥ رواية سيف

(١١٥) د. جورج حداد : فتح العرب للشام ص ١٠٧

(١١٦) البلاذري : فتح البلدان ص ١٣٧ - ١٥٣ - ٤ .

(١١٧) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٤٠ ، الطبري جـ ٤ ص ١٩٧ - ٨ رواية سيف .

وظاهرة جلاء بعض السكان فرارا من المسلمين تدل هى الاخرى على عدم تجاوب طائفة من السكان ومنهم بعض العرب بالطبع ـ مع هذا الفتح ، وان كان المعقول أن معظم النازحين كانوا من الروم ، ويظهر هذا فى قاصرين وبالس اللتين كانتا « لاخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التى بالقرب منهما وجعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم بالشـــام ، وصولح أهلها على الجزية والجلاء فجلا أكثرهم لبلاد الروم والجزيرة »(١١٨) .

ومن هذا يتضح أن الذين وقفوا أمام الاسلام فى الشام بصفة خاصة كانوا من القبائل التى تسمى (**روم العرب**) فهم الذين قاتلوا الى جوار البيزنطيين منذ بداية فتح الشام حتى اليرموك . ومن هنا كان للامويين دور ينبغى أن يؤدوه فى قلب الشام ، مثلما أدوه على اطرافه فى أول الامر وكانت الغالبية فى وسط ديار الشام لكلب والقبائل قضاعة الى جانب قبائل أخرى من أزد الصراة . وكانت هذه القبائل قد توطنت هناك منذ قرون، فقد كانوا يفخرون بأنهم لم يهاجروا الى الشام حديثا، وقد تعرضوا لتأثير الحضارة اليونانية الرومانية والكنيسة المسيحية والدولة الرومانية، كما كانوا من الناحية الحربية يفوقون العرب جيعا بسبب حروبهم الدائمة مع الروم ، ولقد كان معاوية كما يقول فلهوزن Wellhausen من الحكمة بحيث حافظ على حماسهم وحميتهم ، وان كان هو من حيث النسب أقرب لقيس . وكان معاوية يقيم فى دمشق فى المنطقة التى كانت تسكنها كلب غير بعيد عن مقر ملوكهم السابقين . وتزوج امرأة من اشرافهم وجعل ابنها يزيد وارثا لعرش الدولة فكانت كلب كلها تشعر انها اصهار للخليفة واخواله لولى عهده . ولم تكن مظاهر الدولة المنظمـــة ولا روح الدولة الحربية والسياسية معانى جديدة عليهم ، بل كانت لهم أسرة قديمة من الامراء دانوا لها بالطاعة دهرا طويلا ثم آل ما تعودوه من الطاعة الى معاوية باعتباره الوارث الشرعى لاسرتهم السابقة » . (١١٩)

وكان فريق من السكان الاصليين فى مناطق الفتح يشغلون مواقع استراتيجية هامة ... **فالجراجمة** ـ على جبل اللكام بين بياس وبوقا فى بلدة الجرجومة ـ لما فتح أبو عبيدة انطاكية « لزموا مدينتهم وهمـــوا باللحاق بالروم اذ خافوا على أنفسهم ، فلم ينتبه المسلمون لهم ولم ينبهوا عليهم . ثم ان اهل انطاكية نقضوا وغدروا فوجه اليهم أبو عبيدة من فتحها

---

(١١٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٧ .

(١١٩) فلهوزن تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور ابى ريدة ص ١٢٦ ـ ٧ ،
Brockelmann : Hist. of the Islamic Peoples pp. 72.

ثانية وولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهرى ، فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها ولكنهم بدروا بطلب الامان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا اعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح فى جبل اللكام ، والا يؤخذوا بالجزية ، وأن ينفلوا اسلاب من يقتلون من عدو المسلمين اذا حضروا معهم حربا فى مغازيهم • ودخل من كان فى مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الانباط وغيرهم من أهل القرى فى هذا الصلح فسموا الروادیف ـ لانهم تلوهم وليسوا منهم ، ويقال انهم جاءوا بهم الى عسكر المسلمين وهم أرداف لهم فسموا روادیف ، فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى » •

وصالح أبو عبيدة **السامرة** بالاردن وفلسطين • وهم يهود صنفان : السنان والكوشان « فكانوا عيونا للمسلمين وأطعمهم أرضهم » •

كذلك بعث أبوعبيدة عياض بن غنم الى ناحية **دلوك ورعبان** «فصالحه أهلها على مثل صلح منبج واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين » • واشترط معاوية على **أهل قبرص** الا يغزوهم ولا يقاتلوا عنهم من أرادهم من ورائهم وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم » (١٢٠) •

وقد يشبه هذا التعاون العسكرى بين المسلمين وأهل البلاد المفتوحة ـ باستثناء قبرص التى كان لها وضع خاص ـ ما عرفته الدولة البيزنطية من فرق جنود المحالفين Foederati وهى فرق البرابرة التى كانت تجهز تبعا لشروط معاهدة تعقدها الدولة مع زعمائهم (١٢١) •

٢ ـ ناقلة من غير العرب : كان لابد للمسلمين من أن يعتمدوا على قوات أخرى الى جانب السكان الاصليين الذين لم يبدوا تجاوبا كاملا فى أول الامر ، وبخاصة فى المناطق الساحلية ، فأخذوا ينقلون قوما من القادرين على القتال • فنقل معاوية قوما من **فرس** بعلبك وحمص وأنطاكية الى سواحل الاردن صور وعكا ••• ونقل من أساورة البصرة والكوفة وفرس بعلبك وحمص الى انطاكية ، فكان من قواد الفرس مسلم بن عبد الله جد عبد الله ابن حبيب بن النعمان بن مسلم الانطاكى ••• ولما فتحت أطرابلس أسكنها معاوية جماعة كبيرة من **اليهود** ••• ولما نقضت قبرص وأعاد

---

(١٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٦٥ ، ١٥٦ ـ ٧ ، ١٦٠ ـ ١ •

(١٢١) بينز ، الامبراطورية البيزنطية ـ ترجمة دكتور مؤنس وزايد ص ١٧٤

Bury: Hist. of Later Rom. Emp. Vol. I. p. 42, II. p. 76 Byzantium p. 296.

معاوية فتحها نقل اليها جماعة من بعلبك وبنى بها مدينة ··· ونقل معاوية الى السواحل قوما من **زط** البصرة والسباتجة وأنزل بعضهم انطاكية ـ فبانطاكية محله تعرف بالزط ، وببوقا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط » (١٢٢) ·

« وأهل بعلبك قوم من الفرس ، وعرقة فيها قوم من الفرس ناقلة ، وأهل طرابلس قوم من الفرس كان معاوية نقلهم اليها ، وجبيل وصيدا وبيروت وأهل هذه الكور كلها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية » (١٢٣) ·

وقد بدأ معاوية هذه السياسة أثناء ولايته على الشام ، واستمر فيها بعد أن صار خليفة · ويقول فازيلييف ان أصل (الزط) من الهند « ويسمون فى سوريا اليوم بالنور ، واللفظ العربى آت من الهندية جط ووجد من خلفهم من يعيش فى مستنقعات الهند الشمالية جنوبى نهر الاندس · ويذكر العرب أيام فتوحهم الاولى أرضا افتتحوها تسمى أرض الزط بين رامهرمز وارجان » (١٢٤) ·

وتشبه هذه السياسة فى الاستعانة بالمقاتلين الاشداء ما جرى عليه انوشروان فى اسكان الحصون والقلاع من الامم التى قهرها « وقد أنشأ ملوك ساسانيون مثل سابور الاول والثانى مستعمرات للاسرى فى عدة أقاليم من ايران ، ولكن يميز ما فعل كسرى الاول انه استخدمهم فى أغراض حربية ، وهكذا تكون جيش انوشروان من الاساورة ومن المهاجرين الغرباء الذين طاوعوا سريعا مع البيئة الفارسية من غير ان يفقدوا صفاتهم الحربية » (١٢٥) ·

٣ ـ **العرب المسلمون** : انتقلت مع الفتح الاسلامى جماعات عربية مسلمة لتسكن الشام ، وقد روى البلاذرى عن بعض هؤلاء النازحين « نزلنا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم ، ثم نزع الينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا وكذلك جميع **سواحل الشام** ··· » وروى أيضا « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها اليه من المسلمين ··· وولى ابو عبيدة كل

---

(١٢٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ـ ٥ ، ١٦٠ ، ١٦٩

(١٢٣) اليعقوبى : البلدان ـ ملحق بالأعلاق النفسية ص ٣٢٧

(١٢٤) فازيلييف : العرب والروم · ترجمة دكتور شعيرة ص ١٩٦
Encyc. d'Islam Art. Awasim.

(١٢٥) كريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ـ ترجمة دكتور الخشاب ص ٣٥٤ ـ ٥

كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة من المسلمين وشحن **النواحي المخوفة** ... **ورتب ببالس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام فاسلموا بعد قدوم المسلمين الشام ، وقوما لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادى من قيس** . **واسكن** قاصرين قوما ... وكانت بالس والقرى المنسوبة اليها في حدها الاعلى والاوسط والاسفل أعذاء عشرية » .

وسار المسلمون على هذه السياسة في **الجزيرة** ففتح عياض بن غنم سنجار صلحا « وأسكنها قوما من العرب .. ولما ولى معاوية الشـــام والجزيرة لعثمان أمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم فى اعتمال الارضين التي لاحق فيها لاحد ، فأنزل بنى تميم الرابيـــة وأنزل المازحين والمديبراخلاطا من قيس وأسد وغيرهم وفعل ذلك فى جميـــع نواحي ديار مضر ، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك **والزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من اهل العطاء ثم جعلها مع عماله** .» وعلى هذا النحو جرت الامور **في ارمينية** « فبعث معاوية لحبيب بن مسلمة الفى رجل أسكنهم قاليقلا وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها » . وفى قبرص بعث معاوية « باثنى عشر الفا كلهـــم أهل ديوان فبنـــوا بها المساجد وبنى بها مدينة وأقاموا يعطون الاعطية الى أن توفى » . وهكذا توافد العرب المسلمون على البلاد المفتوحة من مجاهدين ومهاجرين : وكانت المدن تقسم خططا بينهم فقد « قسم السمط بن الاسود حمص خططا بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة » . وأقطعت **القطائع** للمرابطة خاصة في السواحل ، فكان هذا عاملا من عوامل توطين السكان وتنظيم الدفاع « وكتب عثمان الى معاوية يامره أن يلزم انطاكية قوما وأن يقطع قطائع ففعل . قال ابن سهم : وكنت واقفا على جسر انطاكية على الأرنط فسمعت شيخا مسنا يقول : هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا فى بعث أبى عبيدة أقطعهم اياها أيام ولاية عثمـــان معاوية الشام ... وحدث بكر بن الهيثم أن رجلا عربيا بعسقلان أراه أرضا وقال هذه من قطائع عثمان » . (١٢٦)

ويشبه هـــذا ما جرى عليه **دقلديانوس** من منح الأرض لجنـــود الحدود نظير الخدمة العسكرية ، وقد اتسع نطاق هذا النظام فى الولايات الثغرية أو البنود thema فيما بعد (١٢٧) .

---

(١٢٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٢٤ ، ١٣٤ ـ ٥ ، ١٣٧ ، ١٥٠ ـ ١ ، ١٥٤ ـ ٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٥ ـ ٦ ، ٢٠٥

(١٢٧) بينز : الامبراطورية البيزنطية ـ ترجمة دكتور مؤنس وزايد ص ١٣٥ ، ١٧٥ ، Byzantium : pp. XVI, 73

وقد هاجر الى الشام على أثر الفتح الاسلامى كثير من العرب ـ خاصة من **قيس** الذين انتقلوا الى شمالى الشام • **وكانت الشام تختلف عن العراق فى مجتمعها الداخل** « فان الكوفة والبصرة لم يكن لهما تراث غير تراث حياة البادية وتراث الاسلام ، وقد قذفت اليهما جروب الفتح بجيوش عربية من مختلف القبائل أقامت فى مايشبه المستعمرات العسكرية وانتقلت دفعة واحدة من حياة البادية الى ظروف الحضارة وتوسطت امبراطورية كبرى ، اما فى الشام فلم يكن المسلمون يعيشون بمعزل وفى مستعمرات مخصصة لهم ، بل كانوا يعيشون بين أبناء البلاد فى المدن القديمة مثل دمشق وحمص وقنسرين وغيرها • بل كانوا احيانا يقاسمونهم بيتا لله نصفه مسجد ونصفه كنيسة • وكانت القبائل المتوطنة فى وسط الشام من قرون ـ من كلب وقضاعة وازد الصراة ـ قد تأثرت بتأثيرات يونانية رومانية مسيحية ثقافية وسياسية • وقد قربهم اليه معاوية كما سلف ، ولم يكن من الممكن أن يميز العرب الذين دخلوا الشام فاتحين عن عرب الشام الاصليين الذين أدمجوا فى الدولة العربية وأسلموا مختارين ، وان كان اسلامهم مجرد انضمام لراية العروبة المنتصرة » • وكان المقاتلة يسمون بالمهاجرة « اذ ينتقلون الى المعسكرات الكبرى التى منها كانت تنظم الحرب وتوجه ، فكان معنى الهجرة الانتقال الى المراكز السياسية الحربية لاداء الاعمال • وكانت دار الهجرة الاولى هى المدينة ، ثم انضافت اليها عواصم الاقاليم أو الامصار • وكانت توجد فى الشام مدن اختيرت لذلك ، أما فى بر الشام فقد بنيت مدن حربية كالفسطاط والقيروان والبصرة والكوفة • وكان للانصار الفضل الاكبر فى فتوح الشام ومنهم كانت تتألف نواة الجيش الاسلامى وان لم يكونوا هم القواد » (١٢٨) •

وقد عامل معاوية عشيرته من بنى أمية بحرص بالغ مخافة ان يستشرى خطرهم فى المستقبل (١٢٩) •

(د) الاجناد :

سمى ابو بكر لامراء الاجناد أقاليمهم عندما انفذهم لفتح الشام « فدل ذلك على أن الشام لما كان بأيدى الروم كان منقسما الى هذه الكور

(١٢٨) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية ـ ترجمة دكتور أبى ريدة ص ١٢٦ ـ ٧ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٤

(١٢٩) Brockelmann : Hist. of the Islamic Peoples. pp. 72 - 3.

الاربع لاغير » ـ كما يقول ابن الشحنة • وكانت الاجناد العربية حمص ودمشق والاردن وفلسطين تقابل المقاطعات الرومانية البيزنطيــة التى وجدت وقد الفتح • وكانت الاردن تشمل الجليل الى صحراء الشــام ، وكانت فلسطين هي الارض الواقعة الى الجنوب من سهل مرج عامر(١٣٠)•

ويذكر بروكلمان أن الحكم الاسلامى فى البلاد المفتوحة اســتبقى الطابع العسكرى فى التنظيم مدة طويلة بعد الفتــح ، فقد ظل قادة الحاميات هم ولاة الخليفة فى نفس الوقت ، كما كانوا أئمة الصلاة أيضا وقضاة الشرع فى بعض الاحيان ، لكن استقلت ولاية الخراج بأصحابهـا من أول الامر (١٣١) • وعندما فرض عمر العطاء ودون الديوان سنة١٥هـ فرض **لأهل الفيء الذين انتقلوا الى دمشق وحمص والاردن وفلســطين** الى جانب غيرهم من أهل الكوفة والبصرة ومصر ، وقال : « الفيء لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم وأقام معهم ـ ولم يفرض لغيرهم ـ ألا فيهم سكنت المدائن والقرى وعليهم ما جرى الصلح واليهم أدى الجزاء وبهم سدت الفروج ودوخ العدو » • وحين زار عمر الشام سنة ١٧هـ « **قسم الارزاق وسمى الشواتي والصوائف وسد فروج الشام ومسالحها** وأخذ يدور بها وسمي ذلك في كل كورة » • وخطب حين أراد القفول من الشام فقال : « ••• قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فجندنا لكم الجنود وهيأنا لكم الفروج ، وبوأناكم ووسعنا عليكم ما بلغ فيئوكم وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمينا لكم أطماعكم وأمرنا لــكم بأعطائكم وأرزاقكم » • ورجع عمر الى المدينة وعلى حمص أبو عبيدة وخالد تحت يديه على قنسرين ، وعلى دمشق يزيد بن ابى سفيان ، وعلى الاردن معاوية ، وعلى فلسطين علقمة بن مجزز ، وعلى الاهراء عمرو بن عبسة ، وعلى السواحل عبد الله بن قيس ، وعلى كل عمل عامل « **فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك الى اليوم لم تجز أمة الى أخرى عملها بعد الا** أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم فيقدموا مسالحهم بعد ذلك ، فاعتــدل ذلك سنة ١٧ هـ » • وهكذا أقام العرب فى البلاد التى كانوا يفتحونها مراكز حربيــة ثابتة فى التخوم الهامة قد أوضح ذلك كريمر فى كتابه (الشرق تحت حكم الخلفاء) اذ ذكر ان العرب كانوا يقيمون فى هذه المراكز عددا كبيرا من الفاتحين ومعهم أسرهم يصرف لهم عطاؤهم

---

(١٣٠) ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٩ ، حتى : تاريخ العرب ـ ترجمة نافع جـ ١ ص ١٨٨

Le-Strange : Palestine under the Moslems pp. 25-6

(١٣١) Brockelmann : Hist. of the Islamic peoples. pp. 61 - 2.

السنوى ويتوارثون الرباط بها وأشار الى ما فعله عمر من اقامة أربعة مراكز حربية في الشام واقامته الفسطاط في مصر وتزويده الاسكندرية بحامية قوية كانت تستبدل بين وقت وآخر ، علاوة على اقامته مركزي البصرة والكوفة • وقد أقيمت هذه المراكز في مواقع استراتيجية مهمة على أبواب الطرق المؤدية للبلاد المفتوحة لتكون مقرا للقوات المحاربة • وقد روى الطبري أن عمر قد اتخذ في الامصار الثمانية قوات من الفرسان • وقد كانت هذه القوات تقوم بتدريباتها الدائمة كما كان القواد يتعاهدون تسليح جندهم في هذه المعسكرات ويقومون بعرضهم على فترات • وكان للخيول (حمى) خارج المصر لا يجتازه أحد من الناس ، وروى ابن قتيبة أن عمر كان يخرج الى الحمى بنفسه ويشرف على تدريب الجند وانه كان يصحب معه بيطريا لتفقد الخيل (١٣٢) •

وروى ان عمر عاد الى الشام في العام التالي لزيارته لها ـ أى سنة ١٨ هـ « حتى أتى الجابية ـ فاجتمع اليه المسلمون ، فدفع اليه أمراء الأجناد ما اجتمع عندهم من الأموال ، **فجند ومصر الأمصار** ثم فرض الأغطية والأرزاق ثم قفل المدينة • وحدد قاعدته في توزيع العطاء موضحا وجهة نظره في حرمان لخم وجذام منه قائلا :

« أنا أجعل أقواما أنفقوا في الظهر وشدوا العرض وساحوا في البلاد ، مثل قوم مقيمين في بلادهم ؟ » ولكن القوم حاجوه « ان الله وضعنا من بلاده حيث شاء وساق الينا الهجرة في بلادنا ونصرنا ، أفذلك يقطع حقنا يا عمر ؟» فلم يملك عمر الا أن يقول :« لكم حقكم مع المسلمين (١٣٣) » وقد اختلفوا في **تسمية الأجناد** وكان هناك من ربط تسميه الجند بقبض العطاء منه « **فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين جندا لأنه جمع كورا وكذلك دمشق وكذلك الاردن وكذلك حمص مع قنسرين • وقال بعضهم : سميت كل ناحية لها جند يقبضون اطماعهم بها جندا • وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا ، حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جندا»كما أن الجزيرة كانت الى قنسرين حتى جندها عبدالملك** أي أفردها «فصار جندها يأخذون أطماعهم بهامن خروجها» • وذكر ياقوت

---

(١٣٢) الطبرى جـ ٤ ص ١٦٣ ، ٢٠٣ : ٥ رواية سيف ، د• عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ص ١٠٦ : ١١١ •

(١٣٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ـ تحقيق دكتور المنجد م ١ ص ٣٥٢ : ٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٥٧

أنه لم يبلغه استعمال الجند فى غير أرض الشام (١٣٤) .

وكان من مضافات **جند فلسطين** صحراء التيه وجفار وكلاهما تجاه حدود مصر . ويذكر اليعقوبي أن عاصمة جند فلسطين القديمة كانت اللد ، فلما أنشأ سليمان الرملة جعلها العاصمة . وفي شمال التيه توجد مشارف المدينة المقدسة كما يذكر الاصطخري وابن حوقل ، ويمتد الاقليم في أقصى طوله من رفح الى حدود اللجون ويستغرق سفر يومين ، ويستغرق العرض نفس المدة من يافا الى أريحا . ويذكر أن صحراء التيه تمتد ما بين جفار وجبال سينا ، وحدود جفار هي البحر المتوسط وصحراء التيه وفلسطين وبحر تنيس (فى مصر) ، وتمتد حتى طرف بحر القلزم . ومن البلدان الهامة في فلسطين : عسقلان والرملة وغزة وارسوف وقيسارية ونابلس واريحا وبيت جبرين .

وجند الأردن يشمل غور نهر الأردن ومنطقة البحر الميت وعاصمته طبرية . ومن البلدان الهامة فيه كما يذكر ابن الفقيه : نابلس وبيسان وفحل Pella وجرش وعكا وقدس وصور . ويذكر اليعقوبى أن الغور امتداد خارجي لاقليم دمشق وقصبته أريحا Jericho . ويتميز الغور بانخفاضه وتنتهى اليه أنهار الشام مثل اليرموك Hieromax . وفى الطرف العلوى للغور بحيرة طبرية وفى الطرف السفلى البحر الميت.

ويشمل **جند دمشق** سهل الغوطة حول المدينة ومعظم المنطقة التى التى تليه جنوبا والتى تقع الى الشرق من غور الأردن والبحر الميت . ويذكر اليعقوبى أن من جند دمشق الأراضى الشرقية من الغور وحوران والبثنية ، ومن ضواحيها البلقاء والقسم الجنوبى من الغور والجبال . ويعدد ابن الفقيه من بلدان الاقليم سنير وجبيل وبيروت وصيدا والبثنية وحوران والجولان وأطراف البلقاء . والمدن الساحلية لجند دمشق هى صيدا وبيروت واطرابلس وعرقة وصور . ويقع جند دمشق الى الشرق من جند الأردن تحده شرقا صحراء الشام وجنوبا أرض السماوة وأرض عاد ، وفى شماله يوجد جند قنسرين وجند العواصم كما يذكر الادريسى . وتسمى المنطقة الجبلية التى سلكها طريق الحج الشامى من دمشق بالشراه، أما الجبال فهى أحد أطراف جند دمشق كما يذكر اليعقوبي .

وجند حمص عاصمته حمص ومن البلدان الهامة فيه سلمية وتدمر

---

(١٣٤) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ١٣٨ ـ ياقوت : معجم البلدان : جـ ١ ص ٣٨ ، ١٢٥ .

وخناصرة وكفر طاب واللاذقيـة وجبلة وانطرسوس وبلنيـاس وحصن الخوابي كما يذكر المقدسي وابن حوقل • **وقد كان جند حمص في الأصل يشمل المنطقة الواقعة الى الشمال من دمشق ، ثم اقتطع منه جند قنسرين واقتطع من الاخير العواصم والثغور** • والحد الجنوبي لجند حمص كما يذكر ياقوت يقع مباشرة في جنوبي قره بينما حده الشمالي وراء القرشـيـة « وهي آخر أعمالها مما يلي حلب فانطاكية » • وفي الشرق يشمل جند حمص (القريتين) وتدمر (بالميرا) (١٣٥) •

وكما كانت البنود البيزنطيـة (الـ Thema) يستعين بعضـها ببعض عنـد مجـابهة الخطر الذي لا يقوى أحدها على صـده ، كانت الأجناد والأمصار الاسلامية تتعاون على دفع المخاطر « **فاتخذ عمر في كل مصر على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين ـ عدة لكون أن كان** • فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس » • وقد استعان عمر بهـذه القوات لدفع غزو الروم على الشام من الشمال سنة ١٧ هـ وقال « جزى الله أهل الكوفة خيرا يكفون حوزتهم ويمدون أهل الأمصار » • ورتب في المعسكرات الكبرى القوات الخاصة بالغزو ، وخصص لـكل مصر المنطقة التي يباشر فيها الغزو « فكانت مغازي أهل الكوفة الري وأذربيجان ، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقـاتل من أهل الـكوفة ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالري ، وكان بالكوفة أربعون الف مقاتل • وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة ، فـكان الرجل يصـيب في كل أربع سنين غزوة » (١٣٦) •

وكان جنود الشام يباشرون الغزو عبر دروب الروم في آسيا الصغرى وفي أرمينية •

واستهل عثمان خلافته بالكتابة الى أمراء الأجناد في الفروج سنة ٢٤ هـ : « •• فانكم حماة المسلمين وذادتهم ، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان على ملأمنا ، ولا يبلغني عن أحد منـكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم ، فانظروا كيف تكونون فاني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه » • وجمعت لمعاوية ولاية **الشام والجزيرة** سنة ٢٦ هـ لسنتين من خلافة عثمان ، فولى حبيب بن مسلمة بن مالك على

---

(١٣٥) Le Strange : Palestine Under the Moslems. pp. 28: 36
(مع مراجعة الجغرافيين المسلمين) ياقوت : معجم البلدان جـ ٧ ص ٥١ •

(١٣٦) الطبري جـ ٤ ص ١٩٥ رواية سيف ، جـ ٥ ص ٤٥ رواية أبي مخنف ، ابن العديم زبدة الحلب جـ ١ ص ٣٦ ـ ٧

قنسرين وكان يسمى حبيب الروم لكثرة غزوه لهم ، ومات عثمان سنة ٣٥ هـ والشام مع معاوية وحبيب على قنسرين من تحت يده (١٣٧) ٠

هـ ـ حملات الدروب والثغور :

ما كاد الفتح الاسلامي يستقر فى الشام ـ ومن بعد ذلك فى الجزيرة ـ حتى شرع المسلمون فى ارسال **حملات استطلاعية تجوب الحدود الشمالية والشماليه الشرقيه التى تفصل ديار الاسلام عن بلاد الروم** ٠ وقد روى الطبرى أنه بعد هزيمة الروم فى اليرموك « بعث أبو عبيدة **عياض بن غنم فى طلبهم فسلك الأعماق حتى بلغ ملطية** فصالحه أهلها على الجزية ثم انصرف ٠ ولما سمع هرقل بذلك بعث الى **مقاتلتها ومن فيها** فساقهم اليه وأمر بملطية فحرقت » ٠ كما روى أنه بعد فتح قنسرين « اتطأت حمص وقنسرين ، فعند ذلك خنس هرقل ٠ وانما كان سبب خنوسه أن خالدا حين قتل ميناس ومات الروم على دمه وعقد لأهل الحاضر وترك قنسرين ، طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قرقيسياء وعبد الله ابن المعتم من قبل الموصل والوليد بن عقبة من بلاد بنى تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة عن نحو هرقل وأهل الجزيرة فى حران والرقة ونصيبين وذواتها لم يعرضوا غرضهم حتى يرجعوا اليهم ، الا أنهم خلفوا فى الجزيرة الوليد لئلا يؤتوا من خلفهم ٠ فأدرب خالد وعياض مما يلى الشام ، **وأدرب عمر وعبد الله مما يلى الجزيرة ، ولم يكونوا أدربوا قبله ، ثم رجعوا ، فهى أول مدربة كانت فى الاسلام سنة ١٦ هـ » (١٣٨)** ٠

وقد عمل الفريقان فى أول الأمر على **تخريب الحصون** الواقعة على الحدود بينهما لخلق منطقة جرداء موحشة تكون الشقة الحرام بين الدولتين ٠ فحين خرج هرقل نحو القسطنطينية سنة ١٥ أو ١٦ هـ سالكا طريق الدروب « أخذ أهل الحصون التى بين اسكندرية وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون فى عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم ، وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون بها أحدا ، وربما كمن عندها الروم فأصابوا غرة المتخلفين ، فاحتاط المسلمون لذلك » وكان قواد المسلمين اذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جندا كثيفا الى خروجهم ٠ واستبقى الروم بعض هذه الحصون والمسالح وشحنوها بالمقاتلة ٠ وقد سلك المسلمون سبيل الروم

---

(١٣٧) الطبرى جـ ٥ ص ٦٩ رواية سيف ، وص ٤٤ رواية سيف ٠

(١٣٨) الطبرى جـ ٤ ص ١٣٧ رواية ابن اسحق ، ١٥٥ رواية سيف ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ٣٢

في تخريب الحصون حتى لا تبقى صالحة لانتفاع العدو » قالوا : كانت ثغور المسلمين أيام عمر وعثمان وما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن التي سماها الرشيد عواصم ، فكان المسلمون يغزون ما وراءها **كغزوهم اليوم ما وراء طرسوس** ، وكان فيما بين الاسكندرونه وطرسوس حصون ومسالح للروم كالحصون والمسالح التي يمر بها المسلمون اليوم - فربما اخلاها أهلها وهربوا الى بلاد الروم خوفا وربما نقل اليها من مقاتلة الروم من تشحن بهم ... وقد اختلفوا **في أول من قطع الدرب - وهو درب بغراس - فقال بعضهم : قطعة ميسرة بن مسروق العبسى** ، وجهه أبوعبيدة فلقى جمعا للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحاق بهرقل فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم لحق به مالك الاشتر النخعي مددا من قبل ابى عبيدة وهو بانطاكية . **وقال بعضهم : أول من قطع الدرب عمير بن سعد الانصاري** - وجهه عمر سنة ٢١ هـ الى بلاد الروم في جيش عظيم وهي أول صائفة، وأمره أن يتلطف لجبلة بن الأيهم ويدعوه الى الرجوع الى بلاد الاسلام على أن يؤدى ما كان بذل من الصدقة ويقيم على دينه فأبى ، وانتهى عمير الى موقع يعرف بالحمار فأوقع بأهله وأخربه فقيل أخرب من جوف حمار . وقال أبو الخطاب الأزدى : بلغني **أن أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمصيصة وطرسوس وقد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها فأدرب فبلغ في زواته زندة** . ولما غز معاوية غزوة عمورية سنة ٢٥ هـ **وجد الحصون فيما بين انطاكية وطرسوس خالية فوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقنسرين حتى انصرف من غزاته** ، ثم أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحر العبسى الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الولاة تفعله . وغزا معاوية سنة ٣١ هـ من ناحية المصيصة فبلغ درولية ، فلما خرج جعل **لا يمر بحصن فيما بينه وبين انطاكية الا هدمة** .. وفتح خالد بن الوليد حصن مرعش على اجلاء أهله **ثم أخربه** ». وروى أن عمر « عندما استعمل عمير بن سعد على طائفة من الشام فقدم عليه قدمة فقال : يا أمير المؤمنين أن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عربسوس ، وانهم لا يخفون عن عدونا من عوراتنا شيئا. فقال له عمر : اذا قدمت عليهم فخيرهم بين أن تعطيهم مكان شاة شاتين ومكان شيء شيئين ، فان رضوا بذلك فأعطهم **وخربها** ، وان أبوا فانبذ اليهم ، وأجلهم سنة ثم خربها » (١٣٩) .

---

(١٣٩) الطبرى جـ ٥ ص ١٥٦ رواية سيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٣ ، ١٧٠ : ٢ ، ١٩٧ ، البكرى ، معجم ما استعجم - طبعة وستنفلد جـ ٢ ص ٦٥٧ ، ابن العديم : بغية الطلب - مخطوط ص ٩ .

وتتابعت هذه الحملات المبكرة،ففى سنة ٢٤ هـ دخل أهل الكوفة وعليهم سلمان بن ربيعة الباهلى وأهل الشام وعليهم حبيب بن مسلمة الفهرى الى أرض الروم « فشنوا الغارات ، فأصاب الناس ما شاءوا من سبى وملأ أيديهم من المغنم وافتحوا بها حصونا كثيرة » . وفى سنة ٢٥ هـ جرى فتح بعض الحصون بقيادة معاوية . وقيل انه غزا عمورية وبلغت غزوته سنة ٣١ هـ درولية . وفى سنة ٣٢ هـ غز معاوية مضيق القسطنطينية ومعه زوجته ، وفى سنة ٣٣ هـ غزا معاوية حصن المرأة من أرض الروم من ناحية ملطية (١٤٠) .

وسميت هذه الحملات المتتابعة **بالشواتي والصوائف** لأنها كانت تغزو شتاء وصيفا . **وقد روى الطبرى هذا الاصطلاح فى اخبار سنة ١٧ هـ** ، فذكر أن الخليفة عمر فى زيارته الشام « سمى الشواتي والصوائف » . وروى البلاذرى أن جسر منبج « اتخذ فى خلافة عثمان للصوائف » . ولما ولى معاوية الشام والجزيرة وجه الى ملطية حبيب بن مسلمة « فكانت طريق الصوائف » ، وهكذا بدأت حملات الدروب تأخذ طابعا دوريا منظما ، وكان أكثرها صيفا لملاءمة الجو للعرب . ثم صار للمسلمين **صائفتان يمنى ويسرى**، وكان الغرض من هذه الحملات الحماية والاستطلاع والتدريب (١٤١) .. وقد أدى انتظام هذه الحملات الى الشعور بالحاجة الى مراكز عسكرية ثابتة فى مناطق الحدود فيما بعد .

ذلك أن لحملات المتعاقبة كان لابد لها من قواعد ترتكز اليها ، فتطلع المسلمون **الى مد نفوذهم الى تلك المراكز الأمامية المطلة على العدو (الثغور) وتحصينها وشحنها بالجند** ، ولم يعودوا يقنعون بما ساروا عليه أولا من التشعيث والتخريب . وكان العرب بعد احتكاكهم عن قرب بالروم والفرس قد شرعوا يتعلمون أساليب الحرب عند الفريقين وقد علموا أن شيئا جديدا ينقصهم يختلف عن الغارة السريعة والتقهقر السريع مما كان كافيا فى حرب الصحراء . ولقد ذكر الامبراطور ليو فى كتابه أن العرب المعاصرين له يقلدون الترتيب والتنظيم المتبعين فى جيش الروم بكل تفصيلاتهما، ولا ننسى أن العرب أصحاب النفوذ فى العصر الاموى كانوا هم سكان الحدود السورية الذين تدربوا ثم انتظموا فى القوات الاضافية لجيش الروم . ويجب أن نعترف بأن الفرس فى نفس الوقت قد حاولوا

---

(١٤٠) الطبرى جـ ٥ ص ٤٦ رواية أبى مخنف ، ص ٤٧ رواية الواقدى ، ص ٧٧ رواية أبى معشر والواقدى ، ص ٨٠ رواية الواقدى .

(١٤١) الطبرى جـ ٤ ص ٢٠٣ رواية سيف ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٤٣ ، ١٩٣ .

ان يقلدوا أساليب الروم الحربية أيضا ، **وكان أحد الأشكال الجديدة للحرب هو استعمال الهندسة فى حصار المدن المحصنة وفى بناء تحصينات للدفاع عن مدنهم** • ومن أجل هذا الغرض الأخير أخذ العرب المعسكر المستطيل المحصن الذى عرف عن الأساليب العسكرية الرومانية• **ففى كل منطقة مفتوحة بنوا (مدينة معسكر)** ـ ويرى أوليرى أن العرب كانوا يسيئون اختيار مواقع مدن معسكراتهم ، ولعله يغفل ظروف حياتهم وتفكيرهم التى اجتهدوا فى حدودها اجتهادا كان موفقا فى كثير من الأحيان وأكبر مدينة من هذه المعسكرات : فى فلسطين الجابية ، وفى مصر الفسطاط ، وفى افريقية القيروان • ولكن لم تكن واحدة من هذه ذات أهمية عظيمة كما كانت مدينتنا المعسكر فى العراق : البصرة التى أسسها عتبة بن غزوان سنة ٦٣٥ م أو سنة ٦٣٧ م والكوفة التى أسسها سعد بن أبى وقاص بعد ذلك بقليل ، وقد لعبتا دورا هاما فى تاريخ الاسلام • وشغلت المدن التى أسست لتكون معسكرات فى الشام ـ كالجابية ودابق شمالى حلب ـ الدرجة الثانية بعد دمشق ، وبعض مدن المعسكرات بلغ درجة المدن الكبيرة وفاق المدن المركزية القديمة • ويروى ابن العديم أن جند حمص كان الجند المقدم وكانت قنسرين يومئذ ثغرا «والناس كانوايجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من أرض دمشق فى زمن عمر وعثمان ، حتى نقلهم الى معسكر دابق معاوية بن أبى سفيان لقربه من الثغور • وكان والى الصائفة وامام العامة فى أهل دمشق ، لأن من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين وأهل الثغور مقدمة لهم والى أهلها يؤولون ان كانت لهم جولة من عدوهم » (١٤٢) •

وبدأت **العواصم الخلفية والثغور الأمامية** تأخذ مكانتها المتميزة فى نظام الدولة الاسلامية « فكانت انطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان ، فلما فتحت كتب عمر الى أبى عبيدة : أن رتب بانطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء ، ثم لما ولى معاوية كتب اليه بمثل ذلك • ثم أن عثمان كتب اليه يأمره أن يلزمها قوما وأن يقطع قطائع ••• وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا وضم اليه جماعة من المسلمين وشحن النواحى المخوفة ••• ورتب ببالس جماعة من المقاتلة وأسكنها قوما من العرب ••• ورتب

---

(١٤٢) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية ترجمة دكتور تمام حسان ص ٢١٧ ، بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ترجمة حمزة طاهر ص ٣٢ ، عون : الفن الحربى فى صدر الاسلام ص ٢٠٢٠١ ، ابن العديم بغية الطلب مخطوط ص ٨ ، ١١٠ •

حبيب بن مسلمة فى ملطية رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف ••• وبنى معاوية مدينة مرعش وأسكنها جندا » • غير أن المسلمين اكتفوا فى أول أمر بارسال قوات مؤقتة بالنسبة لبعض المواضع الأمامية النائية تعسكر فترة ثم تعود ويعرف هذا النظام **بالطوالع** ويروى البلاذرى فى أخبار فتح انطاكية وما حولها : ان قورس كانت كالمسلحة « يأتيها فى كل عام طلعة من جند انطاكية ومقاتلتها ، ثم حول اليها ربع من أرباع انطاكية وقطعت الطوالع عنها » ، ويروى عن أبى الخطاب الأزدى فى شأن المصيصة « وكانت الطالعة من انطاكية تطلع عليها فى كل عام فتشتو بها ثم تنصرف ، وعدة من كان يطلع اليها ألف وخمسمائة الى الألفين » • واشترط أبو عبيدة على بعض أهالى الجهات القريبة من الحدود البيزنطية **تحرى أخبار البيزنطيين وتزويد المسلمين بها** ـ فعل ذلك مع الجراجمة ومع أهالى دلوك ورعبان (١٤٣) •

وكانت الثغور تمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس قرب ساحل البحر المتوسط وتشمل أذنه والمصيصة ومرعش وهى تسيطر على مفارق الطرق الحربية المارة بها أو مداخل الممرات الجبلية الطبيعية الواقعة فى ممراتها ، واهم هذه الممرات الابوب الكيليكية التى تتحكم فيها مدينة طرسوس ، ودرب الحدث الى الشمال الشرقى من الممر السابق وقيل انه سمى بذلك تطيرا من أحداثه التى أصابت المسلمين • وعرفت سلسلة الحصون فى الجهات الاسلامية الملاصقة للدروب والثغرات التى ينفذ منها البيزنطيون من جبال طوروس لمهاجمة شمالى الشام باسم الثغور ، على حين أطلق اسم العواصم على سلسلة الحصون الخلفية لمنطقة الثغور • ولما كان اقليم الجزيرة وشمالى الشام وحدة تتمم بعضها بعضا ، فان تولية معاوية الاقليمين أيام عثمان أتاح له أن يتوسع فى تطبيق سياسته بالنسبة للجزيرة : فأقام القبائل العربية الضاربة فى شمالى العراق فى جهات بعيدة عن المدن المعرضة للغزو البيزنطى ثم حصنها بسلسلة من الحصون أشبه بالعواصم والثغور الشامية وخصص لها حاميات دائمة • **فانقسمت الحدود الاسلامية الى قسمين : اقليم العواصم والثغور الشامية للدفاع عن اقليم الشام والاغارة على أرض البيزنطيين بآسيا الصغرى ، واقليم العواصم والثغور الجزرية للدفاع عن شمالى العراق** وللحملات التى تقوم

---

(١٤٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٥٤ ، ١٥٦ ـ ٧ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، عون : الفن الحربى فى صدر الاسلام ص ٢٠١ ـ ٢

منه على أراضي الدولة البيزنطية · وزاد من سلامة الوضع الاستراتيجي للثغور والعواصم بعد فتح الجزيرة ، ما حدث من فتح ارمينية التي كانت تتحكم بفضل موقعها في مفرق الطرق المؤدية إلى أراضي المسلمين في اقليم الجزيرة بالعراق وفي بلاد الشام والجهات التي احتلها المسلمون في جنوب آسيا الصغرى ، وقد اقدم معاوية على غزوها مستفيدا من الصراع الطويل بين الفرس والبيزنطيين عليها « وجمع عثمان لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط وهي أرمينيه الرابعة أو يغزيها فوجه اليها حبيب بن مسلمة الفهري وسلمان بن معطل السلمي » · وقد كان لجنود الشام في فتوح أرمينية بلاء مشكور ، وهكذا تكامل السياج الحربي القائم بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية · « وان نظرة واحدة الى مواقع الثغور الاسلامية التي أقاموها على تخوم بلادهم لتقفنا على ما كان لدى المسلمين من فن استراتيجي ، فانهم كانوا يقيمونها على أبواب الطرق متحكمة في أماكن اقتراب العدو ، مراعين أن تكون بعيدة عن البحار قريبة من الصحراء التي يحسنون القتال فيها وأن تكون محصنة بثنيات الأنهار ومنعطفات الجبال أو بالخنادق يحفرونها أو بغير ذلك من المواقع الطبيعية أو الصناعية التي تضمن لمواقعهم ميزة استراتيجية ملحوظة · وقد كان لفن المسلمين الحربي في تحركاتهم ما جعلهم ينقلون الجيوش المؤلفة بخيلها ومتاعها خلال ممرات جبال طوروس في خفة تسترعي الأنظار » (٤٤) ·

---

(١٤٤) دكتور العدوى : الأمويون والبيزنطيون ص ١٠١ : ٤ ، ١١٣ ـ ٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٢ ، حتى : تاريخ العرب ، ترجمة نافع جـ ١ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ، عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ص ٢١٠